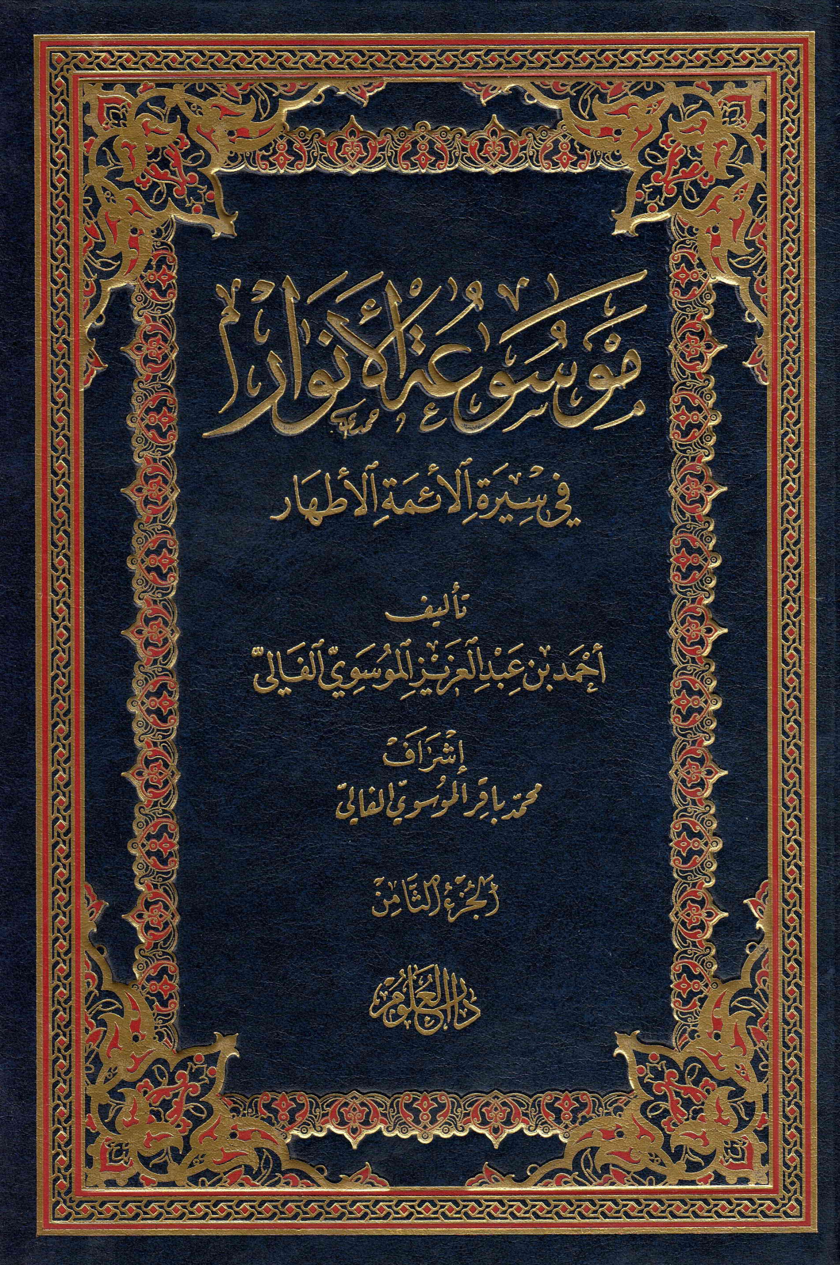


موسوعة الأنوار
في سيرة الأئمة الأطهار
تأليف
أحمد بن عبد العزيز الموسوي الفالي
إشراف
محمد باقر الموسوي الفالي
الجزء الثامن
دار العلوم


موسوعة الأنوار
في سيرة الأئمة الأطهار

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ/٢٠١٠م





المكتب : الرويس - بناية عروس الرويس - تلفاكس : 01/545182 - 03/473919
ص . ب : 140 / 24 - المستودع : بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - هاتف : 01/541650
www.daraloloum.com E-mail:info@daraloloum.com

موسوعة الأنوار

في سيرة الأئمة الأطهار

تأليف

أحمد بن عبد العزيز الموسوي الفالي

إشراف

محمد باقر الموسوي الفالي

الجزء الثامن



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الخلق أجمعين محمدﷺ، وخلفائه الطيبين، الأئمّة المعصومين، من أهل بيته المكرّمينعليهم السلام، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

بعد أن استعرضنا ـ أخي الفاضل ـ في الأجزاء السابقة من كتابنا الذي بين يديك: «خلفاء الرسول المصطفىﷺ» لشيء من أحوال خمسة من خلفاء النبي محمدﷺ الإثني عشر، نشدّ على يديك وانت تتدبّر في أحوال سادس خلفاء أئمّة أهل البيتعليهم السلام: الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادقعليه السلام، الذي تضمّنه تصريح النبيﷺ حينما صرّح بأسماء خلفائه واحداً بعد واحد.[1] مشعراًﷺ بحتمية وجودهم بين أظهر الناس، أئمّة يستخلف أوّلهم الآخر بالإستحقاق والنصّ، كما استخلف من قبل علياًعليه السلام قبيل رحيلهﷺ إلى الرفيق الأعلى، قائلاً للناس: يكون بعدي اثنا عشر خليفة.[2]

---

١. أنظر فرائد السمطين للحمويني: ج٢ ص١٣٢ رقم٤٣١، وج٢ ص١٥١ رقم٤٤٦، وينابيع المودّة للقندوزي الحنفي: ج٣ ص٢٨١ الباب السابع: في بيان الأئمّة الإثني عشر بأسمائهم، وغاية المرام للبحراني: ج٢ ص١٨٢ ح٦٣.

٢. راجع صحيح البخاري: ج٦ ص٢٦٤٠ رقم٦٧٩٦. مسند أحمد: ج٦ ص٩٤ رقم٢٠٣٢٥، وص٩٧ رقم٢٠٣٤٩. صحيح مسلم: ج٤ ص١٠٠ رقم٥، وج٤ ص١٠١ رقم١٠. سنن الترمذي: ج٤ ص٤٣٤ رقم٢٢٢٣. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج١ ص١٢٧. الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ص٢١٤. مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي: ص٨٣. وغيرهم.

لا يسعنا هنا سوى أن نذكر شيئاً يسيراً من سيرة الإمام السادس: جعفر بن محمد بن علي عليه السلام، علّنا آملين لبيان غيض من فضائله، ومناقبه، ومعالي أموره.

نسأل الله عزّ وجلّ أن يوفّقنا لإتّباع رسوله صلى الله عليه وآله، وخلفائه الطاهرين، الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

أحمد بن عبد العزيز الموسوي الفالي

قمّ المقدّسة

فصل في

حسبه ونسبه وولادته عليه السلام

هو: الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، بن عبد المطّلب، بن هاشم، بن عبد مناف.

وأمّه: السيّدة الجليلة فاطمة، وكُنيتها: أُمّ فروة. وهي بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وقد قال في جلالتها الإمام الصادق عليه السلام: كانت أُمّي ممّن آمنت، واتقت، وأحسنت. والله يُحبّ المحسنين.[1]

قال المسعودي: كانت أُمّ فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر من أتقى نساء زمانها، وروت عن علي بن الحسين أحاديث عديدة.[2]

وروي عن عبد الأعلى، قال: رأيت أُمّ فروة تطوف بالكعبة، عليها كساء متنكّرة، فاستلمت الحجر بيدها اليسرى، فقال لها رجل ممّن يطوف: يا أمة الله! أخطأت السنّة. فقالت: إنّا أغنياء عن علمك.[3]

وما ذلك إلا لكون ارتباطها الوثيق بأهل بيت النبوّة، والعلم، فضلاً عنه كانت زوجة الإمام الباقر عليه السلام، الذي بقر العلم بقراً، ووالدة للإمام الصادق عليه السلام. وقد اعترف الجميع بغزارة علوم أهل هذا البيت الشريف، وسنا مجدهم. واذا افتقر الناس لعلمهم؛ فهم عليهم السلام أغنياء عن علوم الناس.

---

١. الكافي: ج١ ص٣٩٣.

٢. راجع إثبات الوصية: ص١٥٤.

٣. بحار الأنوار: ج٤٦ ص٣٦٧.

كناه عليه السلام

كنيته عليه السلام: أبو عبد الله. وقيل: أبو إسماعيل. وكان يُكنّى أيضا بـ«ابن المكرّمة» كرامةً لوالدته المبجّلة.

ألقابه عليه السلام

ومن ألقابه عليه السلام: الصادق ـ وهو أشهرها ـ والفاضل، والطاهر، والصابر.

ولادته عليه السلام

قال الكليني في أصول الكافي: ولد أبو عبد الله ـ الصادق عليه السلام ـ سنة ثلاث وثمانين، ومضى في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة، وله خمس وستّون سنة.[١]

وقال العلامة المجلسي في مرآة العقول: قال الشهيد ـ الأوّل ـ في الدروس: ولد الإمام الصادق عليه السلام بالمدينة يوم الإثنين سابع عشر من ربيع الأوّل سنة ثلاث وثمانين.[٢]

وقال ابن شهر آشوب في مناقبه: ولد الصادق عليه السلام بالمدينة يوم الجمعة عند طلوع الفجر، ويقال: يوم الإثنين لثلاث عشر ليلة بقيت من شهر ربيع الأوّل، سنة ثلاث وثمانين من الهجرة. وقالوا: سنة ستّ وثمانين. فأقام مع جدّه اثنا عشر سنة، ومع أبيه تسع عشر سنة، وبعد أبيه أيّام إمامته أربعاً وثلاثين سنة.

فكان في سني إمامته: ملك إبراهيم بن الوليد، ومروان الحمار ـ من بني أُميّة ـ ثمّ ملك أبي العباس السفّاح أربع سنين وستّة أشهر وأيّاماً، ثمّ ملك أخيه أبي

---

١. الكافي: ج١ ص٤٧٢.

٢. مرآة العقول: ج٦ ص٢٥.

جعفر المنصور ـ الدوانيقي[١] ـ إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وأيّاماً.

وبعد مضيّ سنتين من ملكه ـ أي، ملك الدوانيقي ـ قُبض عليه السلام في شوّال سنة ثمان وأربعين ومائة...

وقال أبو جعفر القمّي ـ الشيخ الصدوق ـ : سمّه المنصور ـ الدوانيقي ـ ودُفن في البقيع، وقد كمل عمره خمساً وستّين سنة.[٢]

وقال الإربلي في كشف الغمّة: قال محمّد بن طلحة: كانت ولادته سنة ثمانين. وقيل: سنة ثلاث وثمانين... ومات سنة ثمان وأربعين ومائة. وقال الحافظ عبد العزيز: أُمّه: أمّ فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأُمّها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر. ولد عام الحجاف سنة ثمانين، ومات سنة ثمان وأربعين ومائة.

وفيه أيضاً: وروى الخشّاب بإسناده عن محمد بن سنان، قال: مضى أبو عبد الله عليه السلام وهو ابن خمس وستّين سنة. ويُقال: ثمان وستّين سنة، في سنة مائة وثمان وأربعين. وكان مولده سنة ثلاث وثمانين من الهجرة.[٣]

أقول: والمعتمد عندنا أنّ ميلاده عليه السلام كان يوم السابع عشر من ربيع الأوّل، سنة ثلاث وثمانين بالمدينة المنوّرة، وقُبض بها في الخامس والعشرين من شوّال، سنة ثمان وأربعين ومائة، عن خمس وستّين سنة. وسبب وفاته عليه السلام أنّه سقي السّم بأمر الدوانيقي.

---

١. اشتُهر بالدوانيقي؛ لأنّه لمّا أراد حفر الخندق بالكوفة؛ قسّط على كلّ واحد منهم دانق فضّة، وأخذه وصرفه في الحفر. والدانق: سُدُس الدرهم.

٢. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٩٩.

٣. كشف الغمّة: ج٢ ص٢٧٨، وص٤١٥.

فصل في
بعض ما ذكره علماء العامّة
في عظيم شأنه عليه السلام

المؤرّخون والإمام الصادق عليه السلام

لعب التأثير السياسي لصنّاع القرار في الأُمّة الإسلاميّة دوراً هاماً وأساسيّاً في عملية تدوين التاريخ عموماً، وسيرة أهل البيت عليهم السلام على وجه الخصوص، وذلك من خلال سيطرتهم على دفّة التصرّف في نقل السير، والآثار، وسلبهم للحريّة في أداء الأمانة، للحيلولة دون تمكّن وصول الحدث المفترض فيه الصحّة بين طي صفحات التاريخ، ما سهّل أن استبدلوا أدنى الباطل؛ من تزوير، وتحريف، وتجديف، بخير الحقّ؛ من صدق، واستقامة، وإيمان؛ حذوهم ببني إسرائيل في ذلك، حذو القذّة بالقذّة، وحذو النعل بالنعل.

فالذي يقف على تاريخ ابن كُثير ـ حصراً ـ حين يبحث فيما كتبه مُنمّقاً لسير بعض الشخصيات التي لا قيمة لها، ولا إعتبار؛ يعرف مدى الجهد الذي سخّره انحرافه له في إهمال الواقع والحقيقة وهو يمرّ على ذكر الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام مُقتصراً فيه على قوله: وفيها ـ أي، في حوادث عام ١٤٨هـ ـ مات جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. دون أن يروق له ذكر شيء عن حياته عليه السلام؛ ظلماً وعلواً.[١]

فإذا قلنا بأنّ الإمام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام كان أعلم أهل زمانه وأفضلهم، وهو أولى الناس بخلافة النبوّة، وبولاية الأمر، وبحفظ أمانة الله ورسوله ـ الدّين الحنيف، والقرآن الحكيم ـ لم نتجاوز على الحقّ والصدق، ولم نقل بغير الحقيقة والواقع.

فالحقّ أنّ خطواته عليه السلام تلك التي سار عليها في ذلك العصر قد أعطت العلم ازدهاره، وعلّمت الأمّة كيف ينبغي أن يكون المصلح ليقتدي به عظماء الأمّة،

١. راجع الكامل في التاريخ: ج٥ ص١٨٨.

ورجال الفكر، وكيف له أن يستقل بالعلم بمؤهلاته النفسيّة، ويعرض نفسه على المجتمع بقيمه الروحيّة والمعنويّة لا بالتشبث بالقوّة الماديّة، بل الأولى أن يكون هو مقبولاً من حيث هو، لا من حيث سلطة الإرهاب، أو المغريات الخدّاعة.

فالتاريخ السليم هو الذي يسجّل الحوادث الواقعة على ما هي عليها بصورها وأشكالها، فلا تغيير، ولا تبديل، ولا نقل صورة وترك أُخرى؛ ليتسنّى نقلها للأجيال تلو الأجيال بأمانة. فهذه هي وظيفة التاريخ الصحيح في كلّ دور من الأدوار، وهو مباح للجميع، لا يختص بأُمّة دون أُخرى، ولا يتقيد برأي دون رأي.

فإنّ كثيراً ممّن درسوا حياة الإمام الصادق عليه السلام قد سلكوا طريق التجديف أوالتكتّم في رسم معالمها، لذا لم تتجاوز في سطحيّتها حدود التعصّب، فظهرت على صفحات التاريخ في إطار مرتعش قد تناولتها ريشة موارب لم يسع حسّه في إبرازها سوى الحقد البغيض، توخّياً لعدم موافقتها طبق الأصل.

ولكن مع ذلك كلّه؛ فلا عجب أن استللنا من بين زحام تلك الحقائق المطمورة ما يُمكن الإطمئنان إليه، مُنتزعيه بجهد جهيد من بين أشواك العصبيّة البغيضة، وركام الأهواء الدنيئة.

ولا يسعنا من الغرض في بحثنا الجاد عن حياة الإمام الصادق عليه السلام سوى بيان ما أمكننا فيه مُطابقة الأصل، وبالقدر المتاح لمقامه عليه السلام السامي في كلّ شيء؛ ليزداد المؤمن إيماناً، ويعلم المنصف الفارق العظيم الذي ميّزه عليه السلام عن غيره ممّن طُبّل له، وأُرعد، وما هو عن الذكر بشيء.

لكن الأسباب من وراء ذلك غير مجهولة، والحقيقة غير مستورة!!

في فضائله وشمائله عليه السلام

كلام ابن خلّكان

قال ابن خلّكان في الوفيات:

أبو عبد الله الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين، بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أحد الأئمّة الإثني عشر على مذهب الإماميّة.

وكان عليه السلام من سادات أهل البيت عليهم السلام، ولُقّب بالصادق لصدقه في مقالته. وفضله أشهر من أن يُذكر.[١]

كلام عمرو بن أبي المقدام

قال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمّد عليهما السلام؛ علمت أنّه من سلالة النبيّين.[٢]

كلام مالك

قال مالك ـ إمام المالكيّة ـ : اختلفت إليه زماناً، فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال، إمّا مُصلّ، وإمّا صائم، وإمّا يقرأ القرآن. وما رأيته يتحدّث إلا على طهارة.[٣]

وروى ابن تيميّة في مجموع الفتاوى، قال: وقال مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله يتغيّر لونه، وينحني، حتّى يصعب ذلك على جُلسائه،

---

١. وفيات الأعيان: ج١ ص٣٢٧ رقم١٣١.

٢. راجع حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٣ ص١٩٣. وتذكرة الخواصّ لابن الجوزي: ص٣٤٢.

٣. راجع تهذيب التهذيب لابن حجر: ج٢ ص٨٨، ترجمة جعفر بن محمد عليهما السلام.

فقيل له يوماً في ذلك، فقال:... ولقد كنت أرى جعفر بن محمد... فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وآله؛ اصفرّ لونه. وما رأيته يُحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلا على طهارة. ولقد اختلفت إليه زماناً؛ فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال:

إمّا مُصلّياً. وإمّا صامتاً. وإمّا يقرأ القرآن.

ولا يتكلّم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء والعبّاد الذين يخشون الله.[١]

كلام السخاوي

وقال السخاوي في التحفة اللطيفة: جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، الإمام، العَلَم، أبو عبد الله الهاشمي، العلوي، الحسيني، المدني، سبط القاسم بن محمّد بن أبي بكر... وكان من سادات أهل البيت فقهاً، وعلماً، وفضلاً، وجوداً. يصلح للخلافة بسؤدده، وفضله، وشرفه. ومناقبه كثيرة تحتمل كراريس.[٢]

كلام ابن طلحة الشافعي

وقال محمّد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول:

وهو ـ الإمام الصادق عليه السلام ـ من عظماء أهل البيت وساداتهم، ذو علوم جمّة، وعبادة وفرة، وأوراد متواصلة، وزهادة بيّنة، وتلاوة كثيرة، يتبع معاني القرآن الكريم، ويستخرج من بحره جواهره، ويستنتج عجائبه، ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات، بحيث يُحاسب عليها نفسه. رؤيته تُذكّر الآخرة، واستماع كلامه يُزهّد في الدنيا، والإقتداء بهداه يورث الجنّة. نور قسماته شاهد أنّه من سلالة

---

١. راجع مجموع الفتاوى: ج١ ص٢٢٦، التوسّل والوسيلة.

٢. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة: ج١ ص٤١٠.

النبوّة، وطهارة أفعاله تصدع بأنّه من ذريّة الرسالة...

وله ألقاب أشهرها: الصادق. ومنها: الصابر، والفاضل، والطاهر.

وأمّا مناقبه وصفاته: فتكاد تفوق عدد الحاصر، ويحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر، حتّى أنّه من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى صارت الأحكام التي لا تدرك عللها، والعلوم التي تقصر الإفهام عن الإحاطة بحكمها، تُضاف إليه، وتُروى عنه عليه السلام.

وقد قيل: إنّ كتاب الجفر الذي بالمغرب يتوارثه بنو عبد المؤمن، هو من كلامه، وإنّ في هذه لمنقبة سنيّة، ودرجة في مقام الفضائل عليّة.[١]

كلام الآبياري وابن الوردي

وقال الآبياري في العرائس:

الصادق، هو جعفر أبو عبد الله بن محمد الباقر، قال ابن الوردي: سُمّي لصدقه، ويُنسب إليه كلام في صفة الكيمياء.[٢]

كلام محمد عبد الغفّار الأفغاني

وقال السيّد محمّد عبد الغفّار الأفغاني في أئمّة الهدى:

وقد كان الإمام جعفر الصادق عليه السلام زاهداً، ورعاً، تقيّاً، ومستجاب الدعوة، وله كرامات ظاهرة مذكورة في مطوّلات الكتب.[٣]

---

١. مطالب السؤول: ص١٨.

٢. العرائس الواضحة: ص٢٥٠.

٣. أئمّة الهدى: ص١١٧.

كلام ابن أبي حاتم

وقال ابن أبي حاتم، عن أبيه: ثقة لا يُسأل عن مثله.[١]

كلام ابن عدي

وقال ابن عدي في الضعفاء: ولجعفر بن محمد حديث كبير عن أبيه، عن جابر. وعن أبيه، عن آبائه، ونسخاً لأهل البيت برواية جعفر بن محمد، وقد حدّث عنه من الأئمّة مثل بن جريج، وشعبة بن الحجّاج، وغيرهم ممّن ذكرت بعضهم ولم أذكر بعضاً. وجعفر من ثقات الناس، كما قال يحيى بن معين.[٢]

كلام الحاكم

قال الحاكم النيسابوري في معرفة علوم الحديث: أصحّ أسانيد أهل البيت عليهم السلام، جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليه السلام. إذا كان الراوي عن جعفر عليه السلام؛ ثقة.[٣]

كلام الراغب

وقال الراغب في المحاضرات:

ليس في الأرض خمسة أشراف متناسقة كُتب عنهم الحديث إلاّ جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.[٤]

---

١. راجع تهذيب التهذيب لابن حجر: ج٢ ص٨٨، ترجمة جعفر بن محمد عليهما السلام.

٢. الكامل في الضعفاء: ج٢ ص١٣٣، ترجمة جعفر بن محمد عليهما السلام.

٣. معرفة علوم الحديث: ص٥٥، الجرح والتعديل.

٤. محاضرات الأدباء: ج١ ص٣٣٢.

كلام خواجة بارساي

قال البخاري المعروف بـ«خواجه بارساي»: مجمع على جلالته، وسيادته عليه السلام.[١]

كلام الشهرستاني

وقال الشهرستاني في الملل والنحل: أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وهو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تامّ عن الشهوات.[٢]

كلام اليافعي اليماني

قال العالم عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي اليماني ـ نزيل الحرمين الشريفين ـ في تاريخه: كان جعفر الصادق عليه السلام واسع العلم، وافر الحلم، وله من الفضائل، والمآثر ما لا يُحصى.[٣]

كلام ابن حجر الهيتمي

وقال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة:

أفضلهم وأكملهم ـ أي، أفضل أولاد الباقر عليه السلام، وأكملهم ـ : جعفر الصادق، ومن ثمّ كان خليفته ووصيه، ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان. وروى عنه الأئمّة الأكابر: كيحيى بن سعيد، وابن جريج، ومالك، والسفياني، وأبي حنيفة، وشعبة، وأيوب السختياني.[٤]

---

١. ينابيع المودّة: ج٣ ص١٦٠ب٦٥.

٢. الملل والنحل: ج١ ص١٦١.

٣. ينابيع المودّة: ج٣ ص١٦٣ب٦٥.

٤. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٨٦.

من علومه عليه السلام

كلام أبي حنيفة

روى المزّي في تهذيب الكمال، قال: حدّثني إبراهيم بن محمد الرمّاني أبو نجيح، قال: سمعت حسن بن زياد يقول: سمعت أبا حنيفة، وسُئل: من أفقه من رأيت؟

فقال: ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد؛ لمّا أقدمه المنصور الحيرة بعث إلي؛ فقال: يا أبا حنيفة، إنّ الناس قد فُتنوا بجعفر بن محمد؛ فهيىء له من مسائلك الصعاب. قال: فهيأت له أربعين مسألة، ثمّ بعث إلي أبو جعفر، فأتيته بالحيرة، فدخلت عليه، وجعفر جالس عن يمينه، فلمّا بصرت بهما؛ دخلني لجعفر من الهيبة ما لم يدخل لأبي جعفر! فسلّمت، وأُذن لي؛ فجلست، ثمّ التفت إلى جعفر؛ فقال: يا أبا عبد الله، تعرف هذا؟

قال: نعم، هذا أبو حنيفة. ثمّ أتبعها: قد أتانا.

ثمّ قال: يا أبا حنيفة، هات من مسائلك نسأل أبا عبد الله.

وابتدأت أسأله، وكان يقول في المسألة: أنتم تقولون: فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون: كذا وكذا، ونحن نقول: كذا وكذا.

فربّما تابعنا، وربّما تابع أهل المدينة، وربّما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على أربعين مسألة، ما أخرم منها مسألة.

ثمّ قال أبو حنيفة: أليس قد روينا: إنّ أعلم الناس؛ أعلمهم باختلاف الناس.[1]

---

١. تهذيب الكمال: ج٥ ص٧٩، ترجمة جعفر بن محمد عليهما السلام.

كلام المكّي

والسيّد عباس المكّي في نزهة الجليس، قال:

الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أحدالأئمّة الإثني عشر، كان من سادات أهل البيت عليهم السلام، ولُقّب بالصادق؛ لصدقه في مقالته. وفضله أشهر من نار على علم. كيف لا وهو ابن سيّد الأُمم، وله كلام في صفة الكيمياء والجفر... وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيّان الصوفي الطرطوسي قد ألّف كتاباً يشتمل على ألف ورقة يتضمّن رسائل الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وهي خمسمائة رسالة.[1]

وفيه أيضاً: توفي الإمام جعفر الصادق بن محمّد الباقر عليهما السلام سنة ثمان وأربعين ومائة، وصنّف الخافية في علم الحروف، وقد ازدحم على بابه العلماء، واقتبس من مشكاة أنواره الأصفياء، وكان يتكلّم بغوامض الأسرار والعلوم الحقيقية وهو ابن سبع سنين، وقد جعل في خافيته الباب الكبير «أ ب ت ث» إلى آخرها، والباب الصغير «أبجد هوّز» إلى «قرشت» وهو مصوّب ومقلوب.

من كلامهم: الوفاء شيمة الأخيار، وصفة الأبرار.[2]

كلام الشيخ الرشدي

والشيخ مصطفى الرشدي الدمشقي في الروضة النديّة، قال:

الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان فارس ميدان العلوم، غوّاص بحري المنطوق والمفهوم، نقل عنه أكثر الناس على اختلاف مذاهبهم من العلوم ما سارت به

---

١. نزهة الجليس: ج٢ ص٣٥.

٢. نزهة الجليس: ج١ ص٥٠.

الركبان، وانتشر ذكره في سائر الأقطار والبلدان، وقد جمع أسماء من يروي عنه؛ فكانوا أربعة آلاف رجل.[١]

كلام القندوزي

والقندوزي الحنفي في ينابيع المودّة، قال:

وفي المناقب مسنداً عن عبد الأعلى بن أعين، قال: سمعت جعفر الصادق عليه السلام يقول: قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أعلم كتاب الله، وفيه بدء الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر الجنّة، وخبر النار، وخبر ما كان وما يكون، وأنا أعلم ذلك كلّه، كأنّما أنظر إلى كفّي، إنّ الله يقول: فيه تبيان كلّ شيء،[٢] ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾،[٣] فنحن الذين اصطفانا الله جلّ شأنه، ونحن أُورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كلّ شيء.[٤]

علمه عليه السلام بالجفر، والأعداد

روى الشيخ سليمان القندوزي في ينابيع المودّة، قال:

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: منّا الجفر الأبيض، ومنّا الجفر الأحمر، ومنّا الجفر الجامع.

---

١. الروضة النديّة: ص١٢.

٢. إقتباساً من قوله تعالى في سورة النحل، الآية: ٨٩، حيث قال عزّ وجلّ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

٣. سورة فاطر، الآية: ٣٢.

٤. ينابيع المودّة: ج٣ ص٣٦٢ ب٨٩.

وكانت الأئمّة الراسخون من أولاده ـ يعني، الإمام الصادقعليه السلام ـ يعرفون أسرار هذا الشأن العظيم.

ولمّا كتب بعض الخلفاء ـ المأمون بن هارون ـ إلى عليّ بن موسى الرضاعليه السلام على أن يُبايعه، فقالعليه السلام: إنّك عرفت من حقوقنا ما لم يعرفه آباؤك، وإنّك تريد المبايعة لي؛ إلاّ أنّ الجفر الجامع لا يدلّ على مبايعتك...

وقال الإمام جعفر الصادقعليه السلام: علمنا غابر، ومزبور، وكتاب مسطور، في رقّ منشور، ونكت في القلوب، ومفاتيح أسرار الغيوب، ونقر في الأسماع، ولا ينفر عنه الطابع، وعندنا الجفر الأبيض، والجفر الأحمر، والجفر الأكبر، والجفر الأصغر، ومنّا الفرس والغوّاص، والفارس القنّاص ـ أي، الصيّاد ـ فافهم هذا اللسان الغريب، والبيان العجيب.

قيل: إنّ الجفر يظهر آخر الزمان مع الإمام محمّد المهديعجل الله فرجه، ولا يعرفه على الحقيقة إلاّ هو... وإنّ الإمام جعفر الصادقعليه السلام وضع وفقاً مسدّساً على عدد حرف ألف[1] الذي هو «كافي» وكانعليه السلام يُخرج منه علوماً كالبحار الزواخر. وإن أردت حلّه على الحقيقة فانظر في كتاب «شقّ الجيب»[2] يظهر لك سرّ ذلك...

وقد أودع الإمام جعفر الصادقعليه السلام في السرّ الأكبر من الجفر الأحمر سرّاً كبيراً، ولا يُنبّئك إلاّ مثله إمام خبير....[3]

---

١. يعني، عدد «١١١» وهوحروف كلمة «ألف». و«كافي» بحساب الأبجد الكبير.

٢. كتاب لمحيي الدين بن العربي؛ يعني بالأسرار والفيوضات المولويّة على أهل العنايات الربّانيّة.

٣. راجع ينابيع المودّة: ج٣ ص٢٠٣ـ٢٢٤ ب٦٨، في إيراد بعض ما في كتاب الدرّ المكنون والجوهر المصون لحلّ الصحيفات الجفريّة بالقواعد الجعفريّة للشيخ محيي الدين بن العربي الطائي الحنفي الأندلسي.

كلام ابن الصبّاغ المالكي

وقال ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة:

وقد نقل بعض أهل العلم: إنّ كتاب الجفر الذي بالمغرب يتوارثونه بنو عبد المؤمن بن علي؛ هو من كلام جعفر بن محمد عليهما السلام، وله فيه المنقبة السنيّة، والدرجة التي هي في مقام الفضل عليّة.[١]

كلام السهالوي

وقال محمد مبين السهالوي في وسيلة النجاة:

وقال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: علمنا غابر ومزبور، ونكت في القلوب، ونقر في الأسماع، وإنّ عندنا الجفر الأحمر، والجفر الأبيض، ومصحف فاطمة، وإنّ عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس إليه.[٢]

علمه عليه السلام بالغيب

إخباره بملك بني العباس

روى ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة، قال:

ومن مكاشفاته:

إنّ ابن عمّه عبد الله المحضّ كان شيخ بني هاشم، وهو والد محمد الملقّب بـ«النفس الزكية» ففي آخر دولة بني أُميّة وضعفهم أراد بنو هاشم مبايعة محمد

---

١. الفصول المهمّة: ص٢٠٥، ونور الأبصار: ص١٩٨.

٢. وسيلة النجاة: ص٣٤٩.

وأخيه، وأُرسل لجعفر ليبايعهما؛ فامتنع، فاتّهم أنّه يحسدهما؛ فقال عليه السلام:

والله، ليست لي ولهما؛ إنّها لصاحب القباء الأصفر، ليلعبنّ بها صبيانهم وغلمانهم. وكان المنصور العباسي يومئذ حاضراً وعليه قباء أصفر، فما زالت كلمة جعفر تعمل فيه حتّى ملكوا.

وسبق جعفر عليه السلام إلى ذلك والده الباقر عليه السلام، فإنّه أخبر المنصور بملك الأرض شرقها وغربها، وطول مدّته، فقال له: وملكنا قبل ملككم؟ قال: نعم. قال: ويملك أحد من ولدي؟ قال: نعم. قال: فمدّة بني أُميّة أطول أم مُدّتنا؟ قال: مدّتكم، وليلعبنّ بهذا الملك صبيانكم كما يلعب بالأكرة؛ هذا ما عهد إليّ أبي. فلما أفضت الخلافة للمنصور بملك الأرض؛ تعجّب من قول الباقر عليه السلام.[١]

ورواه القندوزي في ينابيعه.[٢]

من الأعلام الذين آخذوا عنه عليه السلام

كلام أبو نعيم

قال أبو نعيم في حلية الأولياء:

روى عن جعفر عليه السلام عدّة من التابعين، منهم: يحيى بن سعيد الأنصاري، وأيوب السختياني، وأبان بن تغلب، وأبو عمر بن العلاء، ويزيد بن عبد الله بن الهاد.

وحدّث عنه من الأئمّة والأعلام: مالك بن أنس، وشعبة بن الحجّاج، وسفيان الثوري، وابن جريج، وعبد الله بن عمر، وروح بن القاسم، وسفيان بن عُيينة،

---

١. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٨٨.

٢. ينابيع المودّة: ج٣ ص٥٠ ب٦٠.

وسليمان بن بلال، وإسماعيل بن جعفر، وحاتم بن إسماعيل، وعبد العزيز بن المختار، ووهب بن خالد، وإبراهيم بن طهمان في آخرين، وأخرج عنه مسلم بن الحجّاج في صحيحه محتجّاً بحديثه.[١]

كلام الخطيب التبريزي

وقال الخطيب التبريزي العمري في إكمال الرجال:

جعفر الصادق، هو: جعفر بن محمّد، بن الحسين، بن عليّ، بن أبي طالب عليهم السلام الصادق. كنيته: أبو عبد الله. كان من سادات أهل البيت، روى عن أبيه وغيره، سمع منه الأئمّة الأعلام نحو يحيى بن سعيد، وابن جريج، ومالك بن أنس، والثوري، وابن عيينة، وأبو حنيفة.[٢]

كلام ابن طلحة الشافعي

وقال محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول:

استفاد منه ـ أي، من الإمام الصادق عليه السلام ـ جماعة من الأئمّة وأعلامهم، مثل يحيى بن سعيد الأنصاري، وابن جريج، ومالك بن أنس، والثوري، وابن عُيينة، وشعبة، وأيّوب السختياني، وغيرهم، وعدّوا أخذهم عنه عليه السلام منقبة شُرّفوا بها، وفضيلة اكتسبوها.[٣]

---

١. حلية الأولياء: ج٣ ص١٩٨.

٢. إكمال الرجال: ص٦٢٣.

٣. مطالب السؤول: ص٨١.

كلام الأفغاني

وقال السيّد محمد عبد الغفّار الأفغاني في أئمّة الهدى:

لقد كان الإمام جعفر الصادقعليه السلام بحراً زاخراً في العلم، حيث أخذ عنه أربعة آلاف شيخ، فرووا عنه الحديث الشريف، ومنهم أعلام العلم، كالإمام الأعظم أبي حنيفة، والإمام مالك بن أنس، والإمام سفيان الثوري، وغيرهم من أجلّة العلماء.[١]

كلام ابن حجر

وقال ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب:

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالبعليهم السلام الهاشمي العلوي، أبو عبد الله المدني الصادق... وعنه شعبة، والسفيانان، ومالك ـ ابن أنس إمام المالكيّة ـ وابن جريج، بو حنيفة، وابنه موسىعليه السلام، ووهيب بن خالد، والقطّان، وأبو عاصم، وخلق كثير، وروى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري، وهو من أقرانه، ويزيد بن الهاد.[٢]

كلام الذهبي

والذهبي في تذكرة الحفّاظ، قال: جعفر بن محمد بن علي بن الشهيد الحسين، بن علي بن أبي طالبعليهم السلام، الهاشمي، الإمام، أبو عبد الله، العلوي، المدني، الصادقعليه السلام، أحد السادة الأعلام، وعنه أخذ مالك ـ ابن أنس ـ والسفيانان، وحاتم بن إسماعيل، ويحيى القطّان، وأبو عاصم النبيل، وخلق

---

١. أئمّة الهدى: ص١١٧.

٢. تهذيب التهذيب: ج٢ ص٨٨.

كثير... وعن أبي حنيفة، قال: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد.[١]

كلام الشبراوي الشافعي

وقال الشبراوي الشافعي في الإتحاف بحبّ الأشراف:

السادس من الأئمّة: جعفر الصادق عليه السلام، ذو المناقب الكثيرة، والفضائل الشهيرة. روى عنه الحديث أئمّة كثيرون، مثل مالك بن أنس، وأبي حنيفة، ويحيى بن سعيد، وابن جريج، والثوري، وابن عُيينة، وشعبة، وغيره.[٢]

كلام محمد المخلوف

وقال محمد بن محمد المخلوف في طبقات المالكيّة:

أبو عبد الله مالك بن أنس... صحب جعفر الصادق عليه السلام وروى عنه، وهو عن أبيه محمد، وهو عن أبيه زين العابدين، وهو عن أبيه الحسين، وهو عن أبيه وجدّه عليهم السلام.[٣]

كلام أبي محمد زهرة

وقال الشيخ أبو محمد زهرة المالكي في كتابه: مالك، حياته وعصره:

إنّ مالك ليروي: إنّه أخذ عن جعفر الصادق بن محمد الباقر عليهما السلام مع ما علمت من أنّه لم يكن في منهجه يُرضي العلويين، بل يكاد يُناقض طريقهم؛ ولكن ذلك لم يمنعه من أن يأخذ عن جعفر عليه السلام، وأن يتأثّر طريقه، وأن يذكره بأحسن

---

١. تذكرة الحفّاظ: ج١ ص١٦٦.

٢. الإتحاف بحبّ الأشراف: ص٥٤.

٣. طبقات المالكيّة: ص٥٢.

ما يذكر طالب شيخه المقتدى به... إلى أن قال: وكان مالك متّصلاً بجعفر الصادقعليه السلام، وروى عنه.[1]

في عبادته وزهدهعليه السلام

كلام أبي نعيم

وقال أبو نعيم في حلية الأولياء:

الإمام الناطق، ذو الزمان السابق، أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادقعليه السلام، أقبل على العبادة والخضوع، وآثر العزلة والخشوع.[2]

كلام سبط ابن الجوزي

وقال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواصّ:

وكنيته أبو عبد الله، وقيل: أبو إسماعيل، ويُلقّب بـ : الصادق، والصابر، والفاضل، والطاهر. وأشهر ألقابه: الصادق... قال علماء السير: كانعليه السلام قد اشتغل بالعبادة عن طلب الرئاسة.[3]

كلام المالكي المصري

قال أبو محمد زهرة المالكي المصري في كتابه: مالك، حياته وعصره:

فقد قال مالك: ولقد اختلفت إليه ـ أي، إلى الصادقعليه السلام ـ زماناً، فما كنت

---

١. مالك، حياته وعصره: ص١٠٤.

٢. حلية الأولياء: ج٣ ص١٩٢.

٣. تذكرة الخواصّ: ص٣٥١.

أراه إلا على ثلاث خصال: إمّا مصليّاً، وإمّا صائماً، وإمّا يقرأ القرآن. وما رأيته قد يُحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلا على الطهارة، ولا يتكلّم فيما لا يعنيه. وكان من العلماء العُبّاد الزهّاد الذين يخشون الله.[1]

من سخائه وجوده وكرمه عليه السلام

منتهى الإيثار

روى أبو نعيم في حلية الأولياء، قال: حدّثنا أبي، حدّثنا أبو الحسن بن أبان، حدّثنا أبو بكر بن عبيد، حدّثنا محمد بن الحسن البرجلاني، حدّثنا يحيى بن أبي بكر، عن الهيّاج بن بسطام، قال: كان جعفر بن محمد عليهما السلام يُطعم حتّى لا يبقى لعياله شيء.[2]

ورواه سبط ابن الجوزي في التذكرة. ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول.[3]

لايستردّ ما أخرجه عليه السلام من يده

روى ابن هوازن الشافعي في الرسالة القُشيريّة، قال:

وقيل: إنّ رجلاً نام بالمدينة ـ وكان ـ من الحاجّ، فتوهّم أنّ هميانه سُرق، فخرج فرأى جعفر الصادق عليه السلام، فتعلّق به، وقال: أخذت همياني.

فقال عليه السلام ايش كان فيه؟

---

١. مالك حياته وعصره: ص١٠٤.

٢. حلية الأولياء: ج٣ ص١٩٤.

٣. تذكرة الخواصّ: ص٣٥٢، مطالب السؤول: ص٨٢.

فقال: ألف دينار.

فأدخله داره، ووزن له ألف دينار، فرجع الرجل إلى منزله ودخل بيته، فـرأى هميانه في بيته، وقد كان توهّم أنّه سُرق.

فخرج إلى جعفر عليه السلام معتذراً، وردّ عليه الدنانير، فأبى عليه السلام أن يقبلها، وقال عليه السلام: شيء أخرجته من يدي لا أسترده.

فقال الرجل: مَن هذا؟

فقيل: جعفر الصادق عليه السلام.[1]

ورواه مصطفى بن محمد العروسي في نتائج الأفكار القدسيّة. وعبد الله بن أسعد اليماني في الإرشاد والتطريز. والمعمار البغدادي في كتاب الفتوّة. وأبو بكر جمال الدين الخوارزمي في مفيد العلوم، وفيه: قال: إنّ الرجل كان همدانياً، وقال: فقال جعفر عليه السلام: كلا، ليس من المروءة أن يرجع الرجل في شيء قد وهبه.[2]

كظمه، وعفوه، وإحسانه عليه السلام

قال تقي الدين الحموي الحنفي في ثمرات الأوراق:

وحُكي عن جعفر الصادق عليه السلام: إنّ غلاماً له وقف يصبّ الماء على يديه، فوقع الإبريق من يد الغلام في الطشت، فطار الرشاش في وجهه عليه السلام، فنظر جعفر عليه السلام إليه نظرة مُغضب...

---

١. الرسالة القُشيريّة: ص١١٤.

٢. نتائج الأفكار القدسيّة: ج٣ ص١٧٣. الإرشاد والتطريز: ص١١١. الفتوّة: ص٢٦٣. مفيد العلوم: ص٢٤٤.

فقال ـ الغلام ـ : يا مولاي، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾[1].

قال عليه السلام: كظمت غيظي.

قال: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[2].

قال عليه السلام: عفوت عنك.

قال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

قال عليه السلام: اذهب، فأنت حرّ لوجه الله الكريم.[4]

ورواه الأبهيشي في المستطرف. ويوسف بن محمد الأندلسي في ألف باء.[5]

أخلاق الأنبياء

روى سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواصّ، قال:

ومن مكارم أخلاقه عليه السلام ما ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار عن الشقراني مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، قال:

خرج العطاء أيّام المنصور ـ الدوانيقي ـ ومالي شفيع، فوقفت على الباب مُتحيّراً، وإذا بجعفر بن محمد عليهما السلام قد أقبل، فذكرت له حاجتي، فدخل عليه السلام؛ وإذا بعطائي في كُمّه، فناولني إيّاه، وقال عليه السلام: إنّ الحسن من كلّ أحد حسن وأنّه منك أحسن؛ لمكانك منّا، وإنّ القبيح من كلّ أحد قبيح وأنّه منك أقبح؛ لمكانك منّا.

وإنّما قال له جعفر عليه السلام ذلك لأنّ الشقراني كان يشرب الشراب. فمن مكارم

---

١. سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

٢. سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

٣. سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

٤. ثمرات الأوراق: ج٢ ص٢٢٣.

٥. المستطرف: ج١ ص١٧٥. ألف باء: ج٢ ص٣٩٩.

أخلاق جعفر عليه السلام أنّه رحّب، وقضى حاجته مع علمه بحاله، ووعظه على وجه التعريض، وهذا من أخلاق الأنبياء عليهم السلام.[١]

ورواه ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه.[٢]

فتوّته عليه السلام

روى عبد الكريم بن هوازن القُشيري في الرسالة القُشيريّة، قال:

سأل شقيق البلخي جعفر بن محمد عليهما السلام عن الفتوّة.

فقال عليه السلام: ما تقول أنت؟

فقال شقيق: إن أُعطينا وإن مُنعنا؛ صبرنا.

قال جعفر عليه السلام: الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل.

فقال شقيق: يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ما الفتوّة عندكم؟

فقال عليه السلام: إن أُعطينا؛ آثرنا، وإن مُنعنا؛ شكرنا.[٣]

ورواه اليافعي في الإرشاد والتطريز. والمعتزلي في شرحه على النهج. والشامي في سبل الهدى. والزبيدي الحنفي في اتحاف السادة المتّقين، وزاد: وفي بعض النُسخ: فقال شقيق: الله أعلم حيث يجعل رسالته.[٤]

---

١. تذكرة الخواصّ: ص٣٤٥.

٢. شرح نهج البلاغة: ج١٨ ص٢٠٥.

٣. الرسالة القشيرية: ص١١٥.

٤. الإرشاد والتطريز: ص١١١. شرح نهج البلاغة: ج١١ ص٢١١. سبل الهدى والرشاد: ج١ ص٤٧٤. اتحاف السادة المتّقين: ج٩ ص٣١٢.

لبسنا هذا لله

روى أبو نعيم في حلية الأولياء، قال: حدّثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفي، حدّثنا محمد بن أحمد بن مكرم الضبيّ، حدّثنا علي بن عبد الحميد، حدّثنا موسى بن مسعود، حدّثنا سفيان الثوري، قال:

دخلت على جعفر بن محمد عليهما السلام وعليه جبّة خزّ دكناء، وكساء خزّ ابرجاني، فجعلت أنظر إليه معجباً!

فقال لي: يا ثوري! مالك تنظر إلينا، لعلك تعجب ممّا رأيت!؟

قال: قلت: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، ليس هذا من لباسك، ولا لباس آبائك!

فقال عليه السلام لي: يا ثوري! كان ذلك زمان مفقراً مفتراً[١]، وكانوا يعملون على قدر افقاره وافتاره، وهذا زمان قد أقبل، كلّ شيء فيه عزّ إليه. ثمّ حسره[٢] عن ردن جبّته؛ وإذا تحتها جبّة صوف بيضاء، يقصر الذيل عن الذيل، والردن عن الردن، فقال لي: يا ثوري! لبسنا هذا لله، وهذا لكم. فما كان لله؛ أخفيناه، وما كان لكم؛ فأبديناه.[٣]

ورواه الذهبي في تذكرة الحفّاظ. ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول. وابن الأثير في المختار في مناقب الأخيار.[٤]

---

١. الفتر: الضعف.

٢. حسر الشيء: كشفه.

٣. حلية الأولياء: ج٣ ص١٩٣.

٤. تذكرة الحفّاظ: ج١ ص١٥٨. مطالب السؤول: ص٨٢. المختار في مناقب الأخيار: ص١٧.

في كراماته عليه السلام

مع المنصور الدوانيقي

روى الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة، قال:

دعى أبو جعفر المنصور وزيره ليلة، وقال: ايتني جعفر الصادق عليه السلام أقتله.

قال: هو رجل أعرض عن الدنيا وتوجّه لعبادة المولى، فلا يضرّك.

قال المنصور: إنّك تقول بإمامته. والله، إنّه إمامك، وإمامي، وإمام الخلائق أجمعين. والملك عقيم! فأتني به.

قال الوزير: فذهبت ودخلت عليه فوجدته عليه السلام في الصلاة، وبعد فراغه قلت له: يدعوك أميرالمؤمنين!

فقام عليه السلام وانطلق بي، وقبل مجيئه قال المنصور لعبيده: إذا رفعت قلنسوتي عن رأسي؛ اقتلوه.

قال الوزير: لمّا جئنا بالباب استقبله المنصور، وأخلّه، وأجلسه في الصدر، وركع بين يديه، فقال: سل حاجتك يا بن رسول الله!

قال عليه السلام: حاجتي أن لا تدعني حتّى آتيك باختياري، وخلّيتني بيني وبين عبادة ربّي.

قال: لك ذلك. وانصرف، واقشعرّ المنصور ونام، وألقينا عليه الأثواب، وقال لي: لا تذهب حتّى أن أستيقظ! فنام نومة طويلة حتّى فاتت صلاته من الأوقات الثلاثة، ثمّ انتبه وتوضّأ وصلّى الفائتة، فسألته: ما وقع لك؟

قال: لمّا قدم الصادق عليه السلام في داري رأيت ثعباناً عظيماً أحد شفتيه فوق

الصفة[1]، والآخر تحتها، ويقول بلسان فصيح: إن آذيته ابتلعتك مع الصفة.[2]

ورواه محمد مبين السهالوي في وسيلة النجاة.[3]

وروى الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام، قال: عن السيّد أبي طالب هذا، أخبرنا أحمد بن عبد الله الإصفهاني، حدّثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، حدّثني أبي، حدّثني الحسن بن الفضل مولى الهاشميين بالمدينة سنة خمس عشرة ومائتين هجريّة، حدثني عليّ بن موسى بن جعفر، عن أبيه عليهم السلام، قال:

أرسل أبو جعفر الدوانيقي إلى جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ليقتله، وطرح سيفاً ونطعاً[4]، وقال لحاجبه الربيع: يا ربيع، إذا أنا كلّمته، ثمّ ضربت بإحدى يدي على الأخرى؛ فاضرب عُنقه.

فلمّا دخل جعفر بن محمد عليهما السلام فنظر إليه من بعيد، نزق أبو جعفر على فراشه ـ أي، تحرك ـ وقال: مرحباً وأهلاً وسهلاً بك يا أبا عبد الله، ما أرسلنا إليك إلاّ رجاء أن نقضي دَينك! ثمّ سأله مسألة لطيفة عن أهل بيته، وقال له: قد قضى الله دينك، وأخرج جائزتك. يا ربيع، لا تمض ثالثة حتى يرجع جعفر بن محمد عليهما السلام إلى أهله.

فلمّا خرج هو عليه السلام والربيع، قال له ـ الربيع ـ : يا أبا عبد الله، أرأيت السيف والنطع؟ إنّما كانا وضعا لك، فأي شيء رأيتك تحركّت به شفتاك؟

قال عليه السلام: يا ربيع، لمّا رأيت الشرّ في وجهه، قلت:

---

١. الصفة: من البنيان شبه البهو الواسع الطويل السمك. لسان العرب لابن منظور: ج٩ ص١٩٥ «مادّة صفف».

٢. ينابيع المودّة: ج٣ ص١٦٢ ب٦٥.

٣. وسيلة النجاة: ص٣٣٥.

٤. النطَع: بساط من الجلد يُفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب أو بقطع الرأس.

حسبي الربّ من المربوبين، حسبي الخالق من المخلوقين، حسبي الرازق من المرزوقين، حسبي الله ربّ العالمين، حسبي مَن هو حسبي، حسبي من لم يزل حسبي، حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكّلت وهو ربّ العرش العظيم.

قال الخوارزمي:

وفي رواية أُخرى: إنّ الربيع قال للدوانيقي: ما بدا لك يا أميرالمؤمنين حيث أبسطت إلى جعفر بن محمدعليهما السلام بعد ما أضمرت له ما أضمرت!؟

قال: والله، لقد رأيت قُدّامه أسدين فاغرين فمّيهما[1]، فلو هممت به سوءً لابتلعاني، فلذلك تضرّعت له، وفعلت ما فعلت.[2]

هلاك الساعي بهعليه السلام

روى ابن حجر في الصواعق المحرقة، قال: وسُعي به عند المنصور لمّا حجّ، فلمّا حضر الساعي به يشهد، قال له: أتحلف؟ قال: نعم. فحلف بالله العظيم إلى آخره، فقال: أُحلّفه يا أمير... بما أراه؟ فقال له: حلّفه.

فقالعليه السلام له: قُل برئت من حول الله وقوّته، والتجأت الى حولي وقوّتي لقد فعل جعفر كذا وكذا، وقال كذا وكذا. فامتنع الرجل، ثمّ حلف، فما تمّ حتى مات مكانه، فقال أمير... لجعفر: لا بأس عليك أنت المُبرّأ الساحة، المأمون الغائلة.[3]

وروى ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة، قال: حدّث عبد الله بن الفضل بن الربيع، قال:

---

١. فغر فاه: فتحه.

٢. مقتل الحسينعليه السلام: ج٢ ص١١٣.

٣. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٨٦.

حجّ المنصور ـ الدوانيقي ـ في سنة سبع وأربعين ومائة، وقدم المدينة، وقال للربيع: إبعث إلى جعفر بن محمد عليهما السلام من يأتينا به سعياً، قتلني الله إن لم أقتله!

فأرسل إليه الربيع، فلمّا حضر عليه السلام، قال له الربيع: يا أبا عبد الله، اذكر الله تعالى، فإنّه قد أرسل إليك لما لا دافع له غير الله؛ وإنّي لأتخوف عليك...

فقال جعفر عليه السلام: إنّ سليمان أُعطي فشكر، وإنّ أيّوب ابتلي فصبر، وإنّ يوسف ظُلم فغفر، فهؤلاء أنبياء الله وإليهم يرجع نسبك، ولك فيهم أُسوة حسنة. فقال المنصور: أجل، لقد صدقت يا أبا عبد الله. ارتفع إلي ههنا عندي، ثمّ قال: إنّ فلان الفلاني أخبرني عنك بما قلت لك.

فقال عليه السلام: أحضره... فاحضر الرجل الذي سعى به إلى المنصور... قال جعفر عليه السلام: فاستحلفه على ذلك.

فبدر الرجل وقال: والله العظيم الذي لا إله إلاّ هو عالم الغيب والشهادة، والواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأخذ يعدّ صفات الله.

فقال جعفر عليه السلام:... يحلف بما استحلف به ويُترك يمينه هذا.

فقال المنصور: حلّفه بما تختار.

فقال جعفر عليه السلام: قُل: برئت من حول الله وقوّته، والتجأت إلى حولي وقوّتي لقد فعل كذا وكذا.

فامتنع الرجل، فنظر إليه المنصور منكراً، فحلف بها، فما كان بأسرع من أن ضرب برجله الأرض، وقضى ميّتاً مكانه في المجلس.

فقال المنصور: جرّوا برجله، وأخرجوه، لعنه الله.[1]

---

١. الفصول المهمّة: ص٢٠٧.

ورواه ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة. والقاضي التنوخي في الفرج بعد الشدّة. وابن الجوزي في تذكرة الخواصّ، وصفة الصفوة. وابن الأثير الجزري في المختار. والنبهاني في جامع كرامات الأولياء، ثمّ قال: ومنها: إنّ بعض البُغاة قتل مولاه، فلم يزل ليلته يُصلّي، ثمّ دعا عليه عند السحر؛ فسمعت الضجّة بموته.[١]

وروى عبد الكريم الرافعي في التدوين، قال: محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الرازي أبو بكر، يروي عن أبي بكر بن خلاّد، قدم قزوين وحدّث بها...:

وسعى رجل بجعفر بن محمدعليهما السلام إلى أبي جعفر ـ الدوانيقي ـ بأنّه قال فيك، ونال منك.

فأُحضر جعفرعليه السلام.

فقال جعفرعليه السلام: معاذ الله.

فقال الساعي: بلى نلت من أميرالمؤمنين، قلت فيه كذا وكذا.

فقال جعفرعليه السلام: حلّفه، ثمّ افعل ما شئت، فحلّف الرجل.

فقال له جعفرعليه السلام: إن حلفت كاذباً؛ أخرج الله منك كلّ قوّة أعطاك؟

قال: نعم، فقام الرجل من ساعته أعمى، أصم، أشلّ، أعرج، وخطا خطوتين وارتعد، وسقط، ومات.[٢]

---

١. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٨٧. الفرج بعد الشدّة: ص٧٠. تذكرة الخواصّ: ص٣٤٣. صفة الصفوة: ج٢ ص١٧١. المختار في مناقب الأخيار: ص١٨. جامع كرامات الأولياء: ج٢ ص٤.

٢. التدوين في أخبار قزوين: ج١ ص١٥١.

هلاك داود العبّاسي[١]

روى ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة، قال: روي أنّ داود بن علي بن ـ عبد الله بن ـ العباس قتل المعلّى بن خُنيس ـ مولاً كان لجعفر الصادق عليه السلام ـ فأخذ ماله، فبلغ ذلك جعفراً، فدخل عليه السلام إلى داره، ولم يزل ليله كلّه قائماً إلى الصباح، ولمّا كان وقت السحر سُمع منه وهو يقول في مناجاته:

يا ذا القوّة القويّة، ويا ذا المحال الشديد، ويا ذا العزّة التي كلّ خلقك لها ذليل، اكفنا هذه الطاغية، وانتقم لنا منه.

فما كان إلاّ أن ارتفعت الأصوات بالصراخ والعويل؛ وقيل: مات داود.[٢]

ورواه الشبلنجي في نور الأبصار. ومحمّد مبين الهندي في وسيلة النجاة.[٣]

هلاك الحكم الكلبي

روى ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة، قال:

ولمّا بلغ جعفر الصادق عليه السلام قول الحكم بن عباس الكلبي:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ... ولم أر مهديّاً على الجذع يُصلب

فرفع جعفر عليه السلام يديه إلى السماء، وهما ترتعشان، فقال: اللهمّ، سلّط على الحكم بن العباس الكلبي كلباً من كلابك.

---

١. داود بن علي بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب، أبو سليمان، الهاشمي، العبّاسي. أمير مكّة، والمدينة، واليمن، واليمامة، والكوفة. ولي ذلك لابن أخيه أبي العبّاس السفّاح، فالكوفة أوّلاً ثمّ البقيّة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وفعل بالحرمين أفعالاً ذميمة. راجع التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي: ج١ ص٣٢٨ رقم١١٧٢، ترجمة داود بن علي.

٢. الفصول المهمّة: ص٢٠٨.

٣. نور الأبصار: ص١٩٨، وسيلة النجاة: ص٣٥٧.

فبعثه بنو أُميّة إلى الكوفة؛ فافترسه الأسد في الطريق، واتّصل ذلك بالصادقعليه السلام، فخرّ ساجداً، وقال: الحمد لله الذي أنجز ما وعدنا.[1]

وروى الحمويني في فرائد السمطين، قال: رأيتُ بخطِّ جدّ والدي شيخ الإسلام معين الدين أبي بكر عبد الله بن عليّ بن محمّد بن حمويه، قال: قال الحكم بن العباس الكلبي:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ... ولم أر مهديّاً على الجذع يُصلب
وقستم بعثمان عليّاً سفاهة ... وعثمان خير من علي وأطيب

فبلغ قوله أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادقعليه السلام؛ فرفع يديه إلى السماء وهما ترعشان، فقال: اللهمّ، إن كان عبدك كاذباً فسلّط عليه كلبك.

فبعثه بنو أُميّة إلى الكوفة، فبينا هو يدور في سككها إذ افترسه الأسد، واتّصل خبره بجعفرعليه السلام؛ فخرّ لله ساجداً، ثمّ قال: الحمدُ لله الذي أنجزنا ما وعدنا.[2]

النخلة اليابسة

روى العلامة الهندي في وسيلة النجاة، قال: روي عن جماعة، قالوا: كُنّا مع جعفر بن محمدعليهما السلام في طريق مكّة، فنزلنا تحت نخلة يابسة، فتحرّك شفتاهعليه السلام؛ فكان يقرء دعاء لا نفهمه، فإذا توجّه إلى النخلة، فقال:

أطعمينا ممّا أودعه الله فيك. فصارت النخلة مثمرة، مملوة بالرطب، فنادانا، فقال: أقبلوا فكلوا بسم الله. فأكلنا؛ فوجدناها أطيب طعام أكلناه منذ اليوم، وكان هناك أعرابي؛ فأنكر عليه، وقال: هذا سحر مبين!

---

١. الفصول المهمّة: ص٢٠٨.

٢. فرائد السمطين: ج١ ص٣٩٢ رقم٣٢٩.

فقال عليه السلام: نحن ورثة الأنبياء، ندعو الله، فيُستجاب لنا، فإن شئت ندعو الله فيمسخك كلباً.

فقال الأعرابي: سل بذلك! فلمّا دعا عليه السلام؛ مُسخ الأعرابي كلباً، فأقبل إلى بيته؛ فكان أهله يضربونه بالعصا، فرجع الأعرابي عنده عليه السلام، ويسيل الدمع من عينيه، فترحم عليه السلام؛ فدعا، فأعاده الله إلى صورته.[١]

---

١. وسيلة النجاة: ص٣٥٨.

فصل في

درر كلماته عليه السلام الحكيمة

التي وردت في كتب العامّة

قوله عليه السلام في الإلهيات

نور الله

قال الراغب في المحاضرات: سُئل جعفر بن محمد عليهما السلام عن كيفيّة الله تعالى؟ فقال عليه السلام: نور لا ظلمة فيه، وحياة لا موت فيها.[1]

أسماء الله

قال أبو حاتم الرازي في الزينة: قال الصادق عليه السلام:

أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ اسم؛ بالحروف غير مبثوث، وباللفظ غير مُنطق، وبالشخص غير مُجسّد، وبالتسمية غير موصوف، وباللون غير مصبوغ، منفي، مُبعد منه الحدود، محجوب عنه حسّ كلّ متوهّم، مستتر غير مستور. فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معاً، ليس منها واحد قبل الآخر.

فأظهر منها ثلاثة أسماء؛ لفاقة الخلق إليها، وحجب واحداً منها؛ وهو الإسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التي أُظهرت، فالظاهر: هو الله عزّ وجلّ، وتبارك، وسُبحان. لكلّ اسم من هذه أربعة أركان، فذلك اثنا عشر ركناً. ثمّ خلق لكلّ ركن ثلاثين إسماً فعلاً منسوباً إليها، فهو الرحمن الرحيم الملك القدوس الخالق.[2]

في التوحيد

قال أبو طالب المكّي الحارثي في علم القلوب: قال الإمام الصادق عليه السلام:

---

١. المحاضرات: ج٤ ص٣٩٨.

٢. الزينة في الكلمات الإسلاميّة العربيّة: ص١٢٩.

ما كنت لأعبد ربّاً لم أره.

قال الأعرابي: كيف رأيته؟

قال عليه السلام: لم تره الأبصار بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يُدرك بالحواس، ولا يُقاس بالناس، ولكنّه معروف بالآيات، مشهور بالعلامات، لا جور في قضائه، ولا يحيف في حكمه، هو الواحد الذي لا إله إلاّ هو.[١]

تعالى الله عن ذلك

قال اليافعي في كتابيه: روض الرياحين، ونشر المحاسن الغالية: روينا عن الإمام الجليل ذي المجد، سلالة النبوّة، معدن الفضائل والعلوم والفتوّة، جعفر الصادق عليه السلام، إنّه قال:

مَن زعم أنّ الله سبحانه في شيء، أو من شيء، أو على شيء؛ فقد أشرك بالله. إذ لو كان على شيء؛ لكان محمولاً، ولو كان في شيء؛ لكان محصوراً، ولو كان من شيء؛ لكان محدثاً، وتعالى الله عن ذلك.[٢]

ورواه الصفوري في نزهة المجالس. ومحمّد شمس الدين الشافعي في الردّ الوافر. والسبكي في طبقات الشافعيّة.[٣]

الفاعل المختار

قال ابن سبعين المالكي في رسالة النصيحة:

جاء عن جعفر الصادق عليه السلام الذي حكاه جابر بن حيان: إنّه عليه السلام كان يتكلّم في

---

١. علم القلوب: ص٥٨.

٢. روض الرياحين: ص٢٤٤، ونشر المحاسن الغالية: ص٣٣٨.

٣. نزهة المجالس: ج١ ص٧. الرد الوافر: ص٣٥٦. طبقات الشافعيّة الكبرى: ج٩ ص٤٢.

جميع العلوم عُقيب الذكر. وسئل بعض الفلاسفة في يوم حضوره عليه السلام للناس بمحضر الجميع منهم، فقال له: ما دليلك على أنّ للعالم فاعلاً مختاراً، يختار حدوثه؟

فقال عليه السلام: أرأيت لو أنّا قدّرنا لهذا المُحدث الذي يختار ويُدبّر الأكوان وهو حكيم لا يغفل إلاّ الأولى، ويُتقن المصنوعات؛ أيّ شيء كان يظهر في هذا الوجود؟ وهذا منّي على صورة الفرض لا على أنّه على صورة الدليل.

قال له الفيلسوف: كان يفعل ما ينبغي، ويُتقن الأشياء، ويضع كلّ شيء في محلّه.

قال له جعفر الصادق عليه السلام: فقد كان ذلك، وما قدّرته قد وقع.[1]

الدليل على وجود الله

قال الزمخشري في ربيع الأبرار:

قال رجل لجعفر بن محمد عليهما السلام: ما الدليل على الله؟ ولا تذكر لي العالم، والعرض، والجوهر.

فقال عليه السلام له: هل ركبت البحر؟

قال: نعم.

قال: فهل عصفت بكم الريح حتّى خفتم الغرق؟

قال: نعم.

قال: فهل انقطع رجاؤك من المركب والملاّحين؟

قال: نعم.

---

١. رسالة النصيحة أو النوريّة: ص٩.

قال: فهل تتبّعت نفسك من يُنجيك؟

قال: نعم.

قال عليه السلام: فإنّ ذلك هو الله؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا﴾،[١] ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾[٢].[٣]

أدلّ دليل على وجود الله

قال ابن سبعين المالكي في رسالة النصيحة: وجاء عنه ـ أي، الصادق عليه السلام ـ : إنّه كان يوماً يذكر الله، فجاءه بعض الناس، فقال له: ما أقوى دليل على وجود الله الذي أنت ذاكره؟

قال عليه السلام له: وجودي؛ وذلك لأنّ وجودي حدث بعد أن لم يكن، بل فاعل يمتنع أن يُقال: فاعل وجودي أنا. لأنّه لا يخلو إمّا أن يُقال: أحدثت نفسي حالما كنت موجوداً، أو حالما كنت معدوماً. فإن أحدثت نفسي حالما كنت معدوماً؛ فالمعدوم كيف يكون موجداً للموجود؟ فدلّ على أنّ الذي أنا ذاكره هو الذي نشير إليه بالإشتقاق، وهو الصانع الفاعل لوجودي، ووجود غيري، وهو عزّ وجلّ ظاهر لا بتأويل المباشرة، باطن لا بتأويل المباعدة، يسمع بغير آلة، ويبصر بغير حدقة، لا تحدّه الصفات، ولا تأخذه السِنات، القديم وجوده، والأبدّ أزله، الذي أيّن الأين، لا يقال له: أين كان.[٤]

---

١. سورة الإسراء، الآية: ٦٧.

٢. سورة النحل، الآية: ٥٣.

٣. ربيع الأبرار: ص١١٣.

٤. رسالة النصحية: ص٩.

كلام الله

قال أبو حفص البغدادي في عوارف المعارف: وقال عليه السلام:

لقد تجلّى الله تعالى لعباده في كلامه ـ يعني، القرآن ـ ولكن لا يُبصرون.[١]

لا دنو، ولا بُعد

قال مصطفى العروسي في نتائج الأفكار: ومن كلامه عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾[٢]:

من ظنّ أنّه بنفسه ﴿دَنَا﴾ جعل ﴿ثُمَّ﴾ مسافة. إنّما التداني: إنّه كُلّما قرب منه؛ بعد عن أنواع المعارف. إذ لا دنو، ولا بعد.[٣]

مواعظ وحكم

إيّاكم والخصومة في الدين

قال الذهبي في تذكرة الحفّاظ: قال منصور بن أبي مزاحم: حدّثنا عُتبة الخثعمي، سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام، يقول:

إيّاكم والخصومة في الدين؛ فإنّها تُشغل القلب، وتُورث النفاق.[٤]

---

١. عوارف المعارف: ص١٦٥.

٢. سورة النجم، الآية: ٨.

٣. نتائج الأفكار القدسيّة: ج٢ ص٥٩.

٤. تذكرة الحفّاظ: ج١ ص١٦٧، ترجمة جعفر بن محمد عليهما السلام.

أكثر من الحمد والشكر

قال أبو نعيم في حلية الأولياء:

قال الصادق عليه السلام: إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها، فأكثر من الحمد والشكر عليها؛ فإنّ الله عزّ وجلّ قال في كتابه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]، وإذا استبطأت الرزق، فأكثر من الإستغفار؛ فإنّ الله تعالى قال في كتابه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[2].

يا سفيان، إذا حزنك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من: «لا حول ولا قوّة إلا بالله» فإنّها مفتاح الفرج، وكنز من كنوز الجنّة.

فعقد سفيان بيده، وقال: ثلاث، وأيّ ثلاث!!

قال جعفر عليه السلام: عقلها والله أبو عبد الله، ولينفعنّه الله بها.[3]

أصل الرجل

قال الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقّه:

وقال ـ أي، الصادق عليه السلام ـ: أصل الرجل؛ عقله. وحسبه؛ دينه. وكرمه؛ تقواه. والناس في آدم مستوون.[4]

---

١. سورة إبراهيم، الآية: ٧.

٢. سورة نوح، الآية: ١٠ـ١٢.

٣. حلية الأولياء: ج٣ ص١٩٣.

٤. الفقيه والمتفقّه: ج١ ص١١٩.

الرجال أربعة

قال ابن الجوزي في أخبار الحمقى:

وقال ـ الصادقعليه السلام ـ : الرجال أربعة، رجل يعلم ويعلم أنّه يعلم؛ فذلك عالم فتعلّموا منه، ورجل يعلم ولا يعلم أنّه يعلم؛ فذاك نائم فأنبهوه، ورجل لا يعلم ويعلم أنّه لا يعلم فذاك جاهل فعلّموه، ورجل لا يعلم ولا يعلم أنّه لا يعلم؛ فذاك أحمق فاجتنبوه.[1]

مودّة سنة

قال أبو البركات الغزّي الدمشقي في آداب العشرة:

وقالعليه السلام: مودّة يوم صلة، ومودّ سنة رحم ماسّة، من قطعها قطعه اللهعزّ وجلّ.[2]

الحذر من الناس

قال أبو إسحاق الأنصاري في غُرر الخصائص:

وقالعليه السلام لبعض إخوانه: أقلل من معرفة الناس، وأنكر من عرفت منهم، وإن كان لك مائة صديق؛ فاطرح منهم تسع وتسعين، وكن من الواحد على حذر.[3]

تمام المعروف

قال أبو نعيم في حلية الأولياء:

وقالعليه السلام: لسفيان الثوري: لا يتمّ المعروف إلاّ بثلاثة: بتعجيله، وتصغيره،

---

١. أخبار الحمقى والمغفّلين: ص٢٤.

٢. آداب العشرة وذكر الصحبة والأُخوة: ص٦٢.

٣. غرر الخصائص: ص٣٨٢.

وستره.[١]

عِزّ المسلم

قال القرطبي في بهجة المجالس:

وقال عليه السلام: ثلاثة لا يزيد الله بها الرجل المسلم إلاّ عزاً:

الصفح عمّن ظلمه، والإعطاء لمن حرمه، والصلة لمن قطعه.[٢]

أكرم نفسك

قال ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة:

وقال عليه السلام: مَن أكرمك؛ فأكرمه، ومَن استخفّ بك؛ فأكرم نفسك عنه.[٣]

بذل القليل

قال العلامة النويري في نهاية الإرب:

وقال عليه السلام: لا تستحي من بذل القليل، فإنّ الحرمان أقل منه.[٤]

يا ابن آدم

قال البغوي في تفسيره:

قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: يا ابن آدم، مالك تأسف على مفقود لا يردّه

---

١. حلية الأولياء: ج٣ ص١٩٨.

٢. بهجة المجالس: ج١ ص١٣٨.

٣. الفصول المهمّة: ص٢١٠.

٤. نهاية الإرب: ج٣ ص٢٠٤.

إليك الفوت، ومالك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت.[١]

خير السادة

قال أبو إسحاق الأنصاري في غُرر الخصائص الواضحة:

وقال: خير السادة؛ أرحبهم[٢] ذراعاً عند الضيق، وأعدلهم حلماً عند الغضب، وأبسطهم وجهاً عند المسألة، وأرحمهم قلباً إذا سلّط، وأكثرهم صفحاً إذا قدر.[٣]

حسن الجوار

قال أبو حيّان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة:

وقال: حسن الجوار؛ عمارة الديار، ومثراة المال.[٤]

الغضب

قال الزمخشري في ربيع الأبرار:

وقال: الغضب مفتاح كلّ شرّ.[٥]

---

١. تفسير البغوي: ج١ ص٤٠، مورد تفسير سورة الحديد، الآية: ٢٣.

٢. الرحب: السعة. ويُقال في الترحيب: مرحباً بك. أي، صادفت سعة ورحباً، فاستأنس ولا تستوحش. والرُحب: السعة. وأرحبهم: أي، أوسعهم استقبالاً وترحيباً عند الشدّة والضيق.

٣. غُرر الخصائص الواضحة: ص١٢.

٤. الإمتاع والمؤانسة: ج٢ ص١٣٠.

٥. ربيع الأبرار: ص١٧٣.

بين العفو والعقوبة

قال المُبرّد في الفاضل:

وقال عليه السلام: لئن أندم على العفو أحبّ إليّ من أن أندم على العقوبة.[١]

حاجة العدو

قال الزمخشري في ربيع الأبرار:

وقال عليه السلام: إنّي لأُسارع إلى حاجة عدوّي خوفاً من أن أردّه فيستغني منّي.[٢]

رأس الخير

قال النويري في نهاية الإرب:

وقال عليه السلام: رأس الخير؛ التواضع. فقيل له: ما التواضع؟

فقال عليه السلام: أن ترضى في المجلس بدون شرفك، وأن تُسلّم على مَن لقيت، وأن تترك المُراء وإن كنت محقّاً.[٣]

من صفات المؤمن

قال ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة:

وقال عليه السلام: المؤمن إذا غضب؛ لم يُخرجه غضبه عن حقّ، وإذا رضي؛ لم يُدخله رضاه في باطل.[٤]

---

١. الفاضل: ص٨٩.

٢. ربيع الأبرار: ص٣١٧.

٣. نهاية الإرب: ج٣ ص٢٣٦.

٤. الفصول المهمّة: ص٢١٠.

اليد الجائعة

قال مفتي الديار الحضرميّة، الإمام الشلي باعلوي في المشروع الرويّ:

وقال عليه السلام: لا تأكلوا من يد جاعت ثمّ شبعت.[١]

لا تغتم

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء:

وقال عليه السلام: إذا بلغك عن أخيك شيء يسوؤك؛ فلا تغتم، فإنّه إن كان كما يقول؛ كانت عقوبة عُجّلت، وإن كان على غير ما يقول؛ كانت حسنة لم تعملها.[٢]

عَزّت السلامة

قال ابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول:

قال عليه السلام: عزّت السلامة حتّى لقد خفي مطلبها، فإن تكن في شيء؛ فيوشك أن تكون في الخمول[٣]، فإن طُلبت في الخمول ولم توجد؛ فيوشك أن تكون في الصمت، وإن طُلبت في الصمت ولم توجد؛ فيوشك أن تكون في التخلّي، وإن طُلبت في التخلّي فلم توجد؛ فيوشك أن تكون في كلام السلف الصالح.

---

١. المشروع الرويّ: ج١ ص٣٥.

٢. سير أعلام النبلاء: ج٦ ص٢٦٤، ترجمة جعفر بن محمد عليهما السلام.

٣. الخمول: يعني، ترك الغرور، والعزوف عن الشهرة. يريد أن المؤمن المحمود من طبعه الغرارة وقلّة الفطنة للشرّ، وترك البحث عنه، وليس ذلك منه جهلاً، ولكنّه كرم، وحُسن خُلق. ومنه حديث الجنّة: يدخلني غرّة الناس. أي، البُله الذين لم يُجرّبوا الأمور؛ فهم قليلوا الشرّ، منقادون. فإنّ من آثر الخمول، وإصلاح نفسه، والتزوّد لمعاده، ونبذ أمور الدنيا، فليس غرّاً فيما قصد له، ولا مذموماً بنوع من الذمّ. لسان العرب لابن منظور: ج ٥ ص١٢ «مادّة غرر».

والسعيد؛ من وجد في نفسه خلوة يشتغل بها.[١]

السعادة

قال القرطبي في بهجة المجالس:

وقال عليه السلام: ما كلّ من رأى شيئاً؛ قدر عليه، ولا كلّ مَن قدر على شيء؛ وُفقّ له، ولا كلّ مَن وُفقّ؛ أصاب موضعاً. فإذا اجتمعت النيّة، والقدرة، والتوفيق، والإصابة؛ فهناك السعادة.[٢]

المحمل الحسن

قال، الإمام الشلي باعلوي في المشروع الرويّ:

وقال عليه السلام: إذا بلغكم عن مسلم كلمة؛ فاحملوها على أحسن ما تجدون، فإن لم تجدوا؛ فلوموا أنفسكم.[٣]

مُلاحات[٤] الشعراء

قال ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة:

وقال عليه السلام: إيّاكم ومُلاحات الشعراء؛ فإنّهم يُطنبون بالمدح، ويجودون بالهجاء.[٥]

---

١. مطالب السؤول: ص٨٢.

٢. بهجة المجالس: ج١ ص١٣٨.

٣. المشروع الرويّ: ج١ ص٣٥.

٤. الملاحات: المخاصمة، والمنازعة. يُقال: لحيت الرجل. ألحاه لحيا: إذا لُمته وعذلته. ولاحيته ملاحاة، ولحاء: إذا نازعته. راجع لسان العرب لابن منظور: ج ١٥ ص٢٤١ «مادّة لحا».

٥. الفصول المهمّة: ص٢١٠.

عيال المرء

قال الشبلنجي في نور الأبصار:

وقالعَلَيْهِ السَّلَامُ: إنّ عيال المرء أُسراؤه، فمَن أنعم الله عليه بنعمته؛ فليوسّع إلى أُسرائه، فإنّ من لم يفعل؛ أوشك أن تزول تلك النعمة عنه.[1]

من خدم الله

قال أبو نعيم في الحلية:

وقالعَلَيْهِ السَّلَامُ: أوحى الله تعالى إلى الدنيا: أن اخدمي من خدمني، وأتعبي من خدمك.[2]

زيارة المؤمن

قال الحارثي في علم القلوب:

وقالعَلَيْهِ السَّلَامُ: امش ميلاً، وشيّع جنازة رجل صالح. وامش ستّة أميال، وزُر أخاً في الله.[3]

أفضل الزاد

قال أبو نعيم في حلية الأولياء:

وقالعَلَيْهِ السَّلَامُ: لا زاد أفضل من التقوى، ولا شيء أحسن من الصمت، ولا عدوّ

---

١. نور الأبصار: ص١٩٩.

٢. حلية الأولياء: ج٣ ص١٩٤.

٣. علم القلوب: ص٥٨.

أضرّ من الجهل، ولا داء أدوى من الكذب.[١]

شروط الصداقة

قال الشبلنجي في نور الأبصار:

وقال عليه السلام: للصداقة خمس شروط، فمن كانت فيه؛ فانسبوه إليها، ومن لم تكن فيه؛ فلا تنسبوه إلى شيء منها، وهي:

أن يكون زين صديقه؛ زينه. وسريرته كعلانيته. وأن لا يغيّره عليه مال. وأن يره أهلاً لجميع مودّته. ولا يُسلمه عند النكبات.[٢]

لمن همّه الهدى

قال أبو نعيم في حلية الأولياء:

وقال عليه السلام: الصلاة قربان كلّ تقيّ، والحجّ جهاد كلّ ضعيف، وزكاة البدن؛ الصيام، والداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر، واستنزلوا الرزق بالصدقة، وحصّنوا أموالكم بالزكاة، وما عال من اقتصد، والتدبير نصف العيش، والتودّد نصف العقل، وقلّة العيال أحد اليسارين، ومَن أحزن والديه فقد عقّهما، ومَن ضرب يده على فخذه عند مصيبة فقد حبط أجره، والصنيعة لا تكوننّ صنيعة إلاّ عند ذي حسب ودين، والله تعالى مُنزّل الصبر على قدر المصيبة، ومُنزّل الرزق على

---

١. حلية الأولياء: ج٣ ص١٩٦.

٢. نور الأبصار: ص١٦٢.

أقول: وفي معنى التسليم قولان: الأوّل: تقول: أسلمتُهُ وسلّمته، إذا خليّت بينه وبين من يريد النكبة به، وتسلّم منه: تبرأ. والثاني: سَلَمَته الحيّة: لدغته.

ففي الأوّل: التخلّي عنه. وفي الثاني: إيقاعه في النكبة أكثر فأكثر. والنكوب: المصيبة. وقيل: الميل عن الحقّ، والإنحراف. والمنكوب: المُصاب بنكبة.

قدر المؤنة، ومَن قدر معيشته؛ رزقه الله، ومَن بذر معيشته؛ حرمه الله تعالى.[1]

الوصيّة الخالدة

وقال عليه السلام لابنه موسى الكاظم عليه السلام، وهو يوصيه:

يا بُنيّ، اقبل وصيتي، واحفظ مقالتي؛ فإنّك إن حفظتها؛ تعيش سعيداً، وتموت حميداً.

يا بُنيّ، مَن رضى بما قسم الله له؛ استغنى، ومَن مدّ عينه إلى ما في يد غيره؛ مات فقيراً، ومَن لم يرض بما قسمه الله له؛ اتّهم الله في قضائه، ومَن استصغر زلّة نفسه؛ استعظم زلّة غيره، ومَن استصغر زلّة غيره؛ استعظم زلّة نفسه.

يا بُنيّ، من كشف حجاب غيره؛ انكشفت عورات بيته، ومَن سلّ سيف البغي؛ قُتل به، ومَن احتفر لأخيه بئراً؛ سقط فيها، ومَن داخل السفهاء؛ حَقُر، ومَن خالط العلماء؛ وقُر، ومَن دخل مداخل السوء؛ اتُّهم.

يا بُنيّ، إيّاك أن تزري بالرجال؛ فيُزرى بك! وإيّاك والدخول فيما لا يعنيك؛ فتُذلّ لذلك!

يا بُنيّ، قُل الحقّ لك أو عليك؛ تُستشان من بين أقرانك.

يا بُنيّ، كُن لكتاب الله تالياً، وللإسلام فاشياً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، ولمن قطعك واصلاً، ولمن سكت عنك مبتدياً، ولمن سألك معطياً. وإيّاك والنميمة؛ فإنّها تزرع الشحناء في قلوب الرجال، وإيّاك والتعرّض لعيوب الناس؛ فمنزلة التعرّض لعيوب الناس بمنزلة الهدف.

يا بُنيّ، إذا طلبت الجود؛ فعليك بمعادنه. فإنّ للجود معادن، وللمعادن أُصولاً،

---

١. حلية الأولياء: ج٣ ص١٩٤.

وللأُصول فروعاً، وللفروع ثمراً، ولا يطيب ثمرٌ إلاّ بأُصول، ولا أصل ثابت إلاّ بمعدن طيّب.

يا بُنيّ، إن زُرت؛ فزُر الأخيار، ولا تزُر الفُجّار؛ فإنّهم صخرة لا يتفجّر ماؤها، وشجرة لا يخضرّ ورقها، وأرض لا يظهر عشبها.[1]

من وصاياه لسفيان

وقال عليه السلام لسفيان الثوري حينما سأله أن يوصيه:

يا سفيان، لا مروءة لكذوب، ولا راحة لحسود، ولا إخاء لملول[2]، ولا سؤدد لسيّئ الخُلُق.

قال سفيان: قلت: يا ابن رسول الله، زدني.

قال عليه السلام: يا سفيان، كفّ عن محارم الله؛ تكن عابداً، وارض بما قسم الله لك؛ تكن مسلّماً، واصحب الناس ما تُحبّ أن يصحبوك به؛ تكن مؤمناً، ولا تصحب الفاجر؛ فيُعلّمك من فجوره ـ المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل ـ وشاور في أمرك الذين يخشون الله.

قلت: يا ابن رسول الله، زدني.

قال عليه السلام: يا سفيان، مَن أراد عزاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان؛ فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله.

قال: قلت: يا ابن رسول الله، زدني.

---

١. حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٣ ص١٩٥، ومطالب السؤول للشافعي: ص٨٣، والفصول المهمّة لابن الصبّاغ: ص٢٢٤.

٢. الملول: ذو المَلَل، صفة بمعنى الفاعل.

فقال عليه السلام: أدّبني أبي بثلاث، قال لي: أي بُني، إنّ من يصحب صاحب السوء؛ لا يسلم، ومن يدخل مدخل السوء؛ يُتّهم، ومن لا يملك لسانه؛ يندم.[1]

عبادات وأدعية

من فلسفة الحجّ

وقال سويد بن سعيد: قال الخليل بن أحمد ـ صاحب العروض ـ: سمعت سفيان بن سعيد الثوري يقول: قدمت إلى مكّة؛ فإذا أنا بأبي عبد الله جعفر بن محمد قد أناخ بالأبطح، فقلت: يا بن رسول الله، لِمَ جُعل الموقف من وراء الحرم ولم يصير في المشعر الحرام!؟

فقال عليه السلام: الكعبة بيت الله عزّ وجلّ، والحرم حجابه، والموقف بابه، فلمّا قصده الوافدون؛ أوقفهم بالباب يتضرّعون، فلمّا أذن لهم بالدخول؛ أدناهم من الباب الثاني، وهو المزدلفة، فلمّا نظر إلى كثرة تضرّعهم، وطول اجتهادهم؛ رحمهم، فلمّا رحمهم؛ أمرهم بتقريب قربانهم، فلمّا قرّبوا قربانهم، وقضوا تفثهم، وتطهّروا من الذنوب التي كانت حجاباً بينه وبينهم؛ أمرهم بالزيارة ببيته على طهارة منهم له.

قال: فقال له: فلِما كره الصوم أيام التشريق!؟

فقال عليه السلام: إنّ القوم في ضيافة الله عزّ وجلّ، ولا يجب علي الضيف أن يصوم عند مَن أضافه.

قال: قلت: جُعلت فداك، فما بال الناس يتعلّقون بأستار الكعبة، وهي خرق لا

---

١. الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيثمي: ص١٧. وإسعاف الراغبين لابن الصبّان: ص٣٥٢. والأنساب للسمعاني: ج٣ ص٥٠٧ «مادّة الصادق». تعليم المتعلّم للزرنوجي: ص٨.

تنفع شيئاً!؟

فقال عليه السلام: ذلك مثل رجل بينه وبين رجل جُرم؛ فهو يتعلّق به، ويطوف حوله؛ رجاء أن يهب له ذلك الجُرم.[١]

عدم استجابة الدعاء

وقيل له عليه السلام: ما بالنا ندعوا فلا يُستجاب لنا!؟

فقال عليه السلام: لأنّكم تدعون مَن لا تعرفونه.[٢]

عند البيت الحرام

وقال عليه السلام لسفيان الثوري إذ سأله دعاء يدعو به عند البيت الحرام: إذا بلغت البيت الحرام فضع يدك على الحائط ثمّ قُل:

يا سابق الفوت، ويا سامع الصوت، ويا كاسي العظام لحماً بعد الموت.

ثمّ ادع بما شئت.[٣]

الإستغفار

وقال عليه السلام: إذا أذنبت فاستغفر؛ فإنّما هي خطايا مطوّقة في أعناق الرجال قبل أن تُخلقوا. وإيّاكم والإصرار على الذنب.[٤]

---

١. تهذيب الكمال للمزّي: ج٥ ص٩٤، ترجمة جعفر بن محمد عليهما السلام. والتحفة اللطيفة للسخاوي: ص٤١١. وسير أعلام النبلاء للذهبي: ج٦ ص٢٦٤، ترجمة جعفر بن محمد عليهما السلام.

٢. الرسالة القشيريّة لابن هوازن القشيري: ص١٣٢. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١١ ص٢٣٠.

٣. حلية الأولياء: ج٣ ص١٩٦.

٤. المشروع الرويّ لباعلوي: ج١ ص٣٥.

تأخير التوبة

وقال‌عليه‌السلام: تأخير التوبة؛ اغترار، وطول التسويف؛ حيرة، والإعتداء على الله؛ هلكة، والإصرار على الذنب؛ أمن من مكر الله، ولا يأمَن من مكر الله إلا القوم الخاسرون.[1]

العزّ والمواساة

وقال‌عليه‌السلام: اللهمّ، أعزّني بطاعتك، ولا تُخزني بمعصيتك. اللهمّ، ارزقني مواساة مَن قترت عليه رزقه بما وسّعت عليّ من فضلك.[2]

الأولى بالعفو

وقال‌عليه‌السلام: اللهمّ، إنّك بما أنت له أهل من العفو أولى بما أنا له أهل من العقوبة.[3]

فعُد علي

قال‌عليه‌السلام: اللهمّ، إنّي أعوذ بك أن تُحسن في لوائع العيون علانيتي، وتقبح في خفيات العيون سريرتي. اللهمّ، كما أسأت وأحسنت إليّ؛ فإذا عُدت فعُد علي.[4]

---

١. الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: ص٢١٠.

٢. حلية الأولياء للإصفهاني: ج٣ ص١٩٦.

٣. أحسن القصص للقاهري: ج٤ ص٢٨٠.

٤. حلية الاولياء للإصفهاني: ج٣ ص١٣٤.

ثقتي ورجائي

ومن دعائه عليه السلام: اللهمّ، أنت ثقتي في كلّ كرب، وأنت رجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدّة. فكم من كرب قد يضعف عنه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة، ويرغب عنه الصديق، ويشمت به العدو؛ أنزلته بك، وشكوته إليك؛ ففرّجته، وكشفته. فأنت صاحب كلّ حاجة، ووليّ كلّ نعمة، وأنت الذي حفظت الغلام بصلاح أبويه؛ فاحفظني بما حفظته به، ولا تجعلني فتنة للقوم الظالمين.

اللهمّ، وأسألك بكلّ اسم هو لك سمّيته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، وأسألك بالإسم الأعظم، الأعظم، الأعظم؛ الذي إذا سُئلت به كان حقّاً عليك أن تُجيب؛ أن تصلّي على محمد وعلى آل محمّد، وأسألك أن تقضي حاجتي.

فيسأل حاجته.[1]

دعاء الفرج

وفي الآيات البيّنات للشيخ عبد الحفيظ المالكي الفاسي، قال: المسلسل الرابع والثلاثون يقول كل راو كتبته فها هو في جيبيي! حدّثني به القاضي أبو العباس حميد بناني سماعاً، قال: حدّثنا أبو الحسن عليّ بن ظاهر الوتري سماعاً بفاس... عن الربيع ـ حاجب المنصور الدوانيقي ـ قال:

قال الصادق عليه السلام: حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه: إنّ النبي صلى الله عليه وآله كان إذا حزنه أمر دعا بهذا الدعاء؛ وكان صلى الله عليه وآله يقول: إنّه دعاء الفرج. وهو:

---

١. القول البديع للسخاوي: ص١٥٦.

اللهمّ، احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بكنفك الذي لا يُرام، وارحمني بقدرتك عليّ. أنت ثقتي ورجائي. فكم من نعمة أنعمت بها عليّ؛ قلّ لك بها شكري، وكم من بليّة ابتليتني بها؛ قلّ لك عندها صبري. فيا مَن قلّ عند نعمته شكري؛ فلم يحرمني، ويا مَن قلّ عند بلائه صبري؛ فلم يخذلني، ويا مَن رآني على الخطايا؛ فلم يفضحني، أسألك أن تُصلّي على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت وباركت وترحّمت على إبراهيم وآل ابراهيم، إنّك حميد مجيد.

اللهمّ، أعنّي على ديني بدنياي، وعلى آخرتي بالتقوى، واحفظني فيما غبت عنه، ولا تكلني إلى نفسي فيما حضرت. يا مَن لا تضرّه الذنوب، ولا تنقصه المغفرة، هب لي ما لا يضرّك، واغفر لي ما لا ينقصك.

يا إلهي، أسألك فرجاً قريباً، وصبراً جميلاً، وأسألك العافية من كلّ بليّة، وأسألك الشكر على العافية، وأسألك دوام العافية، وأسألك الغنى عن الناس، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.[١]

ورواه التنوخي في الفرج بعد الشدّة. والكنجي الشافعي في كفاية الطالب. وابن الجوزي في صفوة الصفوة. وسبط ابن الجوزي في التذكرة. ومحمد بن طلحة في مطالب السؤول. واليافعي في روض الرياحين. والشبلنجي في نور الأبصار.[٢]

وقد رواه الزبير بن بكّار في الموفّقيّات، قال:

حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي، قال: حدّثني الزبير، قال: حدّثني علي بن صالح، قال: سمعت الفضل بن ربيع يُحدّث عن أبيه الربيع، قال: قدم المنصور

١. راجع الآيات البيّنات: ص١٥٩.

٢. الفرج بعد الشدّة: ص٧٠. كفاية الطالب: ص٣٠٧. صفة الصفوة: ج٢ ص١٧٦. تذكرة الخواص: ص٣٥٣. مطالب السؤول: ص٨٣. روض الرياحين: ص٥٨. نور الأبصار: ص١٩٧.

المدينة، فأتاه قوم فوشوا بجعفر بن محمد عليهما السلام وقالوا: إنّه لا يرى الصلاة خلفك...

قال: يا ربيع، إيتني بجعفر بن محمد عليهما السلام؛ فقتلني الله إن لم أقتله...

قال الربيع: فمضيت إلى أبي عبد الله، فوافيته يُصلّي... فأوجز في صلاته... ومضى معي، وجعل يهمس بشيء أفهم بعضه، وبعضاً لم أفهم.

فلمّا أدخلته على أبي جعفر ـ المنصور ـ سلّم عليه.

فلم يردّ عليه السلام.

وقال: يا مُرائي... منّتك نفسك مكاني...

فلمّا فرغ من كلامه؛ رفع جعفر عليه السلام رأسه إليه فقال: يقول الله جلّ ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1]، فتثبّت؛ يصحّ لك اليقين.

قال: فسُرى عن أبي جعفر ـ الدوانيقي ـ وزال عنه الغضب، وقال: أنا أشهد أبا عبد الله أنّك صادق... وأجلسه معه على السرير، وقال: سلني حاجتك، صغيرها وكبيرها.

قال عليه السلام: فقد أذهلني ما كان من لقائك وكلامك عن حاجاتي!

قال الربيع: فلمّا خرجت، قُلت له: يا أبا عبد الله، سمعتك قد همست بكلامٍ؛ أُحبّ أن أعرفه.

قال عليه السلام: نعم، إنّ جدّي عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول: مَن خاف من سلطان ظلامة، أو تغطرساً فليقل: اللهمّ، أحرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يُرام، واغفر بقدرتك عليّ، فلا أهلكنّ وأنت رجائي. فكم من نعمة قد

---

١. سورة الحجرات، الآية: ٦.

أنعمت عليّ قل عندها شكري، وكم من بليّة ابتليتني بها قلّ لك عندها صبري، فيا مَن قلّ عند نعمته شكري؛ فلم يحرمني، ويا مَن قلّ عند نقمته صبري؛ فلم يخذلني، ويا من رآني على الخطاية؛ فلم يفضحني. يا ذا النعماء التي لا تُحصى، ويا ذا الأيادي التي لا تنقضي، بك استدفع مكروه ما أنا فيه، وأعوذ بك من شرّه يا أرحم الراحمين.[١]

متفرّقات

أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله

وقال له عليه السلام المنصور الدوانيقي: نحن وأنتم في رسول الله صلى الله عليه وآله سواء!؟

قال عليه السلام: لو خطب إليكم رسول الله صلى الله عليه وآله، وتزوّج منكم، لجاز له، ولا يجوز أن يتزوج منّا؛ فهذا دليل على أنّا منه وهو منّا.[٢]

القرآن لا يُمل

وقيل له عليه السلام: لِمَ صار الشعر، والخُطب يُملّ ما أُعيد منها، والقرآن لا يُملّ!؟

فقال عليه السلام: لأنّ القرآن حجّة على أهل الدهر الثاني كما هو حجّة على أهل الدهر الأوّل؛ فكلّ طائفة تتلقّاه غضّاً جديداً، ولأنّ كلّ أمرئ في نفسه متى أعاده، وفكّر فيه؛ تلقّى منه كلّ مدّة علوماً غضّة، وليس هذا كلّه في الشعر، والخُطب.[٣]

---

١. الأخبار الموفّقيّات: ص١٤٩ـ١٥٠.

٢. محاضرات الأُدباء للإصفهاني: ج١ ص٣٤٤.

٣. الجامع المحرّر للغرناطي: ص٢٨٧.

بساتين الأُنس

ومن كلامه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[١]:

هم الرجال من بين الرجال على الحقيقة؛ لأنّ الله تعالى حفظ سرائرهم عن الرجوع إلى غيره، فلا تشغلهم الدنيا وزهرتها، ولا الآخرة ونعيمها عن الله تعالى، لأنّهم في بساتين الأُنس.[٢]

العالم الذي ينظر إليه

عندما ذُكر عنده قول النبي صلى الله عليه وآله: النظر إلى وجه العالم عبادة.

قال عليه السلام: هو العالم الذي إذا نظرت إليه ذكّرك الآخرة، ومَن كان على خلاف ذلك؛ فالنظر إليه فتنة.[٣]

أُمناء الرُسُل

وقال عليه السلام: الفقهاء أُمناء الرُسُل ما لم يأتوا أبواب السلاطين. فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى أبواب السلاطين؛ فاتّهموهم.[٤]

الخلال

وقال عليه السلام: الخلال بعد الطعام يشدّ اللثات، ويجلب الرزق، ويُطيّب النكهة.[٥]

---

١. سورة النور، الآية: ٣٧.

٢. نزهة المجالس للصفوري: ج١ ص٥١.

٣. سمير الليالي للحنفي الطرابلسي: ج٢ ص٣٨٥.

٤. المشروع الرويّ لباعلوي: ج١ ص٣٥.

٥. بهجة المجالس للقرطبي: ص٧٩.

ليتعارفوا

وقال عليه السلام: دعا الله الناس في الدنيا بآبائهم ليتعارفوا، ودعاهم في الآخرة بأعمالهم ليتجاوزوا، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2].[3]

البنات والبنون

وقال عليه السلام: البنات حسنات، والبنون نعم. والحسنات يُثاب عليها، والنعم مسئول عنها.[4]

اذا أقبلت الدنيا

وقال عليه السلام: إذا أقبلت الدنيا على إنسان؛ أعطته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه؛ سلبته محاسن نفسه.[5]

العقل وخلقة الناس

وقيل له عليه السلام: يا بن رسول الله، ما بال الناس منهم إذا كلّمته يستدلّ بأوّل كلامك على آخره، ثمّ يُجيبك!؟ ومنهم من إذا كلّمته يصمت حتّى يستغرق في كلامك، فيُجيبك!؟ ومنهم من إذا كلّمته يقول: أعد علي!؟

فقال عليه السلام: إنّ الله قسّم العقل على ثلاثة أجزاء؛ فمن الناس من ابتدأ بالعقل

---

١. سورة البقرة، الآية: ١٠٤.

٢. سورة التحريم، الآية: ٧.

٣. الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: ص٢٢٨.

٤. نور الأبصار للشبلنجي: ص١٩٩. والفصول المهمّة لابن الصبّاغ: ص٢١٠.

٥. المشروع الرويّ لباعلوي: ج١ ص٣٥.

قبل خِلقته، فهذا الذي يستدلّ بأوّل الكلام على آخره، ثمّ يُجيب.

ومنهم من عُجن عقله بالنطفة التي خلقهم الله منها، فهو الذي يصمت على ما يستغرق في الكلام، ثمّ يُجيب.

ومنهم من رُكّب فيه العقل بعد كمال خلقته، فهو الذي إذا كلّمته يقول: أعد عليّ.[1]

عبادة الأحرار

وقال عليه السلام: إنّ قوماً عبدوا الله رهبة؛ فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوه رغبة؛ فتلك عبادة التجّار، وقوماً عبدوا الله شكراً؛ فتلك عبادة الأحرار.[2]

الفتوى بالرأي

وقال عليه السلام: من أعظم فتنة تكون على الأُمّة؛ قوم يفتون في الأمور برأيهم؛ فيحرّمون ما أحلّ الله، ويُحلّون ما حرّم الله.[3]

الفتوى بالقياس

قال القاضي وكيع محمد بن خلف الأندلسي في أخبار القضاة: حدّثني عبد الله بن سعيد الزهري، قال: حدّثنا أبو الوليد الدمشقي، قال: حدّثني عمّي محمّد بن عبد الله بن بكّار، قال: حدّثني سليمان بن جعفر بن إبراهيم بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وأُمّ علي بن عبد الله بن جعفر، زينب بنت علي بن

---

١. علم القلوب للعلامة الحارثي: ص٨٠.
٢. حلية الأولياء: ج٣ ص١٣٤.
٣. الميزان الكبرى للشعراني: ج١ ص٥٧.

أبي طالب، قال: حدّثنا محمد بن عبد الله الزهري، فقال:

حدّثنا ابن شبرمة، قال: دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد عليهما السلام فسلّمت عليه، وكنت له عليه السلام صديقاً، ثمّ أقبلت على جعفر عليه السلام، فقلت: أمتع الله بك، هذا رجل من أهل العراق، له فقه، وعقل.

فقال جعفر عليه السلام: لعلّه الذي يقيس الدين برأيه! ثمّ أقبل عليّ، فقال: النعمان بن ثابت؟

فقال أبو حنيفة: نعم، أصلحك الله.

فقال عليه السلام: اتّق الله! ولا تقس الدين برأيك؛ فإنّ أوّل مَن قاس إبليس؛ إذ أمره الله بالسجود لآدم عليه السلام، فقال: ﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[١].

ثمّ قال له جعفر عليه السلام: هل تُحسن أن تقيس رأسك من جسدك؟

فقال: لا.

قال عليه السلام: فأخبرني عن الملوحة في العينين، وعن المرارة في الأُذنين، وعن الماء في المنخرين، وعن العذوبة في الشفتين؛ لأيّ شيء جُعل ذلك؟

قال ـ أبو حنيفة ـ : لا أدري.

قال جعفر عليه السلام: الله عزّ وجلّ خلق العينين فجعلهما شحمتين، وجعل الملوحة فيهما منّاً منه على ابن آدم، ولولا ذلك لذابتا فذهبتا. وجعل المرارة في الأُذنين منّاً منه عليه، ولولا ذلك لهجمت الدوابّ فأكلت دماغه. وجعل الماء في المنخرين ليصعد التنفّس وينزل، ويجد منه الريح الطيّبة من الريح الرديّة، وجعل العذوبة في الشفتين ليجد ابن آدم طعم، ولذّة مطعمه ومشربه.

ثمّ قال له جعفر عليه السلام: أخبرني عن كلمة أوّلها شرك وإلحاد، وآخرها إيمان

---

١. سورة الأعراف، الآية: ١٢.

وتوحيد؟

قال ـ أبو حنيفة ـ : لا أدري.

قال عليه السلام: لا إله إلا الله.

ثمّ قال له: أيّما أعظم عند الله قتل النفس أو الزنا؟

قال: قتل النفس.

قال له جعفر عليه السلام: إنّ الله قد رضى في قتل النفس بشاهدين، ولم يقبل في الزنا إلاّ بأربعة. فكيف يقوم لك القياس!؟

ثمّ قال له: أيّهما أعظم عند الله، الصوم أم الصلاة؟

قال: بل الصلاة.

قال عليه السلام: فما بال المرأة إذا حاضت تقضي الصيام، ولا تقضي الصلاة؟

اتّق الله يا عبد الله، إنّا نقف نحن وأنت غداً ومَن خالفنا بين يدي الله عزّ وجلّ، فنقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، وتقول أنت وأصحابك: سمعنا، ورأينا.[١]

ورواه أبو نعيم في الحلية. وأبو الشيخ الإصبهاني في العظمة، جزاً منه إلى قوله عليه السلام: «مطعمه ومشربه».[٢]

وروى أبو الحجّاج يوسف بن محمّد البلوي في ألف باء، قال: يروى عن عبد الرحمان بن أبي ليلى، إنّه قال: حججت في السنة التي حجّ فيها أبو حنيفة إلى مكّة، فكنّا في الطريق حتّى أتينا المدينة، فلمّا سرت إلى المدينة، قال لي أبو حنيفة: أُحبّ أن أدخل إلى هذا الرجل فأُسلّم عليه ـ يريد جعفر بن محمّد عليهما السلام ـ وأسأله، وأخاف أن لا يأذن لي!

---

١. راجع أخبار القضاة: ص٧٧.

٢. حلية الأولياء: ج٣ ص١٩٦. العظمة: ج٥ ص١٦٢٦.

قال عبد الرحمان بن أبي ليلى: فقلت له: أخلق به إن علم بمكانك أن لا يأذن لك، ولكن كن معي، فإن أذن لي دخلت معي.

قال: قضينا إلى بابه، فقلت لغلامه: اقرأه السلام، وقل له: عبد الرحمان بن أبي ليلى، ورجل من أهل الكوفة.

قال: فرجع إلينا بالإذن، فدخلنا عليه.

فرحّب عليه السلام بنا وقرب حتّى إذا اطمأننا، أقبل عليه السلام عليّ فقال: مَن هذا الرجل؟

فقلت: بأبي أنت وأُمّي، هذا أبو حنيفة، فقيه أهل الكوفة.

قال: فأقبل عليه السلام عليه، فقال: أنت النعمان بن ثابت؟

قال: نعم، بأبي أنت وأُمّي.

قال عليه السلام: أنت الذي تقيس الدين برأيك؟

قال: بأبي أنت وأُمّي، إنّما أقول ذلك في النازلة أو الحادثة تحدث ليس لها في كتاب الله خبر، ولا في سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا في إجماع عليه.

قال: فتبسّم عليه السلام ثمّ قال: ويحك يا نعمان! ما لم يكن له في كتاب الله، ولا في سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا في إجماع المسلمين، ولا في خبر المتّصل حجّة، فقد زال عنك حكمه، ووضع عنك فرضه، فَلِم تتكلّف، ولم تؤمر؟

ويحك يا نعمان! إيّاك والقياس!! فإنّ أهل القياس لا يزالون في التباس.[1]

الأثقل والأخفّ

وقال عليه السلام: أثقل إخواني علي؛ مَن يتكلّف لي، وأتحفّظ منه. وأخفّهم على

---

١. ألف باء: ج٢ ص٣٠٥.

قلبي؛ مَن أكون معه كما أكون وحدي.[١]

سقطة الإسترسال

وقال عليه السلام: إياك وسقطة الإسترسال؛ فإنّها لا تُستقال.[٢]

من كلامه عليه السلام شعراً

لا تجزع

فلا تجزع وإن أُعسرت يوماً — فقد أُيسرت بالزمن الطويل
ولا تيأس فإنّ اليأس كفر — لعلّ الله يُغني عن قليل
ولا تظنن بربّك ظنّ سوء — فإن الله أولى بالجميل[٣]

ذهب الوفاء

وقال عليه السلام ـ لسفيان الثوري حين قال له: يا بن رسول الله، اعتزلتَ الناس!؟ ـ : يا سُفيان، فسد الزمان، وتغيّر الإخوان، فرأيت الإنفراد أسكن للفؤاد.

ثمّ قال عليه السلام:

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب — فالناس بين مخاتل وموارب
يفشون بينهم المودّة والصفا — وقلوبهم محشوة بعقارب[٤]

---

١. الدرّة الخريدة للسوسي: ج٢ ص١٣٣.

٢. محاضرات الأُدباء للإصفهاني: ج٣ ص١٩.

٣. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢١١.

٤. تذكرة الخواصّ لابن الجوزي: ص٣٥٥.

ثمن النفس

روى القرطبي في تفسيره، قال: وأنشد الأصمعي لجعفر الصادقعليه السلام:

أتـامن بـالنفس النفيـسة ربّهـا   ولـيس لهـا في الخلـق كلّهـم ثمـن
بهـا تـشترى الجنّـات إن أنـا بعتهـا   بـشيء سـواها إن ذلكـم غـبن
لـئن ذهبـت نفـسي بـدنيا أصـبتها   لقد ذهبت نفسي وقد ذهـب الثمن[1]

---

١. تفسير القرطبي: ج٨ ص٢٤٣، مورد تفسير سورة التوبة، الآية:١١١.

الخلاصة

هذا كان قليلاً من كثير مّما ورد في صحاح ومسانيد علماء أهل السنّة حول شخصيّة الإمام الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام وفضائله ومناقبه وعلومه ودرر كلماته الموجزة.

أجل، فالجميع مُعترفون بعظمته عليه السلام، وعلمه، وورعه، وفضائله التي فاق بها على جميع أهل زمانه.

وعليه، فالإمام الصادق عليه السلام جدير بأن يكون سادس أئمّة أهل البيت لخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله دون غيره؛ فقد كان عليه السلام وحيد عصره، وفريد دهره، وأفضل أهل زمانه على الإطلاق.

ولا يخفى أنّ لفيفاً من أئمّة الفقه، والحديث، والكلام، وسائر العلوم، كانوا قد نهلوا من رشحات فيض علمه، حتّى لكانوا يفتخرون بتتلمذهم عنده عليه السلام.

فحقيق به عليه السلام لأن يتسنّم خلافة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن يقوم مقامه، حجّةً لله على خلقه، ومناراً ظاهراً يُنير الدرب لعباده.

فالعقل السليم، والبحث النزيه يُصدّقان، ويُقرّان بأنّه عليه السلام الأجدر لخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لما كان عليه السلام مظهراً لجميع صفات، وكمالات النبي صلى الله عليه وآله. مضافاً إلى النصّ من رسول الله صلى الله عليه وآله على إمامته[١].

١. أنظر فرائد السمطين للحموي: ج٢ ص١٥١ رقم٤٤٦. وينابيع المودّة للقندوزي الحنفي: ج٣ ص٢٨١ ب ٧، في بيان الأئمّة الإثني عشر بأسمائهم.

فصل في
بعض ما ورد في كتب الشيعة
من فضائل الإمام الصادق عليه السلام
ومناقبه الجمّة

من بين المخزون الفكري والعقائدي لأئمّة أهل البيت عليهم السلام، وكظرورة في الدوام على المحافظة لصيانة ذلك الموروث العلمي الهائل؛ ظهرت عبر التاريخ كتب، وموسوعات عنيت بدراسة تفاصيل كلّ ما يمتّ بصلة للآثار، والفضائل التي قد اكتنفتها سيرة كلّ فرد من أئمّة أهل البيت عليهم السلام؛ ليستعلم من خلالها الناس ـ وعلى مرّ العصور ـ مدى علو همّة، وشموخ مقام كلّ واحد منهم عليهم السلام. كما وقد جادت يد الإنصاف بحقّ في متابعة جملة ممّا كان قد غاب أو غُيب ـ عن قصد أم عن سوء تدبير ـ من الآثار، أوالفضائل التي تفرّد بها كلّ إمام من أئمّة آل بيت الوحي والنبوّة عليهم السلام، فضلاً عن بيانها لامتيازهم عليهم السلام بذلك عمّن سواهم.

فكان من بين تلك الواجبات التي قد تميّزت بها كتب الشيعة الإماميّة على وجه الخصوص سعيها الحثيث لبيان كثير من فضائل الإمام الصادق عليه السلام، ومناقبه الجمّة، وأحاديثه القدسيّة، وكلماته الدرّيّة.

وإن كان الحظّ في الإستغراق لجمعها، وحفظها قد حالف جملة كبيرة من علماء المذهب، غير أنّا وتحت وطأة العجالة، وضيق المتّسع لا يُمكننا سوى الإكتفاء ببيان بعضاً منها:

في فضائله وشمائله

قال الشيخ المفيد:

وكان الصادق، جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام من بين إخوته خليفة أبيه محمد بن علي عليهما السلام، ووصيّه، والقائم بالإمامة من بعده، وبرز على

جماعتهم بالفضل، وكان أنبههم ذكراً، وأعظمهم قدراً، وأجلّهم في العامّة والخاصّة، ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نُقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام، فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات، على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل. وكان له عليه السلام من الدلائل الواضحة في إمامته، ما بهرت القلوب، وأخرست المخالف عن الطعن فيها بالشبهات.

وكان مولده عليه السلام بالمدينة سنة ثلاث وثمانين من الهجرة، ومضى عليه السلام في شوّال من سنة ثمان وأربعين ومائة، وله خمس وستّون سنة، ودُفن بالبقيع مع أبيه، وجدّه، وعمّه الحسن عليهم السلام.[١]

وقال الإربلي:

مناقب الصادق عليه السلام؛ فاضلة. صفاته في الشرف؛ كاملة. ومننه لأوليائه؛ شاملة، وبأغراضهم الأُخرويّة؛ كافلة، وغُرر شرفه، وفضله على جبهات الأيام؛ سالية، والجنّة لمواليه، ومحبّيه؛ حاصلة، وأندية المجد، والعزّ بمفاخره ومآثره؛ آهلة.

صاحب الإمرة والزعامة، ومركز دائرة الرسالة والإمامة؛ له إلى جهة الآباء محمد المصطفى صلى الله عليه وآله، وإلى جهة الأبناء المهدي عجل الله فرجه، وكفى به عليه السلام خلفاً. فذاك موضع المحجّة، وهذا الخلف الحجّة، وحسبك به شرفاً، فهو الواسطة بين المحمّدين ـ رسول الله صلى الله عليه وآله «المؤسّس» والمهديّ المنتظر عجل الله فرجه «المجدّد».

العالم بأسرار النشأتين، والمنعوت بالكريم الطرفين.

---

١. الإرشاد: ج٢ ص١٧٩.

جرى على سُنن آبائه الكرام، وأخذ بهداهمعليهم السلام، ووقّف نفسه الشريفة على العبادة، وحبسها على الطاعة والزهادة، واشتغل بأوراده، وتهجّده، وصلواته وتعبّده، ولو طاوله الفلك؛ لتزحزح عن مكانه، وعاقه شيء عن دورانه، ولو جاراه البحر؛ لنطقت بقصوره ألسنة حيتانه، ولو فاخره الملك؛ لأذعن لعلوّ شأنه، وسموّ مكانه.

ابن سيّد ولد آدم، وابن سيّد العرب. الماجد الذي يملأ الدلو إلى عقد الكرب، الجواد الذي صابت راحتاه بالنضار والغرب، السيّد ابن السادة الأطهار، الإمام أبو الأئمّة الأخيار، الخليفة؛ وكُلّهم خلفاء أبرار.

كشّاف أسرار العلوم، الهادي إلى معرفة الحيّ القيّوم، صاحب المقام والمقال، فارس الجلاد والجدال، الفارق بين الحرام والحلال، المتصدّق حتى بقوت العيال، السابق في حلبات الفضل والأفضال، الجاري على منهاج آله، فنعم الجاري ونعم الآل.

الكاشف لحقائق التنزيل، الواقف على دقائق التأويل، العارف لله تعالى بالبرهان والدليل، الصائم من النهار الشامس، القائم في الليل الطويل، بحر الحكم، ومصباح الظُلم، الأشهر من نار على عَلَم، البالغ ألقابه في كرم الأخلاق والشيم، الناظر إلى الغيب من وراء ستر، المخاطب في باطنه بما كان من سرّه، الملقى في روعه ما تجدّد من أمره.

وارث آبائه الكرام، ومورّث أبنائهعليهم السلام، سلسلة ذهب، ولا كرامة للذهب، وسبب ونسب متّصلان، فنعم السبب والنسب، إليهم الحوض والشفاعة، ولهم منّا السمع والطاعة، بموالاتهم نرجو النجاة في العقبى، وهم أحد السببين، وأولوا القربى الأجواد، الأمجاد، الأنجاد، الأئمّة الأبدال، الأوتاد. زندهم في الشرف دار،

وصيتهم في المجد سار، وليس لهم في فضائلهم مُمار، إلاّ من كان في الآخرة على شفا جرف هار.

فالله بكرمه يُبلغهم عنّا أفضل الصلاة والتسليم، وإيّاه سبحانه نحمد على أن هدانا من موالاتهم إلى النهج القويم، والصراط المستقيم، إنّه جواد كريم.

ثمّ قال:

وقد مدحت مولانا الصادقعليه السلام، ومدائحه مذكورة بلسان عدوّه ووليّه، ومربية على قطر السحاب، ووسميه، ووبليه بشعر يقصر عن مداه، ولا ينهض بأدنى ما يجب من وصف علاه، فما قدر نظمي ونثري، ومبلغ كلامي وشعري عند من تعجز الفصحاء عن عدّ مفاخره، وحدّ مآثره، ولكنّي اتبع العادة على كلّ تقدير، ولي ثواب النيّة، وعليّ عهدة التقصير، والله نعم المولى ونعم النصير:

مناقب الصادق مشهورة ... ينقلها عن صادق صادق
سما إلى نيل العلى وادعاً ... وكَلّ عن إدراكه اللاحق
جرى إلى المجد كآبائه ... كما جرى في الحلبة السابق
وفاق أهل الأرض في عصره ... وهو على حالاته فائق
سماؤه بالجود هطّالة ... وسيبه هامي الحيا دافق
وكل ذي فضل بأفضاله ... وفضله معترف ناطق
له مكان في العلى شامخ ... وطود مجد صاعد شاهق
من دوحة العز التي فرعها ... سام على أوج السها سامق
نايله صوب حيا مسبل ... وبشره في صوبه بارق
صواب رأي إن عدا جاهل ... وصوب غيث إن عرا طارق
كأنما طلعته ما بدا ... لناظريه القمر الشارق
له من الأفضال حاد علا الـ ... بذل ومن أخلاقه سائق
يروقه بذل الندى والنهى ... وهو لهم أجمعهم رايق

خلايـق طابـت وطالـت علـى — أبـدع في إيجادهـا الخـالق
شـاد المعـالي وسـعى للعلـى — فهـي لـه وهـو لهـا عاشـق
إن أعضل الأمـر فـلا يهتـدي — إليـه فهـو الفـاتق الراتـق
يـشوقه المجـد ولا غـرو أن — يـشوقه وهـو لـه شـائق
مـولاي إنـي فـيكم مخلـص — إن شـاب بالحبّ لكـم مـاذق
لكـم مـوال وإلى بـابكم — إنـضي المطايـا وبكـم واثـق
أرجـو بكـم نيـل الأمـاني إذا — نجـى مطيـع وهـوى مـارق[1]

النصّ على إمامته عليه السلام

قال الإربلي في كشف الغمّة:

وروى هاشم بن سالم، عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سُئل أبو جعفر ـ الإمام الباقر عليه السلام عن القائم بعده؟ فضرب يده على أبي عبد الله عليه السلام، فقال: هذا والله، بعدي قائم آل محمد صلى الله عليه وآله.

وقال أيضاً: وروى علي بن الحكم، عن طاهر صاحب أبي جعفر عليه السلام، قال: كنت عنده فأقبل جعفر عليه السلام، فقال أبو جعفر عليه السلام: هذا خير البريّة.

وقال أيضاً: وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ أبي عليه السلام استودعني ما هناك، فلمّا حضرته الوفاة، قال: ادع لي شهوداً. فدعوت له أربعة من قريش، منهم: نافع مولى عبد الله بن عمر، فقال: اكتب هذا ما أوصى به يعقوب بنيه: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2]. وأوصى محمد بن علي عليهما السلام إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام، وأمره أن يُكفّنه في بُرده الذي كان يُصلّي فيه

---

١. كشف الغمّة: ج٢ ص٢٠٩ـ٢١١.
٢. سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

الجمعة، وأن يُعمّمه بعمامة، وأن يُربّع قبره، ويرفعه أربع أصابع. وأن يحلّ أطماره[١] عنه عند دفنه.

ثمّ قالعليه السلام للشهود: انصرفوا رحمكم الله.

قلت له: يا أبة، ما كان في هذا بأن يشهد عليه؟

فقال: يا بُنيّ، كرهت أن تُغلب، وأن يقال: لم يوص إليه، فأردت أن تكون لك الحجّة.[٢]

حجّة زماننا

روى المازندراني في المناقب، قال: قال زيد بن علي بن الحسينعليهما السلام: في كلّ زمان رجل منّا أهل البيت يحتجّ الله به على خلقه.

وحجّة زماننا؛ ابن أخي، جعفر، لا يضلّ من تبعه، ولا يهتدي من خالفه.[٣]

خبر اللوح

قال الإربلي في كشف الغمّة:

وقد جاءت الرواية التي قدّمنا ذكرها في خبر اللوح[٤] بالنصّ عليه من الله

---

١. الأطمار: الكساء والثوب.

٢. كشف الغمّة: ج٢ ص١٦٦.

٣. مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٧٧.

٤. أقول: إشارة إلى خبر اللوح الذي روي مسنداً عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وفيه قوله: إنّ الله عزّ وجلّ أنزل إلى نبيّهصلى الله عليه وآله كتاباً مختوماً بإثني عشر خاتماً، وأمره أن يدفعه إلى أمير المؤمنينعليه السلام، ويأمره أن يفضّ أوّل خاتم فيه، ويعمل بما تحته، ثمّ يدفعه بعد وفاته إلى ابنه الحسنعليه السلام، ويأمره بفضّ الخاتم الثاني، والعمل بما تحته، ثمّ يدفعه عند حضور وفاته إلى أخيه الحسينعليه السلام، ويأمره أن يفضّ الخاتم

تعالى بالإمامة، ثمّ الذي قدّمناه من دلائل العقول أنّ الإمام لا يكون إلاّ الأفضل، يدلّ على إمامته عليه السلام لظهور فضله في العلم والزهد والعمل على أخوته، وبني عمّه، وسائر الناس من أهل عصره. ثمّ الذي يدلّ على فساد إمامة من ليس بمعصوم كعصمة الأنبياء عليهم السلام، وليس بكامل في العلم، وتعرّى من سواه ممّن ادّعى له الإمامة في وقته عن العصمة، وقصورهم عن الكمال في علم الدين؛ يدلّ على إمامته عليه السلام، إذ لا بدّ من إمام معصوم في كلّ زمان... وقد روى الناس من آيات الله جلّ اسمه الظاهرة على يده عليه السلام ما يدلّ على إمامته وحقّه، وبطلان مقال من ادّعى الإمامة لغيره.[1]

هذا مِن الأئمّة

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: أبو الصباح الكناني، قال: نظر الباقر عليه السلام إلى الصادق عليه السلام، فقال: هذا والله، من الذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾[2].[3]

عصمته عليه السلام

قال ابن شهر آشوب في المناقب:

الثالث، ويعمل بما تحته، ثمّ يدفعه الحسين عليه السلام عند وفاته إلى ابنه علي بن الحسين عليه السلام، ويأمره بمثل ذلك، ويدفعه علي بن الحسين عند وفاته الى ابنه محمد بن علي الأكبر، ويأمره بمثل ذلك، ثمّ يدفعه محمد إلى ولده حتّى ينتهي إلى آخر الأئمّة عليهم السلام. كشف الغمّة لابن أبي الفتح الإربلي: ج٢ ص٣٣٦.

١. كشف الغمّة: ج٢ ص٣٨١.

٢. سورة القصص، الآية: ٥.

٣. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٤٣.

وممّا يدلّ على إمامته عليه السلام اعتبار العصمة، والقطع عليها... ويستدلّ أيضاً بأنّ الإمام عليه السلام يجب أن يكون عالماً بجميع أحكام الشريعة. ولا خلاف في أنّ كلّ من يدّعى له الإمامة؛ لم يكن عالماً بها. وثبت من الطريقين المختلفين: إنّه منصوص عليه.[١]

من معاجزه وكراماته عليه السلام

إحياء الموتى

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: روي عن مفضّل بن عمر، قال: كنت أمشي مع أبي عبد الله عليه السلام بمكّة أو بمنى، إذ مررنا بامرأة بين يديها بقرة ميّتة، وهي مع صبية لها يبكون، فقال عليه السلام: ما شأنك؟

قالت: كنت وصبياني نعيش من لبن هذه البقرة، وقد ماتت، فتحيّرت في أمري.

قال عليه السلام: أفتحبيّن أن يُحييها الله لك؟

فقالت: أو تسخر منّي مع مصيبتي!؟

قال عليه السلام: كلا، ما أردت ذلك. ثمّ دعا عليه السلام بدعاء، وركلها برجلها، وصاح بها؛ فقامت البقرة مسرعة سويّة.

فقالت ـ المرأة ـ : عيسى بن مريم؛ وربّ الكعبة!!

فدخل الصادق عليه السلام بين جمع من الناس؛ فلم تعرفه المرأة.[٢]

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٤٤.

٢. كشف الغمّة: ج٢ ص١٩٩.

وروى ابن شهر آشوب في المناقب، بسنده: عن داود الرقّي، قال: خرج أخوان لي يُريدان المزار، فعطش أحدهما عطشاً شديداً حتّى سقط من الحمار، وسقط الآخر في يده[1]؛ فقام فصلّى، ودعا الله ومحمداً وأميرالمؤمنين والأئمّة عليهم السلام، كان يدعوا واحداً بعد واحد حتّى بلغ إلى آخرهم بجعفر بن محمد عليه السلام، فلم يزل يدعوه، ويلوذ به، فإذا هو برجل قد قام عليه، وهو يقول: يا هذا، ما قصّتك؟!

فذكر له حاله.

فناوله قطعة عود، وقال: ضع هذا بين شفتيه. ففعل ذلك؛ فإذا هو قد فتح عينيه، واستوى جالساً، ولا عطش به، فمضى حتّى زار القبر.

فلمّا انصرفا إلى الكوفة، أتى صاحب الدعاء المدينة، فدخل على الصادق عليه السلام فقال له: أُجلس، ما حال أخيك؟! أين العود؟!

فقال: يا سيّدي، إنّي لمّا أُصبت بأخي؛ اغتممت غمّاً شديداً، فلمّا ردّ الله عليه روحه؛ نسيت العود من الفرح.

فقال الصادق عليه السلام: أما إنّه ساعة صرت إلى غمّ أخيك؛ أتاني أخي الخضر عليه السلام، فبعثت إليك على يده قطعة عود من شجرة طوبى، ثمّ التفت عليه السلام إلى خادم له، فقال له: عليّ بالسفط. فأُتي به، ففتحه وأخرج منه قطعة العود بعينها، ثمّ أراها إيّاه حتّى عرفها، ثمّ ردّها إلى السفط.[2]

---

١. كما تقول لمن يحصل على شيء وإن كان ممّا لا يكون في اليد: قد حَصل في يده من هذا مكروهٌ. فشبّه ما يحصُل في القلب، وفي النفْس بما يحصل في اليد، ويُرى بالعين. لسان العرب لابن منظور: ج٧ ص٣١٨ «مادّة سقط».

٢. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٦٦.

مجلس الأبواء

روى الشيخ المفيد في الإرشاد، قال: إنّ جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء[1] وفيهم إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبّاس، وأبو جعفر المنصور ـ الدوانيقي ـ وصالح بن علي، وعبد الله بن الحسن ـ المثنّى ـ وابناه: محمد، وإبراهيم، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان.

فقال صالح بن علي: قد علمتم أنّكم الذين يمدّ الناس إليهم أعينهم، وقد جمعكم الله في هذا الموضع؛ فاعقدوا لرجل منكم بيعة تعطونه إيّاها من أنفسكم، وتواثقوا على ذلك حتّى يفتح الله وهو خير الفاتحين.

فحمد الله عبد الله ـ المحض ـ بن الحسن المثنّى، وأثنى عليه، ثمّ قال: قد علمتم أنّ ابني هذا هو المهدي؛ فهلمّ فلنبايعه.

وقال أبو جعفر ـ الدوانيقي ـ : لأيّ شيء تخدعون أنفسكم؟

والله، لقد علمتم ما الناس إلى أحد أطول أعناقاً، ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى ـ يريد محمد بن عبد الله ـ .

قالوا: قد والله، صدقت. إنّ هذا الذي نعلم. فبايعوا محمداً جميعاً، ومسحوا على يده.

قال عيسى بن عبد الله بن محمد: وجاء رسول عبد الله بن حسن إلى أبي: أن آتنا؛ فإنّا مجتمعون لأمر، وأُرسل بذلك إلى جعفر بن محمد عليهما السلام. وقال غير عيسى: إنّ عبد الله بن الحسن ـ المثنّى ـ قال لمن حضر: لا تريدوا جعفراً؛ فإنّا نخاف أن يُفسد عليكم أمركم.

---

١. الأبواء: قرية في ناحية المدينة.

قال عيسى بن عبد الله بن محمد: فأرسلني أبي أنظر ما اجتمعوا له، فجئتهم ومحمد بن عبد الله ـ المحض ـ يُصلّي على طنفسة[١] رحل[٢] مثنيّة، فقلت لهم: أرسلني أبي إليكم أسألكم: لأيّ شيء اجتمعتم!؟

قال عبد الله ـ المحض ـ: اجتمعنا لنبايع المهدي؛ محمد بن عبد الله.

قال ـ عيسى ـ: وجاء جعفر بن محمد عليهما السلام، فأوسع له عبد الله بن حسن إلى جنبه، فتكلّم بمثل كلامه.

فقال جعفر بن محمد عليهما السلام: لا تفعلوا؛ فإنّ هذا الأمر لم يأت بعد، وإن كنت ترى أنّ ابنك هذا هو المهدي؛ فليس به، ولا هذا أوانه! وإن كنت أنّما تُريد أن تُخرجه غضباً لله تعالى، وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ فإنّا والله لا ندعك وأنت شيخنا، ونبايع ابنك في هذا الأمر. فغضب عبد الله، وقال: لقد علمت خلاف ما تقول. والله، ما أطلعك الله على غيبه، ولكنّك يحملك على هذا الحسد لإبني.

فقال عليه السلام: والله، ما ذلك يحملني، ولكن هذا واخوته وابناؤهم دونكم. وضرب عليه السلام بيده على ظهر أبي العباس ـ السفّاح ـ، ثمّ ضرب عليه السلام بيده على كتف عبد الله بن حسن ـ المثنى ـ وقال: إيهاً! والله، ما هي إليك، ولا إلى ابنك؛ ولكنّها لهم. وإنّ ابنيك ـ محمد، وإبراهيم ـ لمقتولان.

ثمّ نهض عليه السلام، وتوكّأ على يد عبد العزيز بن عمران الزُهري، وقال عليه السلام: أرأيت صاحب الرداء الأصفر ـ يعني، أبا جعفر الدوانيقي ـ؟

---

١. الطنفسة: البساط، الحصير.

٢. الرحل: ما يُجمع على ظهر البعير كالسرج.

فقال له: نعم.

فقال عليه السلام: إنّا والله، نجده يقتله.

فقال له عبد العزيز: أيُقتل محمداً!؟

قال عليه السلام: نعم.

قال عبد العزيز: فقلت في نفسي: حسده وربّ الكعبة. قال: ثمّ والله، ما خرجت من الدنيا حتّى رأيته قتلهما ـ يعني، قتل الدوانيقي محمداً، وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن ـ.

قال: فلمّا قال جعفر عليه السلام ذلك، ونهض القوم وافترقوا، تبعه عبد الصمد، وأبو جعفر ـ الدوانيقي ـ فقالا: يا أبا عبد الله، تقول هذا!؟

قال عليه السلام: نعم، أقوله. والله، أعلمه.[1]

ورواه الإربلي في كشف الغمّة، ثمّ قال: وعن بجاد العابد، قال:

كان جعفر بن محمد عليهما السلام إذا رأى محمد بن عبد الله بن حسن؛ تغرغرت عيناه، ثمّ يقول عليه السلام: إنّ الناس ليقولون فيه؛ وإنّه لمقتول. ليس هو في كتاب علي عليه السلام من خلفاء هذه الأُمّة.

ثمّ قال: وهذا حديث مشهور كالذي قبله ـ يعني، خبر مؤتمر الأبواء ـ ولا يختلف العلماء بالأخبار في صحّتهما، وهما يدلان على إمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وإنّ المعجزات كانت تظهر على يده؛ لإخباره بالغائبات والكائنات قبل كونها، كما كان يُخبر الأنبياء عليهم السلام فيكون ذلك من آياتهم،

---

١. الإرشاد: ج٢ ص١٩٠، باب ذكر من أخبار أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وكلامه.

وعلامات نبوّتهم، وصدقهم على ربّهمﷺ.[1]

مع المنصور الدوانيقي

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: وقد روى الناس من آيات الله جلّ اسمه الظاهرة على يدهعليه السلام ما يدلّ على إمامته وحقّه، وبطلان مقال من ادّعى الإمامة لغيره.

فمن ذلك ما رواه نقلة الآثار من خبرهعليه السلام مع المنصور لمّا أمر الربيع بإحضارهعليه السلام، فأحضره، فلمّا بصُر به المنصور، قال: قتلني الله إن لم أقتلك، أتلحد في سلطاني، وتبغيني الغوائل!؟

فقال أبو عبد اللهعليه السلام: والله، ما فعلت، ولا أردت. فإن كان بلغك؛ فمِن كاذب...

فقال له المنصور: أجل ارتفع ها هنا.

فارتفععليه السلام، فقال المنصور: إنّ فلان ابن فلان أخبرني عنك بما ذكرت.

فقالعليه السلام: أحضره ليوافقني على ذلك.

فأُحضر الرجل المذكور، فقال له المنصور: أتحلف؟

قال: نعم، وابتدأ باليمين.

فقال أبو عبد اللهعليه السلام للساعي: قُل برئت من حول الله وقوّته، والتجأت إلى حولي وقوّتي لقد فعل كذا وكذا جعفر، وقال كذا وكذا جعفر.

فامتنع هنيئة، ثمّ حلف بها؛ فما برح حتّى ضرب برجله الأرض، ومات.

---

١. كشف الغمّة: ج٢ ص٣٨٦ـ٣٨٧.

فقال أبو جعفر: جرّوه برجله، وأخرجوه، لعنه الله.

ثمّ قال الإربلي: قال الربيع: وكنت رأيت جعفر بن محمد عليهما السلام حين دخل على المنصور يُحرّك شفتيه، وكلّما حرّكهما؛ سكن غضب المنصور، حتّى أدناه منه، ورضي عنه، فلمّا خرج أبو عبد الله عليه السلام من عند أبي جعفر ـ المنصور ـ أتبعته، فقلت: إنّ هذا الرجل كان من أشدّ الناس غضباً عليك، فلمّا دخلت عليه كنت تُحرّك شفتيك، وكلّما حركتهما؛ سكن غضبه. فبأي شيء كنت تُحركهما!؟

قال عليه السلام: بدعاء جدّي الحسين بن علي عليهما السلام.

قلت: جُعلت فداك، وما هذا الدعاء؟

قال عليه السلام: يا عدّتي عند شدّتي، ويا غوثي عند كربتي، أُحرسني بعينك التي لا تنام، واكنُفني بركنك الذي لا يُرام.

قال الربيع: فحفظت هذا الدعاء، فما نزلت بي شدّة قطّ إلاّ دعوت به؛ ففُرّج عنّي.

قال: وقلت لأبي عبد الله عليه السلام: لِم منعت الساعي أن يحلف بالله!؟

قال عليه السلام: كرهت أن يراه الله يوحّده، ويُمجّده؛ فيحلم عنه، ويؤخّر عقوبته؛ فاستحلفته بما سمعت؛ فأخذه الله تعالى أخذة رابية.[1]

مع داود العباسي

روى الأردبيلي في كشف الغمّة، قال: وروي: إنّ داود بن علي بن عبد الله بن العباس قتل المُعلّى بن خُنيس مولى جعفر بن محمد عليهما السلام، وأخذ ماله، فدخل

---

١. كشف الغمّة: ج ٢ ص ٣٨١.

عليه جعفرعليه السلام وهو يجرّ ردائه، فقال عليه السلام له: قتلت مولاي، وأخذت ماله؛ أما علمت أنّ الرجل ينام على الثكل[١]، ولا ينام على الحرب[٢]: أما والله، لأدعونّ الله عليك.

فقال له داود بن علي: أتُهدّدنا بدُعائك!؟ كالمستهزئ بقوله.

فرجع أبو عبد الله عليه السلام إلى داره، فلم يزل ليله كلّه قائماً وقاعداً حتّى إذا كان السحر سُمع وهو يقول في مناجاته:

يا ذا القوّة القويّة، ويا ذا المحال الشديد، ويا ذا العزّة التي كلّ خلقك لها ذليل، اكفني هذا الطاغية، وانتقم لي منه.

فما كانت إلا ساعة حتّى ارتفعت الأصوات بالصياح؛ وقيل: مات داود بن علي.[٣]

وروى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: روى الأعمش، والربيع، وابن سنان، وعليّ بن حمزة، وحسين بن أبي العلاء، وأبو المعزا، وأبو بصير: إنّ داود بن عليّ بن عبد الله بن العباس لمّا قتل المعلّى بن خُنيس، وأخذ ماله، قال عليه السلام: قتلت مولاي، وأخذت مالي، أما علمت أنّ الرجل ينام على الثكل[٤] ولا ينام على الحرب؟ أما والله، لأدعونّ الله عليك.

فقال له داود: تُهددنا بدعائك!؟ كالمستهزء بقوله عليه السلام.

فرجع أبو عبد الله عليه السلام إلى داره، فلم يزل ليله كلّه قائماً وقاعداً.

---

١. الثكل: فقد الولد.

٢. الحرب ـ بالتحريك ـ : نهب المال الذي يعيش فيه.

٣. كشف الغمّة: ج٢ ص٣٨٢.

٤. الثكل: فقدان الحبيب.

فبعث إليه داود خمسة من الحرس، وقال: ائتوني به، فإن أبى؛ فأتوني برأسه.

فدخلوا عليه وهوعليه السلام يُصلّي، فقالوا له: أجب داود.

قالعليه السلام: فإن لم أجب؟

قالوا: أمرنا بأمر!

قالعليه السلام: فانصرفوا؛ فإنّه خير لكم لدنياكم وآخرتكم.

فأبوا إلاّ خروجهعليه السلام؛ فرفع يده فوضعها على منكبيه، ثمّ بسطهما، ثمّ دعا بسبّابته؛ قالوا: فسمعناه يقول: السّاعة السّاعة. حتّى سمعنا صراخاً عالياً.

فقالعليه السلام لهم: إنّ صاحبكم قد مات، فانصرفوا.

فسُئلعليه السلام؟ فقال: بعث إليّ ليضرب عُنقي؛ فدعوت عليه بالإسم الأعظم؛ فبعث الله إليه ملكاً بحربة، فطعنه في مذاكيره، فقتله.

وفيه أيضاً: وفي رواية لبانة بنت عبد الله بن العبّاس: بات داود ـ ابن علي ـ تلك الليلة حائراً قد أُغمي عليه، فقمت أفتقده في الليل؛ فوجدته مستلقياً على قفاه، وثعبان قد انطوى على صدره، وجعل فاه في فيه، فأدخلت يدي في كمّي فتناولته فعطف فاه إليّ، فرميت به، فانساب في ناحية البيت، وأنبهت داود؛ فوجدته قد أحمرّت عيناه، فكرهت أن أخبره بما كان، وجزعت عليه، ثمّ انصرفت فوجدت ذلك الثعبان كذلك، ففعلت به مثل الذي فعلت في المرّة الأولى، وحرّكت داود؛ فأصبته ميّتاً.[1]

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٥٧، باب إمامة جعفر بن محمدعليهما السلام.

مع المُعلّى

روى ابن شهرآشوب في المناقب، قال: قال أبو بصير: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول، وقد جرى ذكر مُعلّى بن خنيس، فقال عليه السلام: يا أبا محمد، أكتم عليّ ما أقول لك في المُعلّى.

قلت: أفعل.

فقال عليه السلام: أما أنّه ما كان ينال درجتنا إلا بما كان ينال منه داود بن علي.

قلت: وما الذي يُصيبه من داود!؟

قال عليه السلام: يدعو به، فيأمر به؛ فيضرب عُنقه، ويصلبه؛ وذلك من قابل.

فلمّا كان من قابل؛ ولي داود المدينة؛ فدعا المُعلّى وسأله عن شيعة أبي عبد الله عليه السلام؛ فكتمه.

فقال: أتكتمني؟ أما إنّك إن كتمتني؛ قتلتك.

فقال المُعلّى: بالقتل تهددني؟ والله، لو كانوا تحت قدَميّ؛ ما رفعت قدَميّ عنهم. وإن أنت قتلتني؛ لتُسعدني، ولتَشقين. فلمّا أراد قتله؛ قال المُعلّى: أخرجني إلى الناس؛ فإنّ لي أشياء كثيرة حتّى أشهد بذلك.

فأخرجه إلى السوق، فلمّا اجتمع الناس، قال: أيّها الناس، اشهدوا أنّ ما تركت من مال عين، أو دين، أو أمة، أو عبد، أو دار، أو قليل، أو كثير، فهو لجعفر بن محمد عليهما السلام. فقُتل رحمه الله.[1]

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٥٢، باب إمامة جعفر بن محمد عليهما السلام.

مع الكاهلي

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: وعن عبد الله بن يحيى الكاهلي، قال: قال لي أبو عبد اللهعليه السلام: إذا لقيت السَبُع، ما تقول له؟!

قلت: ما أدري.

قالعليه السلام: إذا لقيته؛ فاقرأ في وجهه آية الكرسي، وقُل: عزمت عليك بعزيمة الله، وعزيمة محمد رسول اللهصلى الله عليه وآله، وعزيمة سليمان بن داود، وعزيمة أميرالمؤمنين، والأئمّة من بعدهعليهم السلام؛ فإنّه ينصرف عنك.

قال الكاهلي: فقدمت إلى الكوفة، فخرجت مع ابن عمّ لي إلى قرية، فإذا سَبُع قد اعترض لنا في الطريق، فقرأت في وجهه آية الكرسي، وقُلت: عزمت عليك بعزيمة الله، وعزيمة محمد رسول اللهصلى الله عليه وآله، وعزيمة سليمان بن داود، وعزيمة أميرالمؤمنين، والأئمّة من بعدهعليهم السلام إلا تنحّيت عن طريقنا، ولم تؤذنا، فإنّا لا نؤذيك. فنظرت إليه؛ وقد طأطأ رأسه، وأدخل ذنبه بين رجليه، وتنكّب الطريق راجعاً من حيث جاء.

فقال ابن عمّي: ما سمعت كلاماً قطّ أحسن من كلام سمعته منك.

فقلت: إنّ هذا الكلام سمعته من جعفر بن محمدعليهما السلام.

فقال: أشهد أنّه إمام مفترض الطاعة. وما كان ابن عمّي يعرف قليلاً ولا كثيراً.

فدخلت على أبي عبد اللهعليه السلام من قابل؛ فأخبرته الخبر، وما كنّا فيه.

فقالعليه السلام: أتراني لم أُشهدكم بئس ما رأيت!؟ إنّ لي مع كلّ وليّ أُذناً سامعة، وعيناً ناظرة، ولساناً ناطقاً.

ثمّ قال لي: يا عبد الله بن يحيى، أنا والله، صرفته عنكما؛ وعلامة ذلك أنّكما

كنتما في البداءة على شاطئ النهر، وإنّ ابن عمّك أُثبت عندنا، وما كان الله يُميته حتّى يُعرّفه هذا الأمر. فرجعت الى الكوفة، فاخبرت ابن عمّي بمقالة أبي عبد الله؛ ففرح؛ وسُرّ به سُروراً شديداً، وما زال مستبصراً بذلك إلى أن مات.

ثمّ قال الإربلي: قال علي بن عيسى:

أُنظر بعين الإعتبار إلى شرف هؤلاء القوم، ومحلّهم، ومكانتهم من المعارف الإلهيّة. وفضلهم، وارتفاعهم في درجات العرفان، ونبلهم؛ فإنّ تعريفهعليه السلام إيّاه بما يقوله إذا لقي السبُع؛ فيه إشعار بأنّه يلقي السبُع، وإلاّ لم يكن في الحديث إلاّ تعليمه ما يقوله متى لقيه، وليس في ذلك كثير طائل.[1]

مع سُماعة

روى الكُليني في الكافي، قال: عن الحسين بن محمد، عن مُعلّى، عن أحمد بن غسّان، عن سُماعة، قال: دخلت على أبي عبد اللهعليه السلام، فقال لي مبتدئاً:

يا سُماعة، ما هذا الذي كان بينك وبين جمّالك؟! إياك أن تكون فحّاشاً أو صخّاباً أو لعّاناً.

فقلت: والله، لقد كان ذلك، إنّه ظلمني.

فقالعليه السلام: إن كان ظلمك، لقد أربيت[2] عليه؛ إنّ هذا ليس من فعالي، ولا آمر به شيعتي. استغفر ربّك، ولا تعُد.

قلت: أستغفر الله، ولا أعود.[3]

---

١. كشف الغمّة: ج٢ ص٤٠٤.

٢. أربى: أخذ أكثر ممّا أعطى. والربا: الفضل والمنّة.

٣. الكافي: ج٢ ص٣٢٦، باب البذاء ح١٤.

مع أبي بصير

روى محمد بن جرير الطبري في دلائل الإمامة، بسنده: عن أبي بصير، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ قال: يا أبا محمد، هل تعرف إمامك؟!

قلت: إي والله الذي لا إله إلا هو، وإنّك هو. ووضعت يدي على ركبته.

فقال: يا أبا محمد، صدقت، قد عرفت؛ فاستمسك به.

قلت: جُعلت فداك، اعطني علامة الإمامة.

قال: ليس بعد المعرفة علامة.

قلت: أزداد يقيناً، وأمناً، ويطمئنّ قلبي.

قال: يا أبا محمد، ترجع إلى الكوفة وقد ولد لك عيسى، وبعد عيسى؛ محمد، وبعدهما ابنين، واعلم أنّ اسمك مُثبّت عندنا في الصحيفة الجامعة؛ مع أسماء الشيعة، وأسماء آبائهم، وأجدادهم، وأبنائهم، وما يلدون إلى يوم القيامة. قال: وإنّما هي صحيفة صفراء متوّجة.[١]

مع أبي حمزة الثمالي

روى البحراني في مدينة المعاجز، بسنده: عن أبي بصير، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقال: ما فعل أبو حمزة الثمالي؟

قلت: خلفته صالحاً.

قال عليه السلام: فإذا رجعت فاقرأه منّي السلام، وأعلمه أنّه يموت في شهر كذا، وفي يوم كذا.

---

١. دلائل الإمامة: ص٢٦٣ رقم١٩٣.

قال أبو بصير: جُعلت فداك، والله، لقد كان لكم أُنس، وكان لكم شيعة.

قال عليه السلام: صدقت، ما عندالله خير له.

قلت: شيعتكم معكم؟

قال عليه السلام: إذا هو خاف الله، وراقب الله، وتوقّى الذنوب، فإذا فعل ذلك؛ كان له درجتنا.

قال: فرجعت تلك السنة، فما لبث أبو حمزة الثمالي إلاّ يسيراً حتّى توفّي.[1]

وروى الإربلي في كشف الغمّة، قال:

وعن أبي حمزة، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو متخلّ، فدخلت، فقعدت في جانب البيت؟

فقال عليه السلام لي: إنّ نفسك لتُحدثّك بشيء؛ وتقول لك: إنّك مفرط في حبّنا أهل البيت عليهم السلام، وليس هو كما تقول؛ إنّ المؤمن ليلقي أخاه فيُصافحه، فيُقبل الله عليهما بوجهه، وتتحاتّ الذنوب عنهما حتّى يفترقا.[2]

مع محمد بن عبد الله

روى محمد بن جرير الطبري في دلائل الإمامة، بسنده: عن عبد الحميد، قال: كان صديقاً لمحمد بن عبد الله بن علي بن الحسين، وأخذه أبو جعفر فحبسه زماناً في المطبق[3]. فحجّ، فلمّا كان يوم عرفة؛ لقيه أبو عبد الله عليه السلام في الموقف، فقال: يا محمد، ما فعل صديقك عبد الحميد!؟

---

١. مدينة المعاجز: ج٥ ص٤٢٥، الثالث عشر ومائة: علمه عليه السلام بالآجال، رقم١٩٢.

٢. كشف الغمّة: ج٢ ص ٤١٦.

٣. المطبق: السجن تحت الأرض.

قال: حبسه أبو جعفر في المطبق منذ زمان. فرفع أبو عبد الله عليه السلام يده فدعا ساعة، ثمّ التفت إلي؛ وقال: يا محمد، قد والله، خُلّي سبيل صاحبك.

قال محمد: فسألت عبد الحميد: أي ساعة أخرجك أبو جعفر؟

قال: أخرجني يوم عرفة بعد العصر.[١]

مع المفضّل بن عمر

روى ابن شهر آشوب في المناقب، بسنده: عن المفضّل بن عمر، قال: كنت أنا وخالد الجوّاز، ونجم الحطيم، وسليمان بن خالد على باب الصادق عليه السلام، فتكلّمنا فيما يتكلّم به أهل الغلو؛ فخرج علينا الصادق عليه السلام بلا حذاء، ولا رداء، وهو ينتفض[٢] ويقول: يا خالد! يا مفضّل! يا سليمان! يا نجم! ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[٣].[٤]

مع صالح بن سهل

وقال ابن شهر آشوب في المناقب: قال صالح بن سهل: كنت أقول في الصادق عليه السلام ما تقول الغلاة، فنظر إليّ وقال: ويحك يا صالح! إنّا والله، عبيد مخلوقون، لنا ربّ نعبده، وإن لم نعبده؛ عذّبنا.[٥]

---

١. دلائل الإمامة: ص٢٥٨.

٢. ينتفض: أي، يرتعد.

٣. سورة الأنبياء، الآية: ٢٦ـ٢٧.

٤. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٤٧.

٥. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٤٧.

مع عمر بن يزيد

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: وعمر بن يزيد، قال: كنت عند الصادقعليه السلام وهو وجع، فتفكّرت ما ندري يُصيبه في مرضه!؟ ولو سألته عن الإمامة بعده؟ فحوّلعليه السلام وجهه إليّ؛ فقال:

إنّ الأمر ليس كما تظنّ، ليس عليّ من وجعي هذا بأس.[١]

مع مالك الجهني

روى أحمد بن محمد بن خالد البرقي في المحاسن، قال: عن مالك بن أعين الجهني، قال: أقبل إلي أبو عبد اللهعليه السلام، فقال: يا مالك، أنتم والله شيعتنا حقّاً. يا مالك، تراك قد أفرطت في القول في فضلنا؛ إنّه ليس يقدر أحد على صفة الله، وكُنه قُدرته، وعظمته. فكما لا يقدر أحد على كُنه صفة الله، وكُنه قُدرته، وعظمته، ولله المثل الأعلى، فكذلك لا يقدر أحد على صفة رسول اللهصلى الله عليه وآله، وفضلنا، وما أعطانا الله، وما أوجب من حقوقنا، وكما لا يقدر أحد أن يصف فضلنا، وما أعطانا الله، وما أوجب الله من حقوقنا، فكذلك لا يقدر أحد أن يصف حقّ المؤمن، ويقوم به ممّا أوجب الله على أخيه المؤمن.

والله، يا مالك، إنّ المؤمنَين ليلتقيان؛ فيُصافح كلّ واحد منهما صاحبه، فما يزال الله تبارك وتعالى ناظراً إليهما بالمحبّة والمغفرة، وإنّ الذنوب لتحات[٢] عن وجوههما، وجوارحهما حتّى يفترقا.

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٤٧.

٢. تحات: أي، تساقط. حتّ الشجر: أسقط ورقه، وقشره.

فمَن يقدر على صفة الله، وصفة من هو هكذا عند الله؟![1]

وقال الإربلي في كشف الغمّة: عن مالك الجهني، قال:

كنّا بالمدينة حين أجلبت[2] الشيعة، وصاروا فرقاً؛ فتنحيّنا عن المدينة ناحية، ثمّ خلونا، فجعلنا نذكر فضائلهم ـ أي، فضائل أهل البيت عليهم السلام ـ وما قالت الشيعة، إلى أن خطر ببالنا الربوبيّة، فما شعرنا بشيء، إذا نحن بأبي عبد الله عليه السلام واقف على حمار، فلم ندر من أين جاء، فقال عليه السلام: يا مالك! ويا خالد! متى أحدثتما الكلام في الربوبيّة؟!

فقلنا: ما خطر ببالنا إلاّ الساعة.

فقال عليه السلام: إعلما أنّ لنا ربّاً يكلؤنا بالليل والنهار، نعبده.

يا مالك! ويا خالد! قولوا فينا ما شئتم؛ واجعلونا مخلوقين. فكرّرها علينا مراراً وهو واقف على حماره.

ثمّ عقّب الإربلي، قائلاً:

في هذا الكلام، وأمثاله من أقوال الغلاة وإن كانت باطلة؛ دلالة على علو شأن الأئمّة عليهم السلام، وإتيانهم الخوارق للعادات، وإخبارهم بالأمور المغيّبات، وتفننهم في إبراز الكرامات والمعجزات.

فإنّهم يرونها منهم عليهم السلام مشاهدةً، وعياناً، مرّة بعد أُخرى، ويُصادف ذلك أذهانهم ـ أي، أذهان الغلاة ـ وفيها قصور في النظر، وضعف في التميّز؛ فيعتقدون هذا الإعتقاد الفاسد المذموم، نعوذ بالله تعالى، كما جرى للنصارى؛

---

١. المحاسن: ج١ ص١٤٣.

٢. أجلَب: أي، تجمّع، وتألّب.

فإنّهم نظروا إلى المسيح عليه السلام وما يجيء به من الخوارق كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص، وإطعام الجمع الكثير الطعام القليل، وغير ذلك من معجزاته عليه السلام، فاعتقدوه ربّاً، واتّخذوه إلهاً، تعالى الله، وتقدّس.

فنظروا جانباً، وأهملوا النظر في جانب؛ لضعف تميّزهم، فإنّهم لو فكّروا في أنّه ولد من امرأة، وإنّه كان صغيراً فتنقل في أطوار الخلقة، وإنّه كان يأكل ويشرب، ويبول ويتغوّط، وينام ويسهر، ويصحّ ويسقم، ويخاف ويحذر، وإنّه عليه السلام صُلب ـ على زعمهم ـ وإنّه عليه السلام كان يُصلّي ويصوم، ويجتهد في العبادة والخضوع؛ لعلموا أنّ هذه الصفات منافية لصفات الملك، فضلاً عن الله ربّ العالمين الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، الذي يُطعم ولا يُطعَم، تعالى الله عمّا يقول المشركون، والجاحدون، والظالمون، علواً كبيراً.

والمعبود كيف يَعبد، والموجود كيف يجحد، ولنفي هذا الإحتمال؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[١]، لئلا تحملهم ما يرونه من معجزاته وآياته على مثل ما يتخيله النصارى، نعوذ بالله تعالى، ونسأله العصمة، وحُسن الخاتمة، بمنّه ورحمته.[٢]

مع داود بن أعين

قال الإربلي في كشف الغمّة: وعن داود بن أعين، قال: تفكّرت في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣]، قلت: خُلقوا للعبادة، ويعصون

---

١. سورة الكهف، الآية: ١١٠.

٢. كشف الغمّة: ج٢ ص٤١٤.

٣. سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

ويعبدون غيره!؟ والله، لأسألنّ جعفر عليه السلام عن هذه الآية. فأتيت الباب، فجلست أُريد الدخول عليه؛ إذ رفع صوته، فقرأ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾. ثمّ قرأ عليه السلام: ﴿لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾[١]. فعرفت أنّها منسوخة.[٢]

مع حمّاد بن عيسى

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: إنّ حمّاد بن عيسى سأل الصادق عليه السلام أن يدعو له ليرزقه الله ما يحجّ به كثيراً، ويرزقه ضياعاً حسنة، وداراً حسنة، وزوجة حسنة من أهل البيوتات، وأولاداً أبراراً. فقال عليه السلام: اللهمّ، ارزق حمّاد بن عيسى ما يحجّ به خمسين حجّة، وارزقه ضياعاً حسنة، وداراً حسناء، وزوجة صالحة من قوم كرام وأولاداً أبراراً.

قال بعض من حضر: دخلت بعض السنين على حمّاد بن عيسى في داره بالبصرة؛ فقال: أتذكر دعاء الصادق عليه السلام لي؟

قلت: نعم.

قال: هذا داري؛ وليس في البلد مثلها، وضياعي أحسن الضياع، وزوجتي أخذتها من قوم كرام، وأولادي مَن تعرفهم، وقد حججت ثمانياً وأربعين حجّة.

قال: فحجّ حجّتين بعد ذلك، فلمّا خرج في الحجّة الحادية والخمسين، ووصل إلى الجحفة، وأراد أن يُحرم؛ دخل وادياً ليغتسل، فأخذه السيل، ومرّ به، فتبعه غلمانه، فأخرجوه من الماء ميّتاً، فسُمّي حمّاد: غريق الجحفة.[٣]

---

١. سورة الطلاق، الآية: ١.

٢. كشف الغمّة: ج٢ ص٤١٦.

٣. كشف الغمّة: ج٢ ص٢٠١.

لسان الطير

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: عن مُغيث قال لأبي عبد الله عليه السلام ـ وراه يضحك في بيته ـ : جُعلت فداك، لست أدري بأيّهما أنا أشدّ سروراً؛ بجلوسك في بيتي، أو بضحكك!؟

قال عليه السلام: إنّه هدر الحمام الذكر على الأُنثى؛ فقال: أنت سكني، وعُرسي، والجالس على الفراش ـ يعني، الإمام عليه السلام ـ أحبّ إليّ منك. وما حُرصي عليك هذا الحرص إلاّ طمعاً أن يرزقني الله ولداً منك يُحبّنّ أهل البيت عليهم السلام.[1]

مع بعض الخُرسانيين

قال ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب: إنّه دخل عليه عليه السلام قوم من أهل خراسان، فقال عليه السلام ابتداءً من غير مسألة: من جمع مالاً من مهاوش[2]؛ أذهبه الله في نهابر[3].

فقالوا: جعلنا الله، فداك ما نفهم هذا الكلام!؟

فقال عليه السلام: أز باد آيد بدم رود[4].[5]

فصاحته عليه السلام بالنبطيّة

روى الشيخ المفيد في الإختصاص، بسنده: عن عمّار بن موسى الساباطي،

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٤٦، معرفته عليه السلام باللغات، وأخبار الغيب.
٢. أي، كلّ ما يُصاب من غير حِل، ولا يُدرى ما وجهه.
٣. أي، المهالك.
٤. أي، الذي يأتي به الريح، يذهب بنفخة.
٥. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٤٦، معرفته عليه السلام باللغات، وأخبار الغيب.

قال: قال لي أبو عبد اللهعليه السلام: يا عمّار، أبو مسلم، فظلله وكساه وكسيحه بساطورا.

فقلت لهعليه السلام: ما رأيت نبطيّاً أفصح منك بالنبطيّة!

فقالعليه السلام: يا عمّار، وبكلّ لسان.[١]

مقولة اليهود

قال محمد بن الحسن الصفّار في بصائر الدرجات، بسنده: عن عامر بن علي الجامعي، قال: قلت لأبي عبد اللهعليه السلام: جُعلت فداك، إنّا نأكل ذبايح أهل الكتاب؛ ولا ندرى يُسمّون عليها أم لا!؟

فقال: إذا سمعتهم قد سمّوا؛ فكُلوا. أتدري ما يقولون على ذبايحهم؟

فقلت: لا.

فقرأ كأنّه يشبه يهودي قد هذها[٢]، ثمّ قال: بهذا أُمروا.

فقلت: جُعلت فداك، إن رأيت أن نكتبها.

فقال: أُكتب: نوح أيوا أدينوا يلهيز مالحوا عالم أشرسوا أو رضوا بنو يوسعه موسق دغال أسطحوا.[٣]

---

١. الإختصاص: ص٢٨٩.

٢. هذها: إذ هدر بكلام لا يُفهم.

٣. بصائر الدرجات: ص٣٥٤.

لغة أهل دوين

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: وعن رجل من أهل دوين[١]، قال: كنت أردت أن أسأله عليه السلام عن بيض ديوك الماء، فقال عليه السلام قبل المسألة: نيابت[٢] وعانا مينا[٣] لا تاحل[٤].[٥]

رحم الله جابراً

روى محمد بن الحسن الصفّار في البصائر، قال: حدّثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن سنان، عن زياد بن أبي الحلال، قال: كنت سمعت من جابر أحاديث، فاضطرب فيها فؤادي، وضقت فيها ضيق شديداً؛ فقلت: والله، إنّ المستراح لقريب؛ وإنّي عليه لقوي؛ فابتعت بعيراً، وخرجت عليه من المدينة، وطلبت الإذن على أبي عبد الله عليه السلام؛ فأذن لي، فلمّا نظر إلي، قال: رحم الله جابراً؛ كان يصدق علينا، ولعن الله المغيرة؛ فإنّه كان يكذب علينا. قال: ثمّ قال:

فينا روح رسول الله صلى الله عليه وآله.[٦]

---

١. دوين ـ بفتح أوّله، وكسر ثانيه، وياء مثنّاة من تحت ساكنة، وآخره نون ـ : بلدة من نواحي أران في آخر حدود أذربيجان بقرب من تفليس، منها ملوك الشام بنو أيوب. معجم البلدان للحموي: ج٢ ص٤٩١.

٢. يعني، البيض.

٣. يعني، ديوك الماء.

٤. يعني، لا تأكل.

٥. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٤٧، معرفته عليه السلام باللغات، وأخبار الغيب.

٦. بصائر الدرجات: ص٤٧٩.

جئت لتسأل عن كذا وكذا

روى محمد بن الحسن الصفّار في البصائر، قال: حدّثنا محمد بن اسماعيل، عن علي بن الحكم، عن شهاب بن عبد ربّه، قال: أتيت أبا عبد الله عليه السلام أسئله؛ فابتدأني، فقال:

إن شئت فسئل يا شهاب، وإن شئت أخبرناك بما جئت له!

قلت: أخبرني جُعلت فداك؟

قال: جئت لتسئلني عن الجُنب يغرف الماء من الحبّ بالكوز، فيُصيب يده الماء.

قال: نعم.

قال: ليس به بأس.

قال: وإن شئت سل، وإن شئت أخبرتك!

قال: قلت: أخبرني؟

قال: جئت تسئل عن الجُنب يسهو، ويُغمز يده في الماء قبل أن يغسلها.

قلت: وذاك، جُعلت فداك.

قال: إذا لم يكن أصاب يده شئ؛ فلا بأس بذاك. سل وإن شئت أخبرتك!

قلت: أخبرني؟

قال: جئت لتسئلني عن الجُنب يغتسل، فيقطر الماء من جسمه في الإناء، أو ينضح الماء من الأرض فيقع في الإناء.

قلت: نعم، جعلت فداك.

قال: ليس بهذا بأس كلّه. فسّئل وإن شئت أخبرتك!

قلت: أخبرني؟

قال: جئت لتسئلني عن الغدير يكون في جانبه الجيفة؛ أتوضّأ منه أو لا.

قال: نعم.

قال: فتوضّأ من الجانب الآخر إلا أن يغلب على الماء الريح. وجئت لتسئل عن الماء الراكد من البئر!

قال: فما لم يكن فيه تغيير أو ريح غالبة.

قلت: فما التغيير!؟

قال: الصفرة. فتوضّأ منه. وكُلّما غلب عليه كثرة الماء؛ فهو طاهر.[1]

سبب تشيّعنا

روى الكليني في أُصول الكافي، بسنده: عن أبي علي الأشعري، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان بن يحيى، عن جعفر بن محمد بن الأشعث[2]، قال: قال لي: أتدري ما كان سبب دخولنا في هذا الأمر ـ يعني، التشيّع ـ ومعرفتنا به، وما كان عندنا منه ذكر، ولا معرفة شيء ممّا عند الناس؟

قال صفوان: قلت له: ما ذاك ـ السبب ـ ؟

قال: إنّ أبا جعفر ـ يعني، المنصور الدوانيقي ـ قال لأبي، محمد بن الأشعث: يا محمد، إبغ لي رجلاً له عقل يؤدّي عنّي.

فقال له أبي: قد أصبته لك، هذا فلان بن مهاجر؛ خالي.

قال: فأتني به.

قال: فأتيته بخالي.

---

١. بصائر الدرجات: ص٢٥٨.

٢. لا يخفى أنّ هذا غير محمد بن أشعث بن قيس الذي كان من قتلة الحسين عليه السلام.

فقال له أبو جعفر: يا ابن مهاجر، خُذ هذا المال وأت المدينة، وأت عبد الله بن الحسن بن الحسن، وعدّة من أهل بيته فيهم جعفر بن محمدعليهما السلام، فقل لهم: إنّي رجل غريب من أهل خراسان، وبها شيعة من شيعتكم، وجّهوا إليكم بهذا المال، وادفع إلى كلّ واحد منهم على شرط كذا وكذا، فإذا قبضوا المال، فقل: إنّي رسول، وأُحبّ أن يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم.

فأخذ المال وأتى المدينة.

فرجع إلى أبي جعفر الدوانيقي، ومحمد بن الأشعث عنده، فقال له ـ أي، لابن مهاجر ـ الدوانيقي: ما وراك؟

قال: أتيت القوم، وهذه خطوطهم بقبضهم المال، خلا جعفر بن محمدعليهما السلام؛ فإنّي أتيته وهو يُصلّي في مسجد الرسولصلى الله عليه وآله، فجلست خلفه، وقلت: حتّى ينصرف، فأذكر له ما ذكرت لأصحابه.

فعجّل وانصرف، ثمّ التفت إليّ، فقال: يا هذا! اتّق الله، ولا تغرّ أهل بيت محمدعليه السلام فإنّهم قريبوا العهد بدولة بني مروان، وكُلّهم محتاج.

فقلت: وما ذاك، أصلحك الله؟

قال: فأدنى رأسه منّي وأخبرني بجميع ما جرى بيني وبينك حتّى كأنّه كان ثالثنا!!

قال: فقال له أبو جعفر: يا ابن مهاجر، إعلم أنّه ليس من أهل بيت النبوّة إلاّ وفيه محدّث ـ بفتح الدال ـ وإنّ جعفر بن محمدعليهما السلام محدّثنا اليوم.

وكانت هذه الدلالة سبب قولنا بهذه المقالة.[1]

---

١. أصول الكافي: ج١ ص٤٧٥، باب مولد أبي عبد الله جعفر بن محمدعليهما السلام ح ٦.

مع عبد الله النجاشي

روى المازندراني في المناقب، قال: عمّار السجستاني، قال:

دخل عبد الله النجاشي على الصادقعليه السلام ـ وكان زيدياً، منقطعاً إلى عبد الله بن الحسن ـ فقال له أبو عبد اللهعليه السلام: ما دعاك إلى ما صنعت؟ أتذكر يوماً مررت على باب قوم، فسال عليك ميزاب من الدار، فقلت: إنّه قذر؛ فطرحت نفسك في النهر، بثيابك وعليك منشفة، فاجتمع عليك الصبيان، يضحكون منك، ويصيحون عليك؟

قال السجستاني: فلمّا خرجنا، قال: يا عمّار، هذا صاحبي لا غيره.

وعبد الله النجاشي ـ هذا ـ قال: أصاب جُبّة فرو من نضح بول شككت فيه، فغمزتها في ماء ليلة باردة، فلمّا دخلت على أبي عبد اللهعليه السلام ابتدأني، فقال: إنّ البول إذا غسلته بالماء؛ فسد الفراء.[1]

لا تُغلظ لها

روى قطب الدين الراوندي في الخرائج والجرائح، قال: روى إبراهيم بن مهزم، عن أبيه، إنّه قال: خرجت من عند أبي عبد اللهعليه السلام مُمسياً، فأتيت منزلي بالمدينة، وكانت أُمّي معي، فوقع بيني وبينها كلام، فأغلظت لها، فلمّا كان من الغد، صلّيت الغداة، وأتيت أبا عبد اللهعليه السلام، فدخلت عليه، فقال لي مُبتدئاً:

يا مهزم! مالك ولخالدة أغلظت لها البارحة؟! أفما علمت أنّ بطنها لك منزل قد سكنته، وأنّ حجرها مهد قد عمرته، وأنّ ثديها سقاء قد شربته؟!

قلت: بلى.

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٤٨.

قال: فلا تغلظ لها.[١]

أين ورعك مع الجارية

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: الحارث بن حصيرة الأزدي، قال: قدم رجل من أهل الكوفة إلى خراسان، فدعا الناس إلى الصادق عليه السلام؛ ففرقة أطاعت، وأجابت. وفرقة جحدت، وأنكرت. وفرقة تورّعت، ووقفت.

قال: فخرج من كلّ فرقة رجل، فدخلوا على الصادق عليه السلام، فقال أحدهم: أصلحك الله، قدم علينا رجل من أهل الكوفة، فدعا الناس إلى ولايتك، وطاعتك؛ فأجاب قوم، وأنكر قوم، وتورّع قوم.

فقال عليه السلام: من أيّ الثلاثة أنت؟!

قال: أنا من الفرقة التي ورعوا.

قال عليه السلام: وأين ورعك يوم كذا وكذا مع الجارية!

يُعرّض عليه السلام به إنّه كان مع بعض القوم جارية، فخلا بها، ووقع عليها، قال: فسكت الرجل.[٢]

غير مُذكّى

روى الحسين بن حمدان الخصيبي في الهداية الكبرى، بسنده: عن محمد غلام سعد الإسكاف، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام؛ إذ دخل عليه رجل من أهل الجبل بهدايا، وألطاف، فكان ممّا كان أهدى إليه جراب فيه قديد وحيش،

---

١. الخرائج والجرائح: ج٢ ص٧٢٩ رقم٣٤.

٢. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٤٨.

فنثر أبو عبد الله عليه السلام القديد من الجراب، قال الرجل: أنا ما أتيتك إلا ناصحنا.

قال عليه السلام: هذا القديد ليس مُذكّى. فردّه بين يديه أبو عبد الله الصادق عليه السلام في الجراب، ثمّ تكلّم عليه بكلام لم أفهمه، وقال للرجل:

قُم بهذا الجراب، فادخل في ذلك البيت وضعه في الزاوية. فسمع الرجل القديد من داخل الجراب وهو يقول: ليس مثلي يأكله الإمام؛ لأنّي غير مذكّي. فحمل الرجل الجراب وخرج إلى أبي عبد الله عليه السلام، فقال الصادق:

إنّ القديد أخبرني بما أخبرتني به، قال: إنّه غير مُذكّى. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أما علمت يا هارون، إنّا نعلم ما لا يعلم الناس!؟

قال: بلى، جُعلت فداك. فعلمت أنّ اسم الرجل «هارون». وخرج، وخرجت أتبعه حتّى مرّ على كلب، فألقاه إليه، فأكله الكلب حتّى لم يبق منه شئ؛ فكان هذا من دلائله عليه السلام.[1]

مع زيد الشهيد

روى ابن شهرآشوب في المناقب، بسنده: عن معتب، قال: قُرِع باب مولاي الصادق عليه السلام، فخرجت؛ فإذا زيد بن علي عليهما السلام! قال الصادق عليه السلام لجُلسائه: ادخلوا هذا البيت، وردّوا الباب، ولا يتكلّم منكم أحد!!

فلمّا دخل ـ زيد بن علي ـ قام عليه السلام إليه، فاعتنقا، وجلسا طويلاً يتشاوران، ثمّ علا الكلام بينهما؛ فقال زيد: دع ذا عنك يا جعفر! فو الله، لإن لم تمدّ يدك حتى أُبايعك، أو هذه يدي فبايعني؛ لا تعبنّك، ولأُكلّفنّك ما لا تطيق؛ فقد تركت

١. الهداية الكبرى: ص٢٥٠.

الجهاد، وأخلدت إلى الخفض، وأرخيت الستر، واحتويت على مال الشرق والغرب!

فقال الصادقعليه السلام: يرحمك الله يا عمّ، يغفر الله لك يا عمّ، يغفر الله لك يا عمّ. وزيد يسمعه ويقول: موعدنا الصبح؛ أليس الصبح بقريب؟[1] ومضى. فتكلّم الناس في ذلك؛ فقالعليه السلام: مه، لا تقولوا لعمّي زيد إلاّ خيراً، رحم الله عمّي؛ فلو ظفر لوفى.

فلمّا كان في السحر؛ قرع ـ زيد ـ الباب، ففتحت له الباب، فدخل يشهق، ويبكي، ويقول: إرحمني يا جعفر، يرحمُك الله. إرض عنّي يا جعفر، رضي الله عنك. إغفر لي يا جعفر، غفر الله لك!!

فقال الصادقعليه السلام: غفر الله لك، ورحمك، ورضي عنك. فما الخبر يا عمّ؟!

قال: نمت؛ فرأيت رسول اللهصلى الله عليه وآله داخلاً عليّ، وعن يمينه الحسنعليه السلام، وعن يساره الحسينعليه السلام، وفاطمةعليها السلام خلفه، وعليعليه السلام أمامه، وبيده حربة تلتهب إلتهاباً كأنّها نار، وهو يقول: إيهاً يا زيد! آذيت رسول الله في جعفر. والله، لئن لم يرحمك، ويغفر لك، ويرضى عنك؛ لأرمينّك بهذه الحربة، فلأضعها بين كتفيك، ثمّ لأُخرجها من صدرك. فانتبهت فزعاً مرعوباً، فصرت إليك؛ فارحمني، يرحمك الله!

فقالعليه السلام: رضي الله عنك، وغفر الله لك. أُوصني؛ فإنّك مقتول، مصلوب، محروق بالنّار!

---

١. استشهاداً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾. سورة هود، الآية: ٨١.

فوصّى زيد بعياله وأولاده، وقضاء الدين عنه.[١]

الحجيج والضجيج

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: عن سُدير الصيرفي، قال: كنت مع الصادق عليه السلام في عرفات، فرأيت الحجيج، وسمعت الضجيج، فتوسّمت وقلت في نفسي: أترى هؤلاء كلّهم على الضلال!؟

فناداني الصادق عليه السلام؛ فقال: تأمّل. فتأمّلتهم؛ فإذا هم قردة وخنازير!

قال ابن حمّاد:

لِمَ لم يسمعوا مقال سُدير ... وهو في قوله سديد رشيد
كنت مع جعفر لدى عرفات ... ولجمع الحجيج عجّ شديد
فتوسّمت ثمّ قلت: ترى ضلّ ... عن الله جمع هذا الجنود
فانثنى سيّدي عليّ وناداني: ... تأمّل ترى الذي قد تُريد
فتأمّلتهم إذا هم خناز ... ير بلا شك كلّهم وقرود[٢]

الرسالة العاصمة

روى الشيخ الكليني في الكافي، بسنده: عن رُفيد ـ مولى يزيد بن عمرو بن هبيرة ـ قال: سخط عليّ ابن هبيرة، وحلف عليّ ليقتلني؛ فهربت منه، وعُذت بأبي عبد الله عليه السلام، فأعلمته خبري، فقال لي: انصرف واقرأه منّي السلام، وقُل له: إنّي قد آجرت عليك مولاك رُفيداً؛ فلا تهجه بسوء. فقلت له: جُعلت فداك، شامي خبيث الرأي. فقال: اذهب إليه كما أقول لك. فأقبلت فلمّا كنت في بعض

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٥٢.
٢. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٦١.

البوادي، استقبلني أعرابي، فقال: أين تذهب؟ إنّي أرى وجه مقتول، ثمّ قال لي: أخرج يدك. ففعلت. فقال: يد مقتول، ثمّ قال لي: أبرز رجلك. فأبرزت رجلي، فقال: رجل مقتول، ثمّ قال لي: أبرز جسدك. ففعلت، فقال: جسد مقتول، ثم. قال لي: أخرج لسانك. ففعلت، فقال لي: امضِ، فلا بأس عليك؛ فإنّ في لسانك رسالة لو أتيت بها الجبال الرواسي لانقادت لك.

قال: فجئت حتّى وقفت على باب ابن هبيرة، فاستأذنت، فلمّا دخلت عليه، قال: أتتك بخائن رجلاه. يا غلام، النطع والسيف. ثمّ أمر بي؛ فكُتّفت، وشُدّ رأسي، وقام عليّ السياف ليضرب عُنُقي، فقلت: أيّها الأمير، لم تظفر بي عنوة وإنّما جئتك من ذات نفسي، وههنا أمر أذكره لك، ثمّ أنت وشأنك. فقال: قُل. فقلت: أخلني. فأمر من حضر؛ فخرجوا. فقلت له: جعفر بن محمد يُقرئُك السلام، ويقول لك: قد آجرت عليك مولاك رُفيداً؛ فلا تهجه بسوء.

فقال: والله، لقد قال لك جعفر بن محمد هذه المقالة، وأقرأني السلام!؟ فحلفت له، فردّها علي ثلاثاً، ثمّ حلّ أكتافي، ثمّ قال: لا يقنعني منك حتّى تفعل لي ما فعلت بك. قلت: ما تنطلق يدي بذاك، ولا تطيب به نفسي.

فقال: والله، ما يقنعني إلا ذاك.

ففعلت به كما فعل بي، وأطلقته، فناولني خاتمه، وقال: أُموري في يدك؛ فدبّر فيها ما شئت.[1]

تُحدّثني أو أُحدّثك

روى ابن شهرآشوب في المناقب، قال: إلتمس محمد بن سعيد من

---

١. الكافي: ج١ ص٤٧٣، باب مولد أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام ح٣.

الصادق عليه السلام رقعة إلى محمد بن أبي الثمال في تأخير خراجه.

فقال عليه السلام: قل له: سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: مَن أكرم لنا مواليا؛ فبكرامة الله بدأ، ومَن أهانه؛ فلسخط الله تعرّض، ومَن أحسن إلى شيعتنا؛ فقد أحسن إلى أميرالمؤمنين، ومَن أحسن إلى أميرالمؤمنين؛ فقد أحسن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن أحسن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فقد أحسن إلى الله سبحانه وتعالى، ومَن أحسن إلى الله سبحانه وتعالى؛ كان والله، معنا في الرفيع الأعلى.

قال ـ محمد بن سعيد ـ : فأتيته، وذكرته.

فقال: بالله، سمعت هذا الحديث من الصادق عليه السلام؟!

فقلت: نعم.

فقال: أُجلس. ثمّ قال: يا غلام، ما على محمد بن سعيد من الخراج؟

قال: ستّون ألف درهم.

قال: إمح اسمه من الديوان. وأعطاني بدرة، وجارية، وبغلة بسرجها، ولجامها.

قال ـ محمد بن سعيد ـ فأتيت أبا عبد الله عليه السلام، فلمّا نظر إليّ تبسّم عليه السلام فقال: يا أبا محمد، تحدّثني أو أُحدّثك؟

فقلت: يا بن رسول الله، منك أحسن. فحدّثني والله الحديث، كأنّه حضر معي.[1]

الإسلام قيّد الفتك

روى الشيخ الطوسي في تهذيب الأحكام، بسنده: عن أبي الصباح الكناني،

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٦١.

قال: قلت لأبي عبد اللهعليه السلام: إنّ لنا جاراً من همدان يُقال له: «الجعد بن عبد الله» وهو يجلس إلينا، فنذكر علياً أميرالمؤمنينعليه السلام وفضله؛ فيقع فيه. أفتأذن لي فيه؟ قال: فقال: يا أبا الصباح، أو كنت فاعلاً؟! فقلت: إي والله، لئن أذنت لي فيه؛ لأرصدنّه، فإذا صار فيها، اقتحمت عليه بسيفي، فخبطته حتّى أقتله.

قال: فقال: يا أبا الصباح، هذا الفتك؛ وقد نهى رسول اللهصلى الله عليه وآله عن الفتك. يا أبا الصباح، إنّ الإسلام قيّد الفتك، ولكن دعه، فستُكفى بغيرك!

قال أبو الصباح: فلمّا رجعت من المدينة إلى الكوفة، لم ألبث بها إلا ثمانية عشر يوماً، فخرجت إلى المسجد، فصلّيت الفجر، ثمّ عقّبت، فإذا رجل يُحركني برجله؛ قال: يا أبا الصباح، البشرى!! فقلت: بشّرك الله بخير، فما ذاك!؟ فقال: إنّ الجعد بن عبد الله بات البارحة في داره التى في الجبّانة، فأيقظوه للصلاة، فإذا هو مثل الزقّ المنفوخ؛ ميّتاً، فذهبوا يحملونه؛ فإذا لحمه يسقط عن عظمه، فجمعوه في نطع؛ فإذا تحته أسود[١]، فدفنوه.[٢]

بيوت الأنبياء

روى الإربلي في كشف الغُمّة، قال: وروى أبو بصير، قال: دخلت المدينة، وكان معي جويرية لي؛ فأصبت منها، ثمّ خرجت إلى الحمّام، فلقيت أصحابنا الشيعة وهم متوجّهون إلى أبي عبد الله جعفر الصادقعليه السلام؛ فخشيت أن يسبقوني، ويفوتني الدخول إليه، فمشيت معهم حتّى دخلت الدار.

فلمّا مثلت بين يدي أبي عبد اللهعليه السلام نظر إليّ؛ ثمّ قال: يا أبا بصير، أما علمت أنّ بيوت الأنبياء، وأولاد الأنبياء لا يدخلها الجُنب؟

---

١. الأسود: يعني، الحيّة.

٢. تهذيب الأحكام: ج١٠ ص٢١٤، باب: ١٥ من كتاب الديّات ح٥٠.

فاستحييت، وقلت: يا بن رسول الله، إنّي لقيت أصحابنا؛ فخشيت أن يفوتني الدخول معهم. ولن أعود مثلها، وخرجت.

فقال الإربلي: وجاءت الرواية مستفيضة بمثل ما ذكرناه من الآيات والإخبار بالغيوب ممّا يطول تعداده.[1]

في غزارة علمه عليه السلام

نحن الذين يعلمون

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[2]: نحن الذين يعلمون، وعدوّنا الذين لا يعلمون، وشيعتنا أولوا الألباب.

قال: رواه سعد والنضر بن سويد، عن جابر ـ الجعفي ـ عن أبي جعفر عليه السلام.[3]

علم رسول الله صلى الله عليه وآله

روى الإربلي في كشف الغُمّة، قال: وروى عمر بن أبان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عمّا يتحدّث الناس: إنّه دُفع إلى أُمّ سلمة صحيفة مختومة!؟

فقال عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا قُبض؛ ورّث أميرالمؤمنين عليه السلام علمه وسلاحه وما هناك، ثمّ صار إلى الحسن عليه السلام، ثمّ إلى الحسين عليه السلام.

قال عمرو: فقلت: ثمّ صار إلى علي بن الحسين عليهما السلام، ثمّ إلى ابنه عليه السلام، ثمّ

---

١. كشف الغمّة: ج٢ ص٣٨٣.

٢. سورة الزمر، الآية: ٩.

٣. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٤٣.

انتهى إليك؟!

قالعليه السلام: نعم.[١]

نحن ورثة الأنبياءعليهم السلام

روى الإربلي في كشف الغُمّة، قال: وروى أبو حمزة الثمالي، عن أبي عبد الله جعفر بن محمّدعليهما السلام، قال: سمعته يقول: ألواح موسىعليه السلام عندنا، وعصا موسى عندنا، ونحن ورثة النبيّين.[٢]

ولدني رسول اللهصلى الله عليه وآله

روى الشيخ الكليني في الكافي، بسنده: عن عبد الأعلى بن أعين، قال: سمعت أبا عبد اللهعليه السلام يقول: قد ولدني رسول اللهصلى الله عليه وآله وأنا أعلم كتاب الله، وفيه بدء الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه خبر السماء، وخبر الأرض، وخبر الجنّة، وخبر النار، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفّي؛ إن الله يقول: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[٣].[٤]

علماء بكتاب الله

روى الصفّار في البصائر، بسنده: عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد اللهعليه السلام، إنّه قال:

---

١. كشف الغمّة: ج٢ ص٣٨٥.

٢. كشف الغُمّة: ج٢ ص٣٨٤.

٣. سورة النحل، الآية: ٨٩.

٤. أُصول الكافي: ج١ ص٦١، باب الردّ إلى الكتاب والسنّة، ح٨.

كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم، ونحن نعلمه.[١]

علمنا غابر ومزبور

روى الإربلي في كشف الغُمّة، قال: وكان عليه السلام يقول: علمنا غابر، ومزبور؛ نكت في القلوب، ونقر في الأسماع، وإنّ عندنا الجامعة، فيها جميع ما يحتاج الناس إليه. فسُئل عليه السلام عن تفسير هذا الكلام، فقال:

أمّا الغابر: فالعلم بما يكون. وأمّا المزبور: فالعلم بما كان. وأمّا النكت في القلوب: فهو الإلهام. وأمّا النقر في الأسماع: فهو حديث الملائكة نسمع كلامهم، ولا نرى أشخاصهم.

وأمّا الجفر الأحمر: فوعاء فيه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله، ولن يخرج حتّى يقوم قائمنا أهل البيت.

وأمّا الجفر الأبيض: فوعاء فيه توراة موسى، وإنجيل عيسى، وزبور داود، وكتب الله الأولى.

وأمّا مصحف فاطمة عليها السلام: ففيه ما يكون من حادث، وأسماء كلّ من يملك إلى أن تقوم الساعة.

وأمّا الجامعة: فهو كتاب طوله سبعون ذراعاً، إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله، من فلق فيه[٢] وخطّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيده. فيه والله، جميع ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة، حتّى أنّ فيه أرش الخدش، والجلدة، ونصف الجلدة.[٣]

---

١. بصائر الدرجات: ص٢١٦ ح١٠.

٢. ومن فلق فيه: أي مَن شقّ فمه.

٣. كشف الغمّة: ج٢ ص٣٨٣.

سلسلة الوحي

روى الشيخ الكليني في الكافي، قال: علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد، عن عمر بن عبد العزيز، عن هشام بن سالم، وحمّاد بن عثمان وغيره، قالوا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول:

حديثي؛ حديث أبي، وحديث أبي؛ حديث جدّي، وحديث جدّي؛ حديث الحسين، وحديث الحسين؛ حديث الحسن، وحديث الحسن؛ حديث أميرالمؤمنين عليه السلام، وحديث أميرالمؤمنين عليه السلام؛ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله؛ قول الله عزّ وجلّ.[1]

مع ابن أبي العوجاء

روى الإربلي في كشف الغُمّة، قال: وروي: إنّه اجتمع نفر من الزنادقة، فيهم: ابن أبي العوجاء، وابن طالوت، وابن الأعمى، وابن المقفّع، وأصحابهم، وكانوا مجتمعين في الموسم بالمسجد الحرام، وأبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إذ ذاك يفتي الناس، ويُفسّر لهم القرآن، ويُجيب عن المسائل بالحجج والبيّنات.

فقال القوم لابن أبي العوجاء: هل لك في تغليظ هذا الجالس، وسؤاله عمّا يفضحه عند هؤلاء المحيطين به؟ فقد ترى فتنة الناس به، وهو علاّمة زمانه.

فقال لهم ابن أبي العوجاء: نعم.

ثمّ تقدّم، ففرّق الناس، وقال: يا أبا عبد الله، إنّ المجالس أمانات، ولا بدّ لكل من كان به سعال أن يسعل، أفتأذن في السؤال؟

---

١. الكافي: ج١ ص٥٣، باب رواية الكتب والحديث ح١٤.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: سل إن شئت.

فقال ابن أبي العوجاء: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطين والمدر، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر!؟ من فكّر في هذا وقد علم أنّه فعل غير حكيم، ولا ذي نظر؛ فقل إنّك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك أُسّه ونظامه.

فقال له الصادق عليه السلام: إنّ من أضلّه وأعمى قلبه؛ استوخم الحقّ، فلم يستعذبه، وصار الشيطان وليّه وربّه؛ يُورده مناهل الهلكة. وهذا بيت استعبد الله به خلقه؛ ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثّهم على تعظيمه وزيارته، وجعل قبلة للمصلّين له، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدّي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، ومجمع العظمة والجلال، وخلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام، فأحقّ من أطيع كما أمر، وانتهى عمّا زجر الله، المنشئ للأرواح والصور.

فقال ابن أبي العوجاء: ذكرت أبا عبد الله؛ فأحلت على غائب.

فقال الصادق عليه السلام: كيف يكون يا ويلك! غائباً من هو مع خلقه شاهد وشهيد، وإليهم أقرب من حبل الوريد، سمع كلامهم، ويعلم أسرارهم، ولا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان، ولا يكون أقرب من مكان، تشهد له بذلك آثاره، وتدلّ عليه أفعاله، والذي بعثه بالآيات المحكمة، والبراهين الواضحة؛ محمد صلى الله عليه وآله، جاءنا بهذه العبادة، فإن شككت في شيء من أمره؛ فاسأل عنه؛ أُوضّحه لك.

قال: فأبلس ابن أبي العوجاء، ولم يدر ما يقول، فانصرف من بين يديه عليه السلام، فقال لأصحابه: سألتكم أن تلتمسوا لي خمرة؛ فألقيتموني على جمرة.

فقالوا له: اسكت! فوالله، لقد فضحتنا بحيرتك، وانقطاعك، وما رأينا أحقر منك اليوم في مجلسه.

فقال: إلي تقولون هذا!؟ إنّه ابن من حلق رؤوس مَن تَرون. وأومأ بيده إلى أهل الموسم.[١]

عندنا علوم الأنبياء عليهم السلام

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: سُدير الصيرفي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وقد اجتمع على مالي بيان، فأحببت دفعه إليه؛ وكنت حبست منه ديناراً لكي أعلم أقاويل الناس. فوضعت المال بين يديه.

فقال لي: سُديرا خنتنا؛ ولم ترد بخيانتك إيّانا قطيعتنا.

قلت: جُعلت فداك، وما ذلك؟!

قال عليه السلام: أخذت شيئاً من حقّنا؛ لتعلم كيف مذهبنا.

قلت: صدقت جُعلت فداك، إنّما أردت أن أعلم قول أصحابي.

فقال لي: أما علمت أنّ كلّ ما يُحتاج إليه نعلمه، وعندنا ذلك؟ أما سمعت قول الله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[٢].

إعلم أنّ علم الأنبياء عليهم السلام محفوظ في علمنا، مجتمع عندنا. وعلمنا من علم الأنبياء، فأين يذهب بك؟ قلت: صدقت جُعلت فداك.[٣]

صاحب جحر الزنابير

روى ابن شهر آشوب، قال: قال ابن جمهور العمي في كتاب الواحدة: إنّ محمد بن عبد الله بن الحسن ـ المثنى ـ قال لأبي عبد الله عليه السلام: والله، إنّي لأعلم

---

١. كشف الغُمّة: ج٢ ص٣٩٠.

٢. سورة يس، الآية: ١٢.

٣. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٥٤.

منك، وأسخى، وأشجع!

فقال عليه السلام له: أمّا ما قلت: إنّك أعلم منّي. فقد أعتق جدّي وجدّك ألف نسمة من كدّ يده؛ فسمّهم لي!؟ وإن أحببت أن أُسمّهم لك إلى آدم عليه السلام؛ فعلت.

وأمّا ما قلت: إنّك أسخى منّي. فو الله، ما بت ليلة ولله عليّ حقّ يُطالبني به.

وأمّا ما قلت: إنّك أشجع منّي. فكأنّي أرى رأسك وقد جيء به؛ ووضع على جحر الزنابير، يسيل منه الدم إلى موضع كذا وكذا. فحكى ـ محمد ـ ذلك لأبيه؛ فقال: يا بُنيّ، آجرني الله فيك؛ إنّ جعفراً أخبرني إنّك صاحب جحر الزنابير.[1]

مع سعد اليماني

روى ابن شهر آشوب في مناقبه، بسنده: عن أبان بن تغلب في خبر: إنّه دخل يماني على الصادق عليه السلام، فقال عليه السلام له: مرحباً بك يا سعد.

فقال الرجل: بهذا الإسم سمّتني أُمّي؛ وقلّ من يعرفني به.

فقال عليه السلام: صدقت يا سعد المولى.

فقال: جُعلت فداك، بهذا كنت أُلقّب.

فقال عليه السلام: ما صناعتك يا سعد؟!

قال: أنا من أهل بيت ننظر في النجوم.

فقال عليه السلام: كم ضوء الشمس على ضوء القمر درجة؟!

قال: لا أدري.

قال عليه السلام: فكم ضوء القمر على ضوء الزهرة درجة؟!

قال: لا أدري.

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٥٥.

قال عليه السلام: فكم للمشتري من ضوء عطارد؟!

قال: لا أدري.

قال عليه السلام: فما اسم النجوم التي إذا طلعت؛ هاجت البقر؟!

قال: لا أدري.

فقال عليه السلام: يا أخا أهل اليمن، عندكم علماء؟!

قال: نعم، إنّ عالمهم ليزجر الطير، ويقفوا الأثر في الساعة الواحدة مسيرة سير الراكب المُجدّ.

فقال عليه السلام: إنّ عالم المدينة أعلم من عالم اليمن؛ لأنّ عالم المدينة ينتهي إلى حيث لا يقفو الأثر، ويزجر الطير، ويعلم ما في اللحظة مسيرة الشمس، فقطع اثني عشر برجاً، واثني عشر بحراً، واثني عشر عالماً.

قال ـ سعد المولى ـ: ما ظننت أحداً يعلم هذا، ويدري.[1]

وما روي عنه عليه السلام من فنون العلم، والمعرفة أكثر من أن يحصيه عادّ، أو يحويه كتاب.

من سمو أخلاقه عليه السلام

روى ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب، قال: وقال مالك بن أنس:

ما رأت عيني أفضل من جعفر بن محمد، فضلاً، وعلماً، وورعاً. وكان لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: إمّا صائماً، وإمّا قائماً، وإمّا ذاكراً. وكان من عظماء البلاد، وأكابر الزهّاد الذين يخشون ربّهم. وكان كثير الحديث، طيّب المجالسة، كثير الفوائد، فإذا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله؛ اخضرّ مرّة، واصفرّ أُخرى.

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٧٩.

حتى لينكره من لا يعرفه.

ويقال: الإمام الصادق، والعلم الناطق، بالمكرمات سابق، وباب السيئات راتق، وباب الحسنات فاتق. لم يكن غيّاباً، ولا سبّاباً، ولا صخّاباً، ولا طمّاعاً، ولا خدّاعاً، ولا نمّاماً، ولا ذمّاماً، ولا أكولاً، ولا عجولاً، ولا ملولاً، ولا مكثاراً، ولا ثرثاراً، ولا مهذاراً، ولا طعّاناً، ولا لعّاناً، ولا همّازاً، ولا لمّازاً، ولا كنّازاً.[١]

صلة الرحم

وقال الإربلي في كشف الغُمّة:

ووقع بين جعفر بن محمد عليهما السلام وعبد الله بن الحسن كلام في صدر يوم، فأغلظ له في القول عبد الله بن حسن، ثم افترقا وراحا إلى المسجد، فالتقيا على باب المسجد، فقال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام لعبد الله بن حسن: كيف أصبحت يا أبا محمد؟

قال: بخير. كما يقول المغضب.

فقال عليه السلام: يا أبا محمد، أما علمت أنّ صلة الرحم يخفّف الحساب؟

فقال: لا تزال تجيء بالشيء لا نعرفه.

فقال عليه السلام: إنّي أتلو عليك به قرآناً.

قال: وذلك أيضاً.

فقال عليه السلام: نعم.

قال: فهاته.

قال عليه السلام: قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٩٦.

سُوءَ الحِسَابِ﴾[1].

قال: فلا تراني بعدها قاطعاً رحماً.[2]

وروى الكليني في الكافي، قال: عن سالمة ـ مولاة أبي عبد الله عليه السلام ـ إنّها قالت: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام حين حضرته الوفاة، فأُغمي عليه، فلمّا أفاق، قال: أعطوا الحسن بن علي بن الحسين الأفطس سبعين ديناراً، وأعطوا فلاناً كذا وكذا، وفلاناً كذا وكذا.

فقلت: أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة!؟

فقال: ويحك! أما تقرأين القرآن.

قلت: بلى.

قال: أما سمعت قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ﴾.

فقال: أتريدين على أن لا أكون من الذين قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ...﴾؟! نعم يا سالمة، إنّ الله خلق الجنّة وطيّبها، وطيّب ريحها، وإنّ ريحها لتوجد من مسيرة ألفي عام، ولا يجد ريحها عاق، ولا قاطع رحم.[3]

ترحّمه عليه السلام لمنقصيه

روى الحميري القمّي في قرب الإسناد، بسنده: عن علي بن رئاب، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول وهو ساجد: اللهمّ، اغفر لي، ولأصحاب أبي؛ فإنّي

---

١. سورة الرعد، الآية: ٢١.

٢. كشف الغُمّة: ج٢ ص٣٦٧.

٣. الكافي: ج٧ ص٥٥، باب صدقات النبي صلى الله عليه وآله، ح١٠.

أعلم أنّ فيهم مَن ينتقصني.[١]

عرفوا الموت

روى الشيخ الصدوق في العيون، بسنده: عن موسى بن جعفرعليهما السلام، قال: نُعي إلى الصادق، جعفر بن محمدعليهما السلام اسماعيل بن جعفر، وهو أكبر أولاده، وهو يُريد أن يأكل، وقد اجتمع ندماؤه، فتبسّم، ثمّ دعا بطعامه، وقعد مع نُدمائه، وجعل يأكل أحسن من أكله سائر الأيام، ويحثّ نُدمائه، ويضع بين أيديهم، ويعجبون منه أن لا يرون للحزن أثراً! فلمّا فرغ؛ قالوا: يا بن رسول الله، لقد رأينا عجباً؛ أُصبت بمثل هذا الإبن وأنت كما ترى!

قالعليه السلام: وما لي لا أكون كما ترون، وقد جاء في خبر أصدق الصادقينصلى الله عليه وآله: إنّي ميّت، وإيّاكم؟ إنّا قوماً عرفوا الموت؛ فجعلوه نُصب أعيُنهم، ولم ينكروا من يخطفه الموت منهم، وسلّموا لأمر خالقهمعزّ وجلّ.[٢]

هذا فعال مثله

روى ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب، قال: وفي كتاب الفتون: نام رجل من الحاجّ في المدينة، فتوهّم أنّ هميانه سُرق، فخرج، فرأى جعفر الصادقعليه السلام مُصلّياً، ولم يعرفه؛ فتعلّق به، وقال له: أنت أخذت همياني!

قالعليه السلام: ما كان فيه؟! قال: ألف دينار. قال: فحمله إلى داره، ووزن له ألف دينار، وعاد إلى منزله، ووجد هميانه، فعاد إلى جعفرعليه السلام معتذراً بالمال، فأبىعليه السلام قبوله؛ وقال:

---

١. قرب الإسناد: ص١٦٦.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص٥ ب٣٠ ح١.

شئ خرج من يدي، لا يعود إلي.

قال: فسأل الرجل عنه. فقيل: هذا جعفر الصادقعليه السلام.

قال: لاجرم هذا فِعال مثله.[١]

من جوده وكرمهعليه السلام

تمام المعروف

روى الإربلي في كشف الغُمّة، قال: وقال الهيّاج بن بسطام: كان جعفر بن محمدعليهما السلام يُطعم حتّى لا يبقى لعياله شيء. وكان يقولعليه السلام: لا يتمّ المعروف إلا بثلاثة: تعجيله، وتصغيره، وستره.[٢]

لا تُعلمه بأنّي أعطيتك

روى ابن شهر آشوب في المناقب، بسنده: إلى أبو جعفر الخثعمي، قال: أعطاني الصادقعليه السلام صرّة، فقال لي: ادفعها إلى رجل من بني هاشم، ولا تُعلمه أنّي أعطيتك شيئاً. قال: فأتيته، قال: جزاه الله خيراً، ما يزال كلّ حين يبعث بها فنعيش به إلى قابل، ولكنّي لا يصلني جعفر بدرهم في كثرة ماله!![٣]

مولى المستضعفين

روى البرسي في مشارق أنوار اليقين، قال: وروي: إنّ المنصور لمّا أراد قتل

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٩٤.

٢. كشف الغُمّة: ج٢ ص٣٧٠.

٣. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٩٤.

أبي عبد الله عليه السلام؛ استدعى قوماً من الأعاجم لايفهمون، ولايعقلون، فخلع عليهم الديباج والوشي، وحمل إليهم الأموال، ثمّ استدعاهم، وكانوا مائة رجل، وقال للترجمان: قُل لهم: إنّ لي عدواً يدخل علي الليلة؛ فاقتلوه إذا دخل.

قال: فأخذوا أسلحتهم، ووقفوا متمثّلين لأمره، فاستدعى جعفراً، وأمره أن يدخل وحده، ثمّ قال للترجمان: قل لهم: هذا عدوي، فقطّعوه. فلمّا دخل عليه السلام؛ تعاووا عوي الكلب، ورموا أسلحتهم، وكتّفوا أيديهم إلى ظهورهم، وخرّوا له سجّداً، ومرّغوا وجوههم على التراب، فلمّا رأى المنصور ذلك، خاف على نفسه وقال: ما جاء بك؟

قال عليه السلام: أنت. وما جئتك إلا مغتسلاً، محنّطاً.

فقال المنصور: معاذ الله أن يكون ما تزعم! إرجع راشداً. فرجع جعفر عليه السلام، والقوم على وجوههم سجّداً، فقال للترجمان: قل لهم: لم لا قتلتم عدو الملك؟ فقالوا: نقتل وليّنا الذي يلقانا كلّ يوم، ويُدبّر أمرنا كما يُدبّر الرجل ولده، ولا نعرف وليا سواه!؟

فخاف المنصور من قولهم، وسرّحهم تحت الليل، ثمّ قتله عليه السلام بالسم.[1]

لواسيناهم بالدقّة

روى الشيخ الكليني في الكافي، بسنده: عن مُعلّى بن خُنيس، قال: خرج أبو عبد الله عليه السلام في ليلة قد رشّت[2] وهو يُريد ظلّة بني ساعدة؛ فأتبعته، فإذا هو قد سقط منه شئ، فقال: بسم الله، اللهمّ، رُدّ علينا. قال: فأتيته، فسلّمت عليه، قال: فقال: مُعلّى؟ قلت: نعم، جُعلت فداك. فقال لي: إلتمس بيدك؛ فما وجدت من

١. مشارق أنوار اليقين: ص١١٢.

٢. رشّت: أي، أمطرت.

شئ فادفعه إلي. فإذا أنا بخبز منتشر كثير، فجعلت أدفع إليه ما وجدت، فإذا أنا بجراب[١] أعجز عن حمله من خبز! فقلت: جُعلت فداك، أحمله على رأسي. فقال: لا، أنا أولى به منك، ولكن إمض معي. قال: فأتينا ظلّة بني ساعدة، فإذا نحن بقوم نيّام؛ فجعل يدسّ الرغيف، والرغيفين، حتّى أتى على آخرهم، ثمّ انصرفنا، فقلت: جُعلت فداك، يعرف هؤلاء الحقّ؟

فقال: لو عرفوه؛ لواسيناهم بالدقّة[٢].[٣]

نتدبّر بأمر الله تعالى

روى الشيخ الكليني في الكافي، بسنده: عن بعض أصحابنا، قال: كان أبو عبد اللهعليه السلام ربّما أطعمنا الفراني[٤] والأخبصة[٥]، ثمّ يُطعَم الخبز، والزيت! فقيل له: لو دبّرت أمرك حتّى تعتدل.

فقال: إنّما نتدبّر بأمر اللهعزّ وجلّ؛ فإذا وسّع علينا؛ وسّعنا، وإذا قتّر علينا؛ قتّرنا.[٦]

حرّة لوجه الله

روى ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب، قال: جعفر بن أبي عائشة قال: بعث الصادقعليه السلام غلاماً له في حاجة، فأبطأ، فخرج الصادقعليه السلام في أثره،

---

١. الجراب ـ بالكسر ـ: وعاء من إهاب شاة يوعى فيه الدقيق، ونحوه. مجمع البحرين للطريحي «مادّة جرب».

٢. الدقّة: هي الملح.

٣. الكافي: ج٤ ص٨، باب صدقة الليل ح٣.

٤. الفراني: اللبن مع السكّر.

٥. الأخبصة: المعمول من التمر، والخبز، والزيت.

٦. الكافي: ج٦ ص٢٧٩، باب آخر في التقدير وأنّ الطعام لا حساب له ح١.

فوجده نائماً؛ فجلس عند رأسه يُروحه حتّى انتبه، فلمّا انتبه، قال عليه السلام: يـا فـلان! والله، ما ذاك لك؛ تنام الليل والنهار!؟ لك الليل، ولنا منك النهار.

وفيه أيضاً: إنّه دخل سفيان الثوري على الصادق، فرآه متغيّر اللون؛ فسأله عن ذلك.

فقال عليه السلام: كنت نهيت أن يصعدوا فـوق البيـت، فـدخلت؛ فـإذا جاريـة مـن جواريّ ممّن تُربّي بعض ولدي قد صعدت في سلّم، والصبي معها، فلمّا بصرت بي؛ ارتعدت، وتحيّرت، وسقط الصبي إلى الأرض، فمات؛ فما تغيّر لوني لموت الصبي، وإنّما تغيّر لوني لما أدخلت عليها من الرُعب.

وكان عليه السلام قال لها: أنت حرّة لوجه الله، لا بأس عليك ـ مرّتين ـ.[١]

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٩٥.

فصل في

بعض كلماته عليه السلام الدرّيّة

واحتجاجاته المُفحمة

في الإلهيات

وجوب معرفة الله

قال الشيخ المفيد في الإرشاد: ومّما حُفظ عنهﷺ في وجوب المعرفة بالله تعالى، وبدينه؛ قولهﷺ:

وجدت علم الناس كلّهم في أربع:

أوّلها: أن تعرف ربّك.

والثاني: أن تعرف ما صنع بك.

والثالث: أن تعرف ما أراد منك.

والرابع: أن تعرف ما يُخرجك عن دينك.

وهذه أقسام تحيط بالمفروض من المعارف؛ لأنّه أوّل ما يجب على العبد معرفة ربّهﷻ، فإذا علم أنّ له إلهاً؛ وجب أن يعرف صنعه إليه، فإذا عرف صنعه؛ عرف به نعمته، فإذا عرف نعمته؛ وجب عليه شكره، فإذا أراد تأدية شكره؛ وجب عليه معرفة مُراده؛ ليُطيعه بفعله، وإذا وجب عليه طاعته؛ وجب عليه معرفة ما يُخرجه من دينه؛ ليجتنبه؛ فتخلص له طاعة ربّه، وشكر إنعامه.[1]

التوحيد

روى الشيخ الصدوق في التوحيد، بسنده: عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد اللهﷺ، قال: من شبّه الله بخلقه؛ فهو مُشرك. إنّ الله لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء، وكلّ ما وقع في الوهم؛ فهو بخلافه.[2]

---

١. الإرشاد: ج٢ ص٢٠٣.

٢. التوحيد: ص٨٠ رقم٣٦.

الناس والتوحيد

روى ابن شعبة الحرّاني في تحف العقول، قال: وقال عليه السلام: الناس في التوحيد على ثلاثة أوجه: مثبت، وناف، ومشبّه.

فالنافي؛ مبطل، والمثبت؛ مؤمن، والمشبّه؛ مشرك.[١]

تعريفه عليه السلام للتوحيد

روى ابن شعبة الحرّاني في تُحف العقول، قال: قال الصادق عليه السلام: مَن زعم أنّه يعرف الله بتوهّم القلوب؛ فهو مشرك. ومَن زعم أنّه يعرف الله بالإسم دون المعنى؛ فقد أقرّ بالطعن؛ لأنّ الإسم مُحدَث، ومَن زعم أنّه يعرف الله بالإسم دون المعنى؛ فقد جعل مع الله شريكاً، ومَن زعم أنّه يعبد المعنى بالصفة لا بالإدراك؛ فقد أحال على غائب، ومَن زعم أنّه يعبد الصفة والموصوف؛ فقد أبطل التوحيد؛ لأنّ الصفة غير الموصوف، ومَن زعم أنّه يُضيف الموصوف إلى الصفة؛ فقد صغّر بالكبير؛ وما قدروا الله حقّ قدره[٢].

قيل له: فكيف سبيل التوحيد؟

قال عليه السلام: باب البحث ممكن، وطلب المخرج موجود؛ إنّ معرفة عين الشاهد قبل صفته، ومعرفة صفة الغائب قبل عينه.

قيل: وكيف تعرف عين الشاهد قبل صفته؟

قال عليه السلام: تعرفه، وتعلم علمه، وتعرف نفسك به، ولا تعرف نفسك بنفسك من نفسك، وتعلم أنّ ما فيه؛ له، وبه؛ كما قالوا ليوسف عليه السلام: ﴿أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا

---

١. تُحف العقول: ص٣٧٠، ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام.

٢. إقتباس من قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾. سورة الأنعام، الآية: ٩١.

يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي﴾[١]، فعرفوه به، ولم يعرفوه بغيره، ولا أثبتوه من أنفسهم بتوهّم القلوب؛ أما ترى الله يقول: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾[٢]. يقول ليس لكم أن تنصبوا إماماً من قبل أنفسكم تُسمّونه؛ محقاً بهوى أنفسكم وإرادتكم.

ثمّ قال عليه السلام: ثلاثة لا يُكلّمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يُزكّيهم، ولهم عذاب أليم: مَن أنبت شجرة لم يُنبته الله - يعني، مَن نصّب إماماً لم يُنصبه الله - أو جحد مَن نصّبه الله، ومَن زعم أنّ لهذين سهماً في الإسلام؛ وقد قال الله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[٣].[٤]

دلّني على معبودي

روى الكليني في أُصول الكافي، بسنده: عن محمد بن إسحاق، قال: إنّ عبد الله الديصاني سأل هشام بن الحكم، فقال: ألك رب؟

فقال: بلى.

قال: أقادر هو؟

قال: نعم، قادر قاهر.

قال: يقدر أن يُدخل الدنيا كلّها في بيضة؛ لا تكبر البيضة، ولا تصغر الدنيا؟

قال هشام: النظرة[٥].

فقال له: قد أنظرتك حولاً. ثمّ خرج عنه.

---

١. سورة يوسف، الآية: ٩٠.

٢. سورة النمل، الآية: ٦٠.

٣. سورة القصص، الآية: ٦٨.

٤. تُحف العقول: ص٣٢٥-٣٢٦، ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام.

٥. النظرة: أي، المهلة.

فركب هشام إلى أبي عبد الله عليه السلام، فاستأذن عليه؛ فأذن له، فقال له: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله، أتاني عبد الله الديصاني بمسألة؛ ليس المعوّل فيها إلاّ على الله، وعليك.

فقال عليه السلام: عمّاذا سألك؟!

قال: قال لي كيت وكيت.

فقال عليه السلام: يا هشام، كم حواسّك؟!

قال: خمس.

قال: أيّها أصغر؟!

قال: الناظر.

قال عليه السلام: كم قدر الناظر؟!

قال: مثل العدسة، أو أقل منها.

فقال عليه السلام له: يا هشام، فانظر أمامك، وفوقك؛ فأخبرني بما ترى؟!

فقال ـ هشام ـ : أرى سماءً، وأرضاً، ودوراً، وقصوراً، وبراري، وجبالاً، وأنهاراً.

فقال عليه السلام: إنّ الذي قدر أن يُدخل الذي تراه العدسة، أو أقلّ منها، قادر أن يُدخل الدنيا كلّها البيضة؛ لا تصغر الدنيا، ولا تكبر البيضة.[1]

فأكبّ هشام عليه، وقبّل يديه ورأسه ورجليه، وقال: حسبي يا بن رسول الله،

---

١. أقول: لا يخفى على اللبيب إنّ هذا الجواب من باب إفحام الخصم بحسب قاعدة «كلّم الناس على قدر عقولهم» وإلا فإنّ قدرة الله مُهيمنة على كلّ المُمكنات، وكلّ المُمكنات واقعة تحت قدرة الله عزّ وجلّ، منقادة لها مطلقاً. أمّا المحال بحسب ما نحن فيه، وما نراه في الواقع؛ إنّما اقتضته الحكمة الإلهية التي أثبتت العجز في القابل لجملة من المظاهر المُمكنة لا الفاعل.

وانصرف إلى منزله.

وغدا عليه الديصاني، فقال له: يا هشام، إنّي جئتك مسلّماً ولم أجيئك متقاضياً للجواب.

فقال له هشام: إن كنت جئت متقاضياً؛ فهاك الجواب.

فخرج الديصاني عنه حتّى أتى باب أبي عبد الله‰، فاستأذن عليه، فأذن له، فلمّا قعد، قال له: يا جعفر بن محمد، دلّني على معبودي؟

فقال له أبو عبد الله‰: ما اسمك؟!

فخرج عنه ولم يخبره باسمه!

فقال له أصحابه: كيف لم تُخبره باسمك؟!

فقال: لو كنت قلت له: عبد الله، لكان يقول: من هذا الذي أنت له عبد.

فقالوا له: عُد إليه، وقل له يدلّك على معبودك، ولا يسأل عن اسمك.

فرجع إليه، وقال له: يا جعفر بن محمّد، دلّني على معبودي، ولا تسألني عن اسمي!؟

فقال له أبو عبد الله‰: اجلس. وإذا غلام له صغير، في كفّه بيضة يلعب بها، فقال له أبو عبد الله‰: ناولني يا غلام البيضة. فناوله إياها.

فقال‰ له: يا ديصاني! هذا حصن مكنون، له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة، وفضّة ذائبة، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضّة الذائبة، ولا الفضّة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة، فهي على حالها لم يخرج منها خارج مُصلح فيُخبر عن صلاحها، ولا دخل فيها مُفسد فيُخبر عن فسادها، ولا يدري للذكر خُلقت أم للأُنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس؛ أترى لها مدبّراً؟!

قال: فأطرق ـ الديصاني ـ مليّاً، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وإنّك إمام، وحجّة من الله على خلقه، وأنا تائب ممّا كنت فيه.[١]

وروى الإربلي في كشف الغمّة، قال: وروي: إنّ أبا شاكر الديصاني وقف ذات يوم على مجلس أبي عبد الله الصادق عليه السلام، فقال له: إنّك لأحد النجوم الزواهر، وكان آباؤك بدور بواهر، وأُمّهاتك عقيلات عباهر، وعُنصُرك من أكرم العناصر، وإذا ذُكر العلماء؛ فعليك تُثني الخناصر، فخبّرنا أيّها البحر الزاخر؛ ما الدليل على حدوث العالم؟

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إنّ أقرب الدليل على ذلك ما أذكره لك، ثمّ دعا عليه السلام بيضة، فوضعها في راحته، وقال: هذا حصن ملموم[٢] داخل غرقيء[٣] رقيق يطيف به كالفضّة السائلة، والذهبة المائعة، أتشكّ في ذلك؟

قال أبو شاكر: لا شكّ فيه.

قال أبو عبد الله عليه السلام: ثمّ إنّه ينفلق عن صورة كالطاووس، أدخله شيء غير ما عرفت؟

قال: لا.

قال عليه السلام: فهذا الدليل على حدوث العالم.

فقال أبو شاكر: دللت أبا عبد الله؛ فأوضحت، وقُلت؛ فأحسنت، وذكرت؛ فأوجزت، وقد علمت أنّا لا نقبل إلاّ ما أدركناه بأبصارنا، وسمعناه بآذاننا، أو ذقناه بأفواهنا، أو شممناه بأُنوفنا، أو لمسناه ببشرنا.

---

١. أُصول الكافي: ج١ ص٧٩، باب حدوث العالم، ح٤.

٢. ملموم: أي، مضموم بعضه إلى بعض.

٣. غرقيء ـ كزبرج ـ : القشرة الملزقة ببياض البيض.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ذكرت الحواس الخمس، وهي لا تنفع في الإستنباط إلاّ بدليل، كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح.

يُريد عليه السلام أنّ الحواس بغير عقل لا توصل إلى معرفة الغائبات، وأنّ الـذي أراه من حدوث الصورة معقول بنى العلم به على محسوس.[١]

تنزيه الباري

روى الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد، بسنده عن هـشام بـن الحكـم فـي حديث الزنديق الذي التقى أبا عبد الله عليه السلام وكان من قول أبي عبد الله عليه السلام لـه: لا يخلو قولك: إنّهما اثنان. من أن يكونا قـديمين قـويّين، أو يكونـا ضـعيفين، أو يكون أحدهما قويّاً والآخر ضعيفاً.

فإن كانا قويّين؛ فلم لا يدفع كلّ واحد منهما صاحبه ويتفـرّد بالتـدبير. وإن زعمت: إنّ أحدهما قويّ والآخر ضعيف؛ ثبت أنّـه واحـد؛ كمـا نقـول للعجـز الظاهر في الثاني، فإن قلت: إنّهم اثنان، لم يخل من أن يكونـا متّفقـين فـي كـلّ جهة، أو مفترقين من كلّ جهة، فلمّا رأينا الخلق منتظماً، والفلك جارياً، والتدبير واحداً، والليل والنهار، والشمس والقمر، دلّ صحّة الأمر والتدبير، وائتلاف الأمـر على أنّ المدبّر واحد.

ثمّ يلزمك إن ادّعيت اثنين فرجة ما بينهما حتّى يكونا اثنين، فصارت الفرجة ثالثاً بينهما، قديماً معهما، فيلزمك ثلاثة، فإن ادعيت ثلاثة؛ لزمـك مـا قلـت فـي الإثنين حتّى تكون بينهم فرجة، فيكونوا خمسة، ثمّ يتناهى في العدد إلـى مـا لا نهاية في الكثرة.

---

١. كشف الغُمّة: ج٢ ص٣٩١.

قال هشام: فكان من سؤال الزنديق، أن قال: فما الدليل عليه؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: وجود الأفاعيل دلّت على أنّ صانعاً صنعها، ألا ترى إنّك إذا نظرت إلى بناء مشيّد مبنيّ علمت أن له بانياً، وإن كنت لم ترَ الباني، ولم تُشاهده.

قال: فما هو؟

قال عليه السلام: شيء بخلاف الأشياء، ارجع بقولي إلى إثبات معنى، وإنّه شيء بحقيقة الشيئيّة؛ غير أنّه لا جسم ولا صورة، ولا يُحسّ ولا يُجسّ، ولا يُدرك بالحواسّ الخمس، لا تدركه الأوهام، ولا تنقصه الدهور، ولا تغيّره الأزمان.

فقال له السائل: فتقول: إنّه سميع بصير؟

قال عليه السلام: هو سميع بصير، سميع بغير جارحة، وبصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه، ويبصر بنفسه، ليس قولي: إنّه سميع. يسمع بنفسه، وبصير. يبصر بنفسه؛ إنّه شيء، والنفس شيء آخر، ولكن أردت عبارة عن نفسي؛ إذ كنت مسئولاً، وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً.

فأقول: إنّه سميع بكلّه لا أنّ الكلّ منه له بعض، ولكنّي أردت إفهامك والتعبير عن نفسي ليس مرجعي في ذلك إلاّ إلى أنّه السميع البصير، العالم الخبير، بلا اختلاف الذات، ولا اختلاف المعنى.

قال له السائل: فما هو؟

قال عليه السلام: هو الربّ، وهو المعبود، وهو الله. وليس قولي: الله. إثبات هذه الحروف «ألف، ولام، وهاء» ولا «راء، وباء» ولكن ارجع إلى معنى، هو شيء خالق الأشياء، وصانعها؛ وقعت عليه هذه الحروف؛ وهو المعنى، سُمّي به الله، والرحمن، والرحيم، والعزيز، وأشباه ذلك من أسمائه، وهو المعبود عزّ وجلّ.

قال له السائل: فإنّا لم نجد موهوماً إلاّ مخلوقاً.

قال عليه السلام: لو كان ذلك كما تقول لكان التوحيد عنّا مرتفعاً؛ لأنّا لم نُكلّف غير موهوم، ولكنّا نقول: كلّ موهوم بالحواس؛ مدرك، فما تجده الحواس، وتُمثّله؛ فهو مخلوق، إذ كان النفي هو الإبطال والعدم، والجهة الثانية: التشبيه، إذ كان التشبيه هو صفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف، فلم يكن بدٌّ من إثبات الصانع لوجود المصنوعين، والإضطرار منهم إليه أنّهم مصنوعون، وإنّ صانعهم غيرهم، وليس مثلهم، إذ كان مثلهم، شبيهاً بهم في ظاهر التركيب والتأليف، وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد إذ لم يكونوا، وتنقّلهم من صغر إلى كبر، وسواد إلى بياض، وقوّة إلى ضعف، وأحوال موجودة لا حاجة لنا إلى تفسيرها؛ لثباتها ووجودها.

قال له السائل: فقد حدّدته إذ أثبتّ وجوده.

قال عليه السلام: لم أحدّه ولكنّي أثبتّه إذ لم يكن بين النفي والإثبات منزلة.

قال له السائل: فله إنّيّة، ومائيّة؟

قال عليه السلام: نعم، لا يثبت الشيء إلاّ بإنّيّة، ومائيّة.

قال له السائل: فله كيفيّة؟

قال عليه السلام: لا، لأنّ الكيفيّة جهة الصفة والإحاطة، ولكن لا بدّ من الخروج من جهة التعطيل والتشبيه، لأنّ من نفاه؛ فقد أنكره، ورفع ربوبيّته وأبطله، ومَن شبّهه بغيره؛ فقد أثبته بصفة المخلوقين المصنوعين الذين لا يستحقّون الربوبيّة، ولكن لا بدّ من إثبات أنّ له كيفيّة لا يستحقّها غيره ولا يُشارك فيها، ولا يُحاط بها، ولا يعلمها غيره.

قال السائل: فيعاني الأشياء بنفسه؟

قال عليه السلام: هو أجلّ من أن يعاني الأشياء بمباشرة ومعالجة؛ لأنّ ذلك صفة المخلوق الذي لا تجيء الأشياء له إلاّ بالمباشرة والمعالجة، وهو متعال، نافذ

الإرادة والمشيئة، فعّال لما يشاء.[١]

الظنّ عجز لمن لا يستيقن

روى الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد، بسنده: عن علي بن منصور، قال: قال لي هشام بن الحكم:

كان بمصر زنديق يبلغه عن أبي عبد الله عليه السلام أشياء، فخرج إلى المدينة ليناظره؛ فلم يصادفه بها، وقيل له: إنّه خارج بمكّة، فخرج إلى مكّة، ونحن مع أبي عبد الله عليه السلام، فصادفنا ونحن مع أبي عبد الله عليه السلام في الطواف، وكان اسمه عبد الملك، وكُنيته أبو عبد الله، فضرب كتفه كتف أبي عبد الله عليه السلام، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما اسمك؟!

فقال: اسمي عبد الملك.

فقال عليه السلام: فما كُنيتك؟!

قال: كُنيتي أبو عبد الله.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: فمن هذا الملك الذي أنت عبده؟ أمن ملوك الأرض أم من ملوك السماء؟ وأخبرني عن ابنك عبد إله السماء أم عبد إله الأرض؟ قل ما شئت تُخصم.

قال هشام بن الحكم: فقلت للزنديق: أما تردّ عليه!؟

قال: فقُبّح قولي.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا فرغت من الطواف فأتنا.

فلمّا فرغ أبو عبد الله عليه السلام أتاه الزنديق، فقعد بين يدي أبي عبد الله عليه السلام، ونحن

---

١. راجع كتاب التوحيد: ص٢٤٣، باب٣٦ الردّ على الثنويّة والزنادقة ح١.

مجتمعون عنده، فقال أبو عبد الله عليه السلام للزنديق: أتعلم أنّ للأرض تحتاً وفوقاً؟

قال: نعم.

قال: فدخلت تحتها؟

قال: لا.

قال: فما يدريك ما تحتها؟

قال: لا أدري إلاّ إنّي أظنّ أن ليس تحتها شيء.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: الظنّ عجز لمن لا يستيقن.

ثمّ قال عليه السلام: أفصعدت السماء؟

قال: لا.

قال: أفتدري ما فيها؟

قال: لا.

قال عليه السلام: عجباً لك، لم تبلغ المشرق، ولم تبلغ المغرب. لم تنزل الأرض، ولم تصعد السماء، ولم تجز هناك فتعرف ما خلفهنّ، وأنت جاحد بما فيهنّ، وهل يجحد العاقل ما لا يعرف!؟

قال الزنديق: ما كلّمني بهذا أحد غيرك.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: فأنت منذ ذلك في شكّ، فلعلّه هو، ولعلّه ليس هو؟

فقال الزنديق: ولعلّ ذلك.

فقال عليه السلام: أيّها الرجل، ليس لمن لا يعلم حجّة على من يعلم، ولا حجّة للجاهل.

يا أخا أهل مصر، تفهّم عنّي: إنّا لا نشكّ في الله أبداً. أما ترى الشمس القمر، والليل والنهار؛ يلجان، فلا يشتبهان ويرجعان، قد اضطَرا، ليس لهما

مكان إلاّ مكانهما، فإن كانا يقدران على أن يذهبا؛ فَلم يرجعان؟ وإن كانا غير مضطرّين؛ فلم لا يصير الليل نهاراً، والنهار ليلاً؟ أضطَرا والله يا أخا أهل مصر، إلى دوامهما، والذي اضطّرهما أحكم منهما، وأكبر.

فقال الزنديق: صدقت.

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أخا أهل مصر، إنّ الذي تذهبون إليه وتظنّون أنّه الدهر؛ إن كان الدهر يذهب بهم، لِم لا يردّهم!؟ وإن كان يردّهم لم لا يَذهب بهم!؟ القوم مضطرّون يا أخا أهل مصر، لِم السماء مرفوعة، والأرض موضوعة، لِم لا تسقط السماء على الأرض، لِم لا تنحدر الأرض فوق طباقها، ولا يتماسكان، ولا يتماسك مَن عليها!؟

قال الزنديق: أمسكهما الله ربّهما، وسيّدهما.

قال هشام: فآمن الزنديق على يدي أبي عبد الله عليه السلام.

فقال له حمران: جُعلت فداك، إن آمنت الزنادقة على يدك، فقد آمن الكفّار على يدي أبيك.

فقال المؤمن الذي آمن على يدي أبي عبد الله عليه السلام: اجعلني من تلامذتك.

فقال عليه السلام: يا هشام بن الحكم، خُذه إليك، وعلّمه. فعلّمه هشام... إلخ.[1]

مع ابن أبي العوجاء

روى الكليني في أُصول الكافي، بسنده: عن أحمد بن محسن الهيثمي، قال: كنت عند أبي منصور المتطبب، فقال: أخبرني رجل من أصحابي، قال:

كنت أنا وابن أبي العوجاء، وعبد الله بن المقفّع في المسجد الحرام، فقال ابن

---

١. أُنظر كتاب التوحيد: ص٢٩٣، باب٤٢ إثبات حدوث العالم ح٤.

المقفّع: ترون هذا الخلق ـ وأومأ بيده إلى موضع الطواف ـ ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانيّة إلاّ ذاك الشيخ الجالس ـ يعني، أبا عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام ـ فأمّا الباقون؛ فرعاع، وبهائم.

فقال ابن أبي العوجاء: وكيف أُوجب هذا الإسم لهذا الشيخ دون هؤلاء!؟

قال: لأنّي رأيت عنده ما لم أره عندهم.

فقال له ابن أبي العوجاء: لا بدّ من اختبار ما قلت فيه منه.

فقال له ابن المقفّع: لا تفعل، فإنّي أخاف أن يُفسد عليكِ ما في يـدك ـ أي، معتقدك ـ!

فقال: ليس ذا برأيك، ولكن تخاف أن يُضعف رأيـك عنـدي إجلالـك إيّـاه المحلّ الذي وصفت.

فقال ابن المقفّع: أمّا إذا توهّمت على هذا فقم إليه وتحفّظ ما استطعت مـن الزلل، ولا تُثني ـ أي، لا ترخ ـ عنانك إلى استرسال؛ فيُسلمك إلى عقال، وسمّه مالك وما عليك ـ أي، اجعل ما تريد أن تتكلّم به علامة؛ لتعلم أيّ شيء لـك أو عليك ـ.

قال: فقام ابن أبي العوجاء، وبقيت أنا وابن المقفّع جالسين، فلمّا رجـع إلينـا ابن أبي العوجاء، قال: ويلك يا بن المقفّع! ما هـذا ببـشر، وإن كـان فـي الـدنيا روحاني يتجسّد إذا شاء ظاهراً، ويتروّح اذا شاء باطناً؛ فهو هذا.

فقال له ـ ابن المقفّع ـ: وكيف ذلك؟

قال: جلست إليه فلمّا لم يبق عنده غيري ابتدأني.

فقال: إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولـون ـ يعنـي، أهـل الطواف ـ فقد سلموا، وعطبتم. وإن يكن الأمـر علـى مـا تقولـون، ولـيس كمـا تقولون، فقد استويتم وهم.

فقلت له: يرحمك الله، وأيّ شيء نقول، وأي شيء يقولون؟ ما قولنا وقولهم إلاّ واحد.

فقال: وكيف يكون قولك وقولهم واحد؟ وهم يقولون: إنّ لهم معاداً، وثواباً، وعقاباً، ويدينون بأنّ في السماء إلهاً، وإنّها عمران. وأنتم تزعمون: إنّ السماء خراب، ليس فيها أحد.

قال ـ أبن أبي العوجاء ـ: فاغتنمتها منه، فقلت له: ما منعه إن كان الأمر كما يقولون أن يَظهر لخلقه، ويدعوهم إلى عبادته حتّى لا يختلف منهم اثنان، ولم احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل!؟ ولو باشرهم بنفسه، كان أقرب إلى الإيمان به!؟

فقال لي: ويلك! وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك، ونشوءك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوّتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوّتك، وسقمك بعد صحّتك، وصحّتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبّك بعد بغضك، وبغضك بعد حبّك، وعزمك بعد أناتك، وأناتك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاءك بعد يأسك، ويأسك بعد رجاءك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك، وعزوب ما أنت معتقده عن ذهنك.

وما زال يعدّد عليه السلام عليّ قدرته التي هي في نفسي التي لا أدفعها حتّى ظننت أنّه سيظهر فيما بيني وبينه... قال:

وعاد ابن أبي العوجاء في اليوم الثاني إلى مجلس أبي عبد الله عليه السلام، فجلس وهو ساكت لا ينطق!

فقال أبو عبد الله عليه السلام: كأنّك جئت تعيد بعض ما كنّا فيه!؟

فقال: أردت ذلك يا بن رسول الله.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما أعجب هذا؛ تنكر الله، وتشهد أنّي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله!!

فقال: العادة تحملني على ذلك.

فقال له العالم عليه السلام: فما يمنعك من الكلام؟!

قال: إجلالاً لك، ومهابة؛ ما ينطق لساني بين يديك، فإنّي شاهدت العلماء، وناظرت المتكلّمين، فما تداخلني هيبة قطّ مثل ما تداخلني من هيبتك.

قال: يكون ذلك، ولكن أفتح عليك بسؤال، وأقبل عليه؛ فقال له: أمصنوع أنت أو غير مصنوع؟

فقال عبد الكريم بن أبي العوجاء: بل أنا غير مصنوع.

فقال له العالم عليه السلام: فصف لي لو كنت مصنوعاً كيف كنت تكون!؟

فبقي عبد الكريم مليّاً لا يحير جواباً، وولع بخشبة كانت بين يديه، وهو يقول: طويل، عريض، عميق، قصير، متحرّك، ساكن، كلّ ذلك صفة خلقه.

فقال له العالم عليه السلام: فإن كنت لم تعلم صفة الصنعة؛ غيّرها؛ فاجعل نفسك مصنوعاً لما تجد في نفسك ممّا تحدث من هذه الأمور.

فقال له عبد الكريم: سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك، ولا يسألني أحد بعدك عن مثلها.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: هبك علمت أنّك لم تسأل فيما مضى، فما علمك أنّك لم تسأل فيما بعد؟ على أنّك يا عبد الكريم، نقضت قولك، لأنّك تزعم أنّ الأشياء من الأوّل سواء، فكيف قدّمت وأخّرت!؟

ثمّ قال عليه السلام: يا عبد الكريم، أزيدك وضوحاً: أرأيت لو كان معك كيس فيه جواهر، فقال لك قائل: هل في الكيس دينار؟ فنفيت كون الدينار في الكيس،

فقال لك: صفْ لي الدينار؛ وكنت غير عالم بصفته، هل كان ذلك أن تنفي كون الدينار عن الكيس وأنت لا تعلم؟

قال: لا.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: فالعالم أكبر، وأطول، وأعرض من الكيس، فلعلّ في العالم صنعة من حيث لا تعلم صفة الصنعة من غير الصنعة، فانقطع عبد الكريم ـ ابن أبي العوجاء ـ وأجاب إلى الإسلام بعض أصحابه وبقي معه بعض.

فعاد في اليوم الثالث، فقال: أقلب السؤال.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: سل عمّا شئت.

فقال: ما الدليل على حدث الأجسام؟

فقال ـ أبو عبد الله عليه السلام: إنّي ما وجدت شيئاً صغيراً ولا كبيراً إلاّ وإذا ضمّ إليه مثله صار أكبر، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى، ولو كان قديماً ما زال ولا حال، لأنّ الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل، فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث، وفي كونه في الأزل دخوله في العدم، ولن تجتمع صفة الأزل والعدم، والحدوث والقدم في شيء واحد.

فقال ـ ابن أبي العوجاء ـ: هبك علمت في جري الحالتين والزمانين على ما ذكرت، واستدللت بذلك على حدوثها، فلو بقيت الأشياء على صغرها؛ من أين كان لك أن تستدلّ على حدوثهن!؟

فقال عليه السلام: إنّما نتكلّم على هذا العالم الموضوع، فلو رفعناه ووضعنا عالماً آخر؛ كان لا شيء أدلّ على الحدث من رفعنا إيّاه ووضعنا غيره، ولكن أُجيبك من حيث قدرت أن تُلزمنا؛ فنقول: إنّ الأشياء لو دامت على صغرها، لكان في الوهم أنّه متى ضُمّ شيء إلى مثله كان أكبر، وفي جواز التغيير عليه، خروجه من القدم، كما أنّ في تغييره دخوله في الحدث؛ ليس لك وراءه شيء يا عبد

الكريم. فانقطع، وخُزي.

فلمّا كان من العام القابل إلتقى معه في الحرم، فقال له عليه السلام بعض شيعته: إنّ ابن أبي العوجاء قد أسلم.

فقال عليه السلام: هو أعمى من ذلك؛ لا يُسلم.

فلمّا بصر بالعالم، قال: سيّدي، ومولاي.

فقال له عليه السلام: ما جاء بك إلى هذا الموضع؟!

فقال: عادة الجسد، وسُنّة البلد، ولننظر ما الناس فيه من الجنون، والحلق، ورمي الحجارة!

فقال له العالم عليه السلام: أنت بعد على عتوّك، وضلالك يا عبد الكريم.

فذهب يتكلّم.

فقال له عليه السلام: لا جدال في الحجّ. ونفض رداءه من يده؛ وقال: إن يكن الأمر كما تقول، وليس كما نقول؛ نجونا، ونجوت. وإن لم يكن الأمر كما تقول، وهو كما نقول؛ نجونا، وهلكت.

فأقبل عبد الكريم على مَن معه.

فقال: وجدت في قلبي حزازة[1] فردّوني، فردّوه فمات، لا رحمه الله.[2]

القضاء والقدر

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: وقال عليه السلام: لزرارة بن أعين: يا زرارة، أعطيك جملة في القضاء والقدر؟

---

١. الحزازة: وجع في القلب.

٢. أصول الكافي: ج١ ص٧٤، حدوث العالم ح٢.

قال: نعم، جُعلت فداك.

قال عليه السلام: إذا كان يوم القيامة، وجمع الله الخلائق؛ سألهم عمّا عهد إليهم، ولم يسألهم عمّا قضى عليهم.[١]

أسماء الله

روى الكليني في أُصول الكافي، بسنده: عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

اسم الله غيره، وكلّ شيء وقع عليه اسم شيء؛ فهو مخلوق ما خلا الله، فأمّا ما عبّرته الألسن، أو عملت الأيدي؛ فهو مخلوق، والله؛ غاية من غاياته، والمغيي غير الغاية، والغاية موصوفة، وكلّ موصوف مصنوع، وصانع الأشياء غير موصوف بحدّ مسمّى، لم يتكون فيعرف كينونيّته، يصنع غيره، ولم يتناه إلى غاية إلاّ كانت غيره، ولا يزلّ من فهم هذا الحكم أبداً، وهو التوحيد الخالص، فادعوه، وصدّقوه، وتفهّموه بإذن الله.

مَن زعم أنّه يعرف الله بحجاب، أو بصورة، أو بمثال؛ فهو مشرك؛ لأنّ حجابه، وصورته، ومثاله؛ غيره، وإنّما هو واحد متوحّد، فكيف يوحّده من زعم أنّه عرفه بغيره، وإنّما عرف الله مَن عرفه بالله، فمَن لم يعرفه به؛ فليس يعرفه، إنّما يعرفه غيره، ليس بين الخالق والمخلوق شيء، والله خالق الأشياء لا من شيء كان، والله يُسمّى بأسمائه، وهو غير أسمائه، والأسماء غيره.[٢]

لا يمكن رؤية الله

روى الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد، بسنده: عن عاصم بن حميد، قال:

---

١. كشف الغُمّة: ج٢ ص٣٩٢.

٢. أُصول الكافي: ج١ ص١١٣، باب حدوث الأسماء ح٤.

ذاكرت أبا عبد الله عليه السلام فيما يروون من الرؤية، فقال عليه السلام: الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر، فإن كانوا صادقين فليملئوا أعينهم من الشمس؛ ليس دونها حجاب.[١]

لانفي و لاتشبيه

روى الكليني في أُصول الكافي، بسنده: عن عبد الرحيم بن عتيك، قال: كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام: إنّ قوماً بالعراق يصفون الله بالصورة، وبالتخطيط. فإن رأيت جعلني الله فداك، أن تكتب إليّ بالمذهب الصحيح في التوحيد؟

فكتب عليه السلام إليّ: سألت رحمك الله، عن التوحيد، وما ذهب إليه من قبلك؛ فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، تعالى عمّا يصفه الواصفون، المشبّهون الله بخلقه، المفترون على الله. فاعلم رحمك الله، إنّ المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عزّ وجلّ، فانف عن الله تعالى البطلان والتشبيه، فلا نفي ـ الصفات الثبوتية ـ ولا تشبيه ـ بخلقه ـ هو الله الثابت الموجود، تعالى الله عمّا يصفه الواصفون، ولا تعدوا القرآن؛ فتضلّوا بعد البيان.[٢]

---

١. التوحيد: ص١٠٨ باب ما جاء في الرؤية ح٣.

٢. أُصول الكافي: ج١ ص١٠٠، باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى ح١.

صفاته تعالى عين ذاته

روى الكليني في أُصول الكافي، بسنده: عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لم يزل الله عزّ وجلّ ربّنا، والعلم ذاته؛ ولا معلوم، والسمع ذاته؛ ولا مسموع، والبصر ذاته؛ ولا مُبصر، والقدرة ذاته؛ ولا مقدور، فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم ـ أي، وجد المعلوم ـ وقع العلم منه على المعلوم[1]، والسمع على المسموع، والبصر على المُبصر، والقدرة على المقدور.

قال ـ أبو بصير ـ : قلت: فلم يزل الله متحرّكاً؟

فقال عليه السلام: تعالى الله عن ذلك، إنّ الحركة صفة محدثة بالفعل.

قال: قلت: فلم يزل الله متكلّماً؟

فقال عليه السلام: إنّ الكلام صفة محدثة ليست بأزليّة، كان الله عزّ وجلّ؛ ولا متكلّم.[2]

بين العلم والمشيئة

روى الكليني في أُصول الكافي، قال: وعن بكير بن أعين، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: علم الله ومشيئته؛ هما مختلفان أو متّفقان؟

فقال عليه السلام: العلم ليس هو المشيئة؛ ألا ترى إنّك تقول: سأفعل كذا إن شاء الله، ولا تقول: سأفعل كذا إن علم الله. فقولك: إن شاء الله؛ دليل على أنّه لم يشأ،

---

١. قال العلامة محمد باقر المجلسي: قوله عليه السلام: «وقع العلم منه على المعلوم» أي، وقع على ما كان معلوماً في الأزل، وانطبق عليه، وتحقّق مصداقه. وليس المقصود تعلّقه به تعلّقاً لم يكن قبل الإيجاد. أوالمراد بـ : «وقوع العلم على المعلوم» العلم به على أنّه حاضر موجود، وكان قد تعلّق العلم به قبل ذلك على وجه الغيبة، وأنّه سيوجد. والتغيّر يرجع إلى المعلوم لا إلى العلم. راجع مرآة العقول: ج٢ ص٩، باب صفات الذات ح١.

٢. الكافي: ج١ ص١٠٧، باب صفات الذات ح١.

فإذا شاء كان الذي شاء كما شاء، وعلم الله السابق للمشيئة.

وفيه أيضاً: وعن عمر بن أُذينة، عنه عليه السلام: قال: خلق الله المشيئة بنفسها، ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة.[١]

الناس والقُدرة

روى ابن شعبة الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: الناس في القُدرة على ثلاثة أوجه: رجل يزعم: إنّ الأمر مفوّض إليه. فقد وهّن الله في سلطانه؛ فهو هالك. ورجل يزعم: إنّ الله أجبر العباد على المعاصي، وكلّفهم ما لا يطيقون. فقد ظلم الله في حكمه؛ فهو هالك. ورجل يزعم: إنّ الله كلّف العباد ما يطيقونه، ولم يكلّفهم ما لا يطيقونه، فإذا أحسن؛ حمد الله، وإذا أساء؛ استغفر الله. فهذا مسلم بالغ.[٢]

تعريفه عليه السلام للإيمان

روى ابن شعبة الحرّاني في تُحف العقول، قال: قال عليه السلام: معنى صفة الإيمان: الإقرار بالخضوع لله بذلّ الإقرار، والتقرّب إليه به، والأداء له بعلم كلّ مفروض من صغير أوكبير من حدّ التوحيد فما دونه إلى آخر باب من أبواب الطاعة، أوّلاً فأوّلاً، مقرون ذلك كلّه بعضه إلى بعض، موصول بعضه ببعض. فإذا أدّى العبد ما فُرض عليه ممّا وصل إليه على صفة ما وصفناه؛ فهو مؤمن، مُستحقّ لصفة الإيمان، مستوجب للثواب.

وذلك أنّ معنى جملة «الإيمان الإقرار» ومعنى الإقرار: التصديق بالطاعة.

---

١. الكافي: ج١ ص ١٠٩ـ١١٠، باب الإرادة إنّها من صفات الفعل، وسائر صفات الفعل ح٢ و٤.

٢. تُحف العقول: ص٣٧١، ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام.

فلذلك ثبت أنّ الطاعة كلّها صغيرها وكبيرها مقرونة بعضها إلى بعض، فلا يخرج المؤمن من صفة الإيمان، إلا بترك ما استحقّ أن يكون به مؤمناً، وإنّما استوجب، واستحقّ اسم الإيمان، ومعناه بأداء كبار الفرائض موصولة، وترك كبار المعاصي واجتنابها.

وإن ترك صغار الطاعة، وارتكب صغار المعاصي؛ فليس بخارج من الإيمان، ولا تارك له ما لم يترك شيئاً من كبار الطاعة، ولم يرتكب شيئاً من كبار المعاصي، فما لم يفعل ذلك؛ فهو مؤمن، لقول الله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾[1]. يعني، المغفرة ما دون الكبائر. فإن هو ارتكب كبيرة من كبائر المعاصي؛ كان مأخوذاً بجميع المعاصي صغارها، وكبارها؛ معاقَباً عليها، ومعذّباً بها. فهذه صفة الإيمان، وصفة المؤمن المستوجب للثواب.[2]

وصفه عليه السلام للإسلام

روى ابن شعبة الحرّاني في تُحف العقول، قال: قال عليه السلام: وأمّا معنى صفة الإسلام: فهو الإقرار بجميع الطاعة في الظاهر، والحكم، والأداء له. فإذا أقرّ المُقرّ بجميع الطاعة في الظاهر من غير العقد عليه بالقلوب؛ فقد استحقّ اسم الإسلام ومعناه، واستوجب الولاية الظاهرة، وإجازة شهادته والمواريث، وصار له ما للمسلمين، وعليه ما على المسلمين. فهذه صفة الإسلام.

والفرق ما بين المسلم والمؤمن: أنّ المسلم إنّما يكون مؤمناً أن يكون مطيعاً في الباطن مع ما هو عليه في الظاهر، فإذا فعل ذلك بالظاهر؛ كان مسلماً، وإذا

١. سورة النساء: ٣١.

٢. تُحف العقول: ص٣٢٩، ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام.

فعل ذلك بالظاهر، والباطن بخضوع، وتقرّب بعلم؛ كان مؤمناً؛ فقد يكـون العبـد مسلماً، ولا يكون مؤمناً إلاّ وهو مسلم.[١]

الخروج من الإيمان

روى ابن شعبة الحرّاني في تُحف العقول، قـال: قـال‌عليه السلام: وقـد يخـرج مـن الإيمان بخمس جهات من الفعل، كلّها متشابهات معروفـات: الكفـر، والـشرك، والضلال، والفسق، وركوب الكبائر.

فمعنى الكفر: كلّ معصية عصى الله بها بجهة الجحد، والإنكار، والإستخفاف، والتهاون في كلّ ما دقّ وجلّ، وفاعله كافر، ومعناه معنى الكفر، من أيّ ملّة كان، ومن أيّ فرقة كان، بعد أن تكون منه معصية بهذه الصفات؛ فهو كافر.

ومعنى الشرك: كلّ معصية عصى الله بها بالتديّن، فهو مشرك، صغيرة كانـت المعصية أو كبيرة؛ ففاعلها مشرك.

ومعنى الضلال: الجهل بالمفروض، وهوأن يترك كبيرة من كبائر الطاعة التـي لا يستحقّ العبد الإيمان إلا بها بعد ورود البيان فيهـا، والإحتجـاج بهـا، فيكـون التارك لها تاركاً بغير جهة الإنكار، والتديّن بإنكارها وجحودهـا، ولكـن يكـون تاركاً على جهة التواني، والإغفال والإشتغال بغيرهـا؛ فهـو ضـالّ، متنكّـب عـن طريق الإيمان، جاهل به، خارج منه، مستوجب لإسـم الـضلالة ومعناهـا مـا دام بالصفة التي وصفناه بها.

فإن كان هو الذي مال بهواه إلى وجه من وجـوه المعـصية بجهـة الجحـود، والإستخفاف، والتهاون؛ كفر، وإن هو مـال بهـواه إلـى التـديّن بجهـة التأويـل،

---

١. تُحف العقول: ص٣٢٩، ما روي عن الإمام الصادق‌عليه السلام.

والتقليد، والتسليم، والرضا بقول الآباء، والأسلاف؛ فقد أشرك. وقلّ ما يلبث الإنسان على ضلالة حتّى يميل بهواه إلى بعض ما وصفناه من صفته.

ومعنى الفسق: فكلّ معصية من المعاصي الكبار فعلها فاعل، أو دخل فيها داخل بجهة اللذّة، والشهوة، والشوق الغالب؛ فهو فسق، وفاعله فاسق، خارج من الإيمان بجهة الفسق، فإن دام في ذلك حتّى يدخل في حدّ التهاون، والإستخفاف؛ فقد وجب أن يكون بتهاونه، واستخفافه كافراً.

ومعنى راكب الكبائر التي بها يكون فساد إيمانه: فهو أن يكون منهمكاً على كبائر المعاصي بغير جحود، ولا تديّن، ولا لذّة، ولا شهوة، ولكن من جهة الحميّة، والغضب؛ يُكثر القرف[1]، والسبّ، والقتل، وأخذ الأموال، وحبس الحقوق، وغير ذلك من المعاصي الكبائر التي يأتيها صاحبها بغير جهة اللذّة.

ومن ذلك: الأيمان الكاذبة، وأخذ الربا، وغير ذلك التي يأتيها من أتاها بغير استلذاذ. والخمر، والزنا، واللهو، ففاعل هذه الأفعال كلّها مفسد للإيمان، خارج منه من جهة ركوبه الكبيرة على هذه الجهة، غير مشرك، ولا كافر، ولا ضالّ. جاهل على ما وصفناه من جهة الجهالة، فإن هو مال بهواه إلى أنواع ما وصفناه من حدّ الفاعلين؛ كان من صفاته.[2]

---

١. قرف ـ بضم الأوّل والثاني ـ : الكثير البغي، والظلم. ومع التحريك: الباغي، والكاذب.

٢. تُحف العقول: ص٣٣٠، ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام.

في النبوّة

أفضل الأنبياء

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: ابن جرير بن رستم الطبري، عن إسماعيل الطوسي، عن أحمد البصري، عن أبيه، عن أبي حبيش الكوفي، قال: حضرت مجلس الصادق عليه السلام وعنده جماعة من النصارى، فقالوا: فضل موسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام، ومحمد صلى الله عليه وآله سواء؛ لأنّهم أصحاب الشرائع، والكتب.

فقال الصادق عليه السلام: إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله أفضل منهما، وأعلم، ولقد أعطاه الله تعالى من العلم ما لم يُعط غيره.

فقالوا: آية من كتاب الله نزلت في هذا!؟

قال عليه السلام: نعم، قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[1].

وقوله لعيسى عليه السلام: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾[2].

وقوله للسيّد المصطفى صلى الله عليه وآله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[3].

وقوله: ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[4].

فهو والله، أعلم منهما؛ ولو حضر موسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام بحضرتي، وسألاني لأجبتهما، وسألتهما ما أجابا.[5]

---

١. سورة الأعراف، الآية: ١٤٥.

٢. سورة الزخرف، الآية: ٦٣.

٣. سورة النحل، الآية: ٨٩.

٤. سورة الجن، الآية: ٢٨.

٥. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٨٥.

بين اسماعيل واسحاق

روى الشيخ الصدوق في معاني الأخبار، قال: حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل، قال: حدّثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن داود بن كثير الرقي، قال: قُلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيّهما كان أكبر، إسماعيل أو إسحاق؟ وأيّهما كان الذبيح؟

فقال عليه السلام: كان إسماعيل أكبر من إسحاق بخمس سنين، وكان الذبيح إسماعيل، وكانت مكّة منزل إسماعيل؛ وإنّما أراد إبراهيم أن يذبح إسماعيل أيام الموسم بمنى. قال عليه السلام: وكان بين بشارة الله لإبراهيم بإسماعيل وبين بشارته بإسحاق خمس سنين؛ أما تسمع لقول إبراهيم عليه السلام حيث يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1]؛ إنّما سأل الله عزّ وجلّ أن يرزقه غلاماً من الصالحين، وقال في سورة الصافّات: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[2]؛ يعني، إسماعيل من هاجر، فقال: ففدي إسماعيل بكبش عظيم.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ثمّ قال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾[3]؛ يعني، بذلك إسماعيل قبل البشارة بإسحاق؛ فمن زعم أنّ إسحاق أكبر من إسماعيل، وأنّ الذبيح إسحاق؛ فقد كذّب بما أنزل الله عزّ وجلّ في القرآن من نبائهما.[4]

---

١. سورة الصافّات، الآية: ١٠٠.

٢. سورة الصافّات، الآية: ١٠١.

٣. سورة الصافّات، الآية: ١١٢.

٤. معاني الأخبار: ص٣٩١ رقم٣٤.

في الولاية

من ودائع الإمامة

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن معاوية بن وهب، عن سعيد السمّان، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجلان من الزيديّة، فقالا له: أفيكم إمام مفترض الطاعة؟

فقال عليه السلام: لا.

فقالا: قد أخبرنا عنك الثقاة أنّك تقول به. وسموا قوماً، وقالوا: هم أصحاب ورع وتشمير[1]، وهم ممّن لا يكذب.

فغضب أبو عبد الله عليه السلام، وقال: ما أمرتهم بهذا!

فلمّا رأيا الغضب في وجهه؛ خرجا.

فقال عليه السلام لي: أتعرف هذين؟

قلت: نعم، هما من أهل سوقنا، وهما من الزيديّة، وهما يزعمان أنّ سيف رسول الله صلى الله عليه وآله عند عبد الله بن الحسن.

فقال عليه السلام: كذبا، لعنهما الله! والله، ما رآه عبد الله بن الحسن بعينيه، ولا بواحدة من عينيه، ولا رآه أبوه؛ اللهمّ إلا أن يكون رآه عند علي بن الحسين عليهما السلام فإن كانا صادقين فما علامة في مقبضه، وما أثر في موضع مضربه! فإنّ عندي لسيف رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّ عندي لراية رسول الله صلى الله عليه وآله، ودرعه، ولامته، ومغفره.

فإن كانا صادقين؛ فما علامة في درع رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وإنّ عندي لراية رسول الله صلى الله عليه وآله المغلبة، وإنّ عندي ألواح موسى عليه السلام، وعصاه، وإنّ عندي لخاتم سليمان،

١. التشمير: هو الجد فيه والإجتهاد. لسان العرب لابن منظور: ج٤ ص٤٢٨ «مادّة شمر».

وإنّ عندي الطست الذي كان موسى عليه السلام يُقرب به القربان.

وإنّ عندي الإسم الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا وضعه بين المسلمين والمشركين؛ لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشّابة[1]، وإنّ عندي لمثل الذي جاءت به الملائكة، ومثل السلاح فينا كمثل التابوت في بني إسرائيل، في أيّ أهل بيت وجد فيه التابوت على بابهم أوتوا النبوّة، ومن صار السلاح إليه منّا؛ أوتي الإمامة، ولقد لبس أبي عليه السلام درع رسول الله صلى الله عليه وآله فخطّت على الأرض خطيطاً، ولبستها أنا؛ فكانت وكانت، وقائمنا إذا لبسها؛ ملأها إن شاء الله تعالى.[2]

نحن حبل الله

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: أبان بن تغلب عن الصادق عليه السلام: نحن والله، الذين قال: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا﴾[3].[4]

أُولي النهى

روى محمد بن الحسن الصفّار في بصائر الدرجات، قال: حدّثنا علي بن اسماعيل، عن أبي عبد الله البرقي، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رياب، عن عمّار بن مروان، عن أبي عبد الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ﴾[5].

قال عليه السلام: نحن والله، أُولي النهى.

---

١. النشّابة: السهم.

٢. الكافي: ج١ ص٢٣٢، باب ما عند الأئمّة من سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ومتاعه، ح١.

٣. سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

٤. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٤٣، باب إمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

٥. سورة طه، الآية: ٥٤.

قُلت: ما معنى ﴿لِأُوْلِي النُّهَى﴾؟

قالعليه السلام: ما أخبر الله رسوله ممّا يكون من بعده من ادّعاء فلان الخلافة والقيام بها، والآخر من بعده، والثالث من بعدهما، وبني أُميّة؛ فأخبر النبيصلى الله عليه وآله علياًعليه السلام؛ فإنّ ذلك كما أخبر الله رسوله، كما أخبر رسوله علياًعليه السلام، وكما انتهى إلينا من علي فيما يكون من بعده من الملك في بني أُميّة، وغيرهم. فنحن أولي النهى الذين انتهى إلينا علم هذا كلّه؛ فصبرنا لأمر الله. ونحن قوّام الله على خلقه، وخزّانه على دينه؛ نخزنه، ونستره، ونكتم به من عدونا كما كتم رسول اللهصلى الله عليه وآله حتّى أذن له في الهجرة، وجهاد المشركين، فنحن على منهاج رسول اللهصلى الله عليه وآله حتّى يأذن الله باظهار دينه بالسيف، ويدعو الناس إليه، وليضربهم عليه عوداً كما ضربهم رسول اللهصلى الله عليه وآله.[1]

فرض الله طاعتنا

روى الشيخ الطوسي في تهذيب الأحكام، قال: علي بن الحسن بن فضّال، عن محمد بن الحسين، عن بن أبي عُمير، عن سيف بن عُميرة، عن أبي الصباح، قال: قال لي أبو عبد اللهعليه السلام: نحن قوم فرض الله طاعتنا؛ لنا الأنفال، ولنا صفو الأموال، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون الذين قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾[2].[3]

---

١. بصائر الدرجات: ص٥٣٨ رقم٥١.

٢. سورة النساء، الآية: ٥٤.

٣. تهذيب الأحكام: ج٤ ص١٣٢، باب الأنفال، ح١.

مودّتنا أهل البيت

روى الشيخ المفيد في الإختصاص، قال: غالب أحمد بن محمد الزراري، قال: حدّثني محمد بن سعيد الكوفي، قال: حدّثني محمد بن فضل بن إبراهيم، عن أبيه، عن النعمان بن عمرو الجعفي، قال: حدّثني محمد بن إسماعيل بن عبد الرحمن الجعفي، قال: دخلت أنا وعمّي الحصين بن عبد الرحمن علي أبي عبد الله عليه السلام، فأدناه، وقال: ابن مَن هذا معك؟! قال: ابن أخي إسماعيل.

فقال عليه السلام: رحم الله إسماعيل، وتجاوز عنه سيئ عمله. كيف خلفتموه؟! قال: بخير ما آتاه الله لنا من مودّتكم.

فقال عليه السلام: يا حصين، لا تستصغروا مودّتنا؛ فإنّها من الباقيات الصالحات.

قال: يا ابن رسول الله، ما استصغرتها، ولكن أحمد الله عليها.[١]

نحن المتوسّمون

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن ابن عُمير، قال: أخبرني أسباط ـ بيّاع الزطّي[٢] ـ قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فسأله رجل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾[٣]. قال:

فقال عليه السلام: نحن المتوسّمون، والسبيل فينا مقيم.[٤]

---

١. الإختصاص: ص٨٥.

٢. الزطّ: جيل أسود من السند، إليهم تُنسب الثياب الزطّيّة. وقيل: الزطّ: إعراب «جتّ بالهنديّة» وهم جيل من أهل الهند. أُنظر لسان العرب لابن منظور: ج٧ ص٣٠٨ «مادّة زط».

٣. سورة الحجر، الآية: ٧٥ و٧٦.

٤. الكافي: ج١ ص٢١٨، إنّ المتوسّمين الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه؛ هم الأئمّة عليهم السلام، ح١.

حرب علي عليه السلام

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: ابن مسكان، عن سليمان بن خالد في خبر طويل: إنّه دخل على الصادق عليه السلام آذنه، وأذن لقوم من أهل البصرة، قال عليه السلام: كم عدّتهم؟

فقال: لا أدري.

فقال عليه السلام: إثنا عشر رجلاً.

فلمّا دخلوا عليه؛ سألوا عن حرب علي عليه السلام، وطلحة، والزبير، وعائشة.

قال عليه السلام: وما تريدون بذلك!؟

قالوا: نريد أن نعلم علم ذلك.

قال عليه السلام: إذاً تكفرون يا أهل البصرة!

فقال عليه السلام: علي عليه السلام كان مؤمناً منذ بعث الله نبيّه إلى أن قبضه إليه، لم يؤمّر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً قطّ، ولم يكن في سريّة قطّ إلاّ كان عليه السلام أميرها... وإنّ طلحة والزبير بايعاه؛ وغدرا به، وإنّ النبي صلى الله عليه وآله أمره بقتال الناكثين، والقاسطين والمارقين.

فقالوا: هذا عهداً من رسول الله صلى الله عليه وآله!؟ لقد ضلّ القوم جميعاً.

قال عليه السلام: ألم أقل لكم إنّكم ستكفرون إن أخبرتكم! أما إنّكم سترجعون إلى أصحابكم من أهل البصرة فتخبرونهم بما أخبرتكم؛ فيكفرون أعظم من كُفركم... إلخ.[١]

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٥١، باب إمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

الرجوع إلى أئمّة الهدى

روى الشيخ الكليني في الكافي، بسنده: عن حمزة بن الطيّار: إنّه عرض على أبي عبد الله عليه السلام بعض خطب أبيه، حتّى إذا بلغ موضعاً منها؛ قال عليه السلام له: كُفّ، واسكت! ثمّ قال عليه السلام: لا يسعكم فيما ينزل بكم ممّا لا تعلمون إلا الكفّ عنه، والتثبّت، والردّ إلى أئمّة الهدى؛ حتّى يحملوكم فيه على القصد، ويُجلوا عنكم فيه العمى، ويُعرّفوكم فيه الحقّ، قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].[٢]

الإضطرار إلى الحجّة

روى الكليني في أُصول الكافي، بسنده: عن يونس بن يعقوب، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فورد عليه رجل من أهل الشام، فقال: إنّي رجل صاحب كلام، وفقه، وفرائض؛ وقد جئت لمناظرة أصحابك!

فقال أبو عبد الله عليه السلام: كلامك من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله، أو من عندك؟

فقال: من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن عندي!

فقال عليه السلام: فأنت إذاً شريك رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

قال: لا.

قال عليه السلام: فسمعت الوحي من الله عزّ وجلّ، ويُخبرك؟!

قال: لا.

قال عليه السلام: فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

---

١. سورة النحل، الآية: ٤٣، وسورة الأنبياء، الآية: ٧.

٢. أُصول الكافي: ج١ ص٥٠، باب النوادر، ح١٠.

قال: لا.

فالتفتعليه السلام إليّ؛ فقال: يا يونس بن يعقوب، هذا قد خصم نفسه قبل أن يتكلّم.

ثمّ قالعليه السلام: يا يونس، لو كنت تُحسن الكلام كلّمته؟!

فقلت: جُعلت فداك، إنّي سمعتك تنهي عن الكلام، وتقول: ويل لأصحاب الكلام، يقولون: هذا ينقاد، وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق، وهذا لا ينساق، وهذا نعقله، وهذا لا نعقله!

فقالعليه السلام: إنّما قلت: فويل لهم إن تركوا ما أقول، وذهبوا إلى ما يُريدون.

ثمّ قالعليه السلام لي: أُخرج إلى الباب فانظر مَن ترى من المتكلّمين؛ فأدخله.

قال: فأدخلت حمران بن أعين، وكان يُحسن الكلام، وأدخلت الأحول، وكان يُحسن الكلام، وأدخلت هشام بن سالم، وكان يُحسن الكلام، وأدخلت قيس بن الماصر، وكان عندي أحسنهم كلاماً، وكان قد تعلّم الكلام من علي بن الحسينعليه السلام.

فلمّا استقرّ بنا المجلس، وكان أبو عبد اللهعليه السلام... أخرج رأسه من فازته[١]، فإذا هو ببعير يخب، فقالعليه السلام: هشام وربّ الكعبة[٢]. قال ـ يونس ـ: فظننّا أنّ هشاماً رجل من ولد عقيل كانعليه السلام شديد المحبّة له.

قال: فورد هشام بن الحكم، وهو أوّل ما اختطّت لحيته، وليس فينا إلاّ مَن هو أكبر سنّاً منه، فوسّع له أبو عبد اللهعليه السلام، وقال: ناصرنا بقلبه، ولسانه، ويده. ثمّ قالعليه السلام: يا حمران، كلّم الرجل.

---

١. الفازة: الخيمة الصغيرة.

٢. يعني، هذا الراكب هشاماً.

فكلّمه؛ فظهر عليه حمران.

ثمّ قال عليه السلام: يا طافي، كلّمه. فكلّمه، فظهر عليه الأحول.

ثمّ قال عليه السلام: يا هشام بن سالم، كلّمه؛ فتعارفا[١].

ثمّ قال عليه السلام لقيس الماصر: كلّمه، فكلّمه؛ فأقبل أبو عبد الله عليه السلام يضحك من كلامهما ممّا قد أصاب الشامي.

فقال عليه السلام للشامي: كلّم هذا الغلام ـ يعني، هشام بن الحكم ـ.

فقال: نعم.

فقال ـ الشامي ـ لهشام: يا غلام، سلني في إمامة هذا.

فغضب هشام حتّى ارتعد، ثمّ قال للشامي: يا هذا! أربّك أنظر لخلقه أم خلقه لأنفسهم؟

فقال الشامي: بل ربّي أنظر لخلقه.

قال ـ هشام ـ: ففعل بنظره لهم ماذا؟

قال: أقام لهم حجّة ودليلاً كيلا يتشتّتوا أو يختلفوا، يألفهم، ويقيم أودهم، ويُخبرهم بفرض ربّهم.

قال ـ هشام ـ: فمن هو؟!

قال: رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال هشام: فبعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: الكتاب والسنّة.

---

١. أي تكلّما بما عرف كل منهما صاحبه، وفي بعض النسخ ـ بالواو والقاف ـ أي تعوق كل منها على الغلبة.

قال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنّة في رفع الإختلاف عنّا؟

قال الشامي: نعم.

قال: فلم اختلفنا أنا وأنت، وصرت إلينا من الشام في مخالفتنا إيّاك؟!

فسكت الشامي.

فقال أبو عبد الله عليه السلام للشامي: ما لك لا تتكلّم؟!

قال الشامي: إن قلت: لم نختلف؛ كذبت، وإن قلت: إنّ الكتاب والسنّة يرفعان عنّا الإختلاف؛ أبطلت، لأنّهما يحتملان الوجود، وإن قلت: قد اختلفنا، وكل واحد منّا يدّعي الحقّ، فلم ينفعنا إذاً الكتاب والسنّة؛ إلاّ أنّ لي عليه هذه الحجّة.

فقال عليه السلام: سله، تجده مليّاً.

فقال الشامي: يا هذا، من أنظر للخلق أربّهم أم أنفسهم؟

فقال هشام: ربّهم أنظر لهم منهم لأنفسهم.

فقال الشامي: فهل أقام لهم من يجمع لهم كلمتهم، ويُقيم أودهم، ويُخبرهم بحقّهم من باطلهم؟

قال هشام: في وقت رسول الله صلى الله عليه وآله، أو الساعة؟

قال الشامي: في وقت رسول الله صلى الله عليه وآله، والساعة؛ من؟

فقال هشام: هذا القاعد الذي تُشدّ إليه الرحال، ويُخبرنا بأخبار السماء والأرض؛ وراثة عن أبٍ، عن جدّ.

قال الشامي: فكيف لي أن أعلم ذلك؟

قال هشام: سله عمّا بدا لك.

قال الشامي: قطعت عذري، فعلي السؤال.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا شامي، أخبرك كيف كان سفرك، وكيف كان طريقك؟! وكان كذا وكذا.

فأقبل الشامي يقول: صدقت. أسلمت لله الساعة.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: بل آمنت بالله الساعة، إنّ الإسلام قبل الإيمان، وعليه يتوارثون ويتناكحون، والايمان عليه يُثابون.

فقال الشامي: صدقت، فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً صلى الله عليه وآله رسول الله، وأنّك وصيّ الأوصياء... إلخ.[1]

طينتكم من طينتنا

روى الصدوق في العلل، بسنده: عن أبى بصير، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، ومعي رجل من أصحابنا، فقلت له: جُعلت فداك يابن رسول الله، إنّي لاغتمّ، وأحزن من غير أن أعرف لذلك سبباً!؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ ذلك الحزن والفرح يصل إليكم منّا؛ لأنّا إذا دخل علينا حزن أو سرور كان ذلك داخلاً عليكم؛ لأنّا وإيّاكم من نور الله عزّ وجلّ، فجعلنا وطينتنا وطينتكم واحدة، ولو تُركت طينتكم كما أُخذت؛ لكنّا وأنتم سواء، ولكن مُزجت طينتكم بطينة أعدائكم، فلولا ذلك ما أذنبتم ذنباً أبداً.

قال: قلت: جُعلت فداك، أفتعود طينتنا، ونورنا كما بدا؟

فقال: إى والله يا عبد الله. أخبرني عن هذا الشعاع الزاهر من القرص إذا طلع؛ أهو متّصل به، أو باين منه؟!

فقلت له: جُعلت فداك، بل هو باين منه.

---

١. أُصول الكافي: ج١ ص١٧١، باب الإضطرار إلى الحجّة، ح٤.

فقال عليه السلام: أفليس إذا غابت الشمس، وسقط القرص، عاد إليه، فاتّصل به كما بدا منه؟

فقلت له: نعم.

فقال عليه السلام: كذلك والله شيعتنا؛ من نور الله خُلقوا، وإليه يعودون. والله، إنّكم لمُلحقون بنا يوم القيامة، وإنّا لنُشفّع؛ فنشفع. ووالله، إنّكم لتُشفّعون؛ فتشفعون، وما من رجل منكم إلا وسترفع له نار عن شماله، وجنّة عن يمينه، فيُدخل أحباؤه الجنّة، وأعداؤه النار.[١]

محبّوا أهل البيت عليهم السلام

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: دخل على الإمام الصادق عليه السلام رجل، فقال عليه السلام له: ممّن الرجل؟!

فقال: من محبّيكم، ومواليكم.

فقال له جعفر عليه السلام: لا يحبّ الله عبداً حتّى يتولاّه، ولا يتولاّه حتّى يوجب له الجنّة. ثمّ قال عليه السلام له: من أيّ محبّينا أنت؟!

فسكت الرجل! فقال له سُدير: وكم محبّوكم يا بن رسول الله!؟

فقال عليه السلام: على ثلاث طبقات: طبقة أحبّونا في العلانية، ولم يحبّونا في السرّ. وطبقة يُحبّونا في السرّ، ولم يُحبّونا في العلانية. وطبقة يُحبّونا في السرّ، والعلانية؛ هم النمط الأعلى، شربوا من العذب الفرات، وعلموا تأويل الكتاب، وفصل الخطاب، وسبب الأسباب، فهم النمط الأعلى؛ الفقر، والفاقة، وأنواع البلاء، أسرع إليهم من ركض الخيل. مسّتهم البأساء والضرّاء، وزُلزلوا، وفُتنوا،

---

١. علل الشرائع: ج١ ص٩٣ ب٨٤ ح٢.

فمن بين مجروح ومذبوح، متفرّقين في كلّ بلاد قاصية، بهم يشفي الله السقيم، ويُغني العديم، وبهم تُنصرون، وبهم تُمطرون، وبهم تُرزقون، وهم الأقلّون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً وخطراً.

والطبقة الثانية: النمط الأسفل. أحبّونا في العلانية، وساروا بسيرة الملوك، فألسنتهم لنا، وسيوفهم علينا.

والطبقة الثالثة: النمط الأوسط. أحبّونا في السرّ، ولم يُحبّونا في العلانية؛ ولعمري؛ لئن كانوا أحبّونا في السرّ دون العلانية؛ فهم الصوّامون بالنهار، القوّامون بالليل، ترى أثر الرهبانيّة في وجوههم، أهل سلم وانقياد.

قال الرجل: فأنا من محبّيكم في السرّ والعلانية.

قال جعفر عليه السلام: إنّ لمحبّينا في السرّ والعلانية علامات يُعرفون بها.

قال الرجل: وما تلك العلامات!؟

قال عليه السلام: تلك خلال؛ أوّلها: إنّهم عرفوا التوحيد حقّ معرفته، وأحكموا علم توحيده. والإيمان بعد ذلك بما هو، وما صفته. ثمّ علموا حدود الإيمان، وحقائقه، وشروطه، وتأويله... إلخ.[١]

معارف وعلوم

في خلق الإنسان

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: قال عليه السلام: عرفان المرء نفسه أن يعرفها بأربع طبائع، وأربعة دعائم، وأربع أركان:

---

١. تُحف العقول: ص٣٢٥.

فطبائعه: الدم، والمرّة، والريح، والبلغم.

ودعائمه: العقل. ومن العقل: الفهم، والحفظ.

وأركانه: النور، والنار، والروح، والماء.

وصورته طينته؛ فأبصر بالنور، وأكل وشرب بالنار، وجامع وتحرّك بالروح، ووجد طعم الذوق والطعام بالماء. فهذا تأسيس صورته.

فإذا كان تأييد عقله من النور؛ كان عالماً، حافظاً، ذكيّاً، فطناً، فهماً، وعرف فيما هو، ومن أين يأتيه، ولأيّ شيء هو ههنا، وإلى ما هو صائر بإخلاص الوحدانيّة، والإقرار بالطاعة. وقد تجري فيه النفس وهي حارّة، وتجري فيه وهي باردة، فإذا حلّت به الحرارة؛ أشر[١]، وبطر[٢]، وارتاح[٣]، وقتل، وسرق، وبهج، واستبشر، وفجر، وزنا، وبذخ[٤]. وإذا كانت باردة؛ اهتمّ، وحزن، واستكان، وذبل، ونسى.

فهي العوارض التي تكون منها الأسقام، ولا يكون أوّل ذلك إلاّ بخطيئة عملها، فيوافق ذلك من مأكل أو مشرب في حدّ ساعات لا تكون تلك الساعة موافقة لذلك المأكل والمشرب بحال الخطيئة؛ فيستوجب الألم من ألوان الأسقام.

ثمّ قال عليه السلام بعد ذلك كلام آخر: إنّما صار الإنسان يأكل ويشرب ويعمل بالنار، ويسمع ويشم بالريح، ويجد لذّة الطعام والشراب بالماء، ويتحرّك بالروح. فلولا أنّ النار في معدته لما هضمت الطعام والشراب في جوفه، ولولا الريح ما

---

١. أشر: فرح، وطغى بالنعمة؛ فصرفها في غير وجهها.

٢. البطر: شدّة النشاط.

٣. الإرتياح: السرور، والفرح.

٤. البذخ: الفخر، والتطاول.

التهبت نار المعدة، ولا خرج الثقل من بطنه، ولولا الروح لما جاء ولا ذهب، ولولا برد الماء لأحرقته نار المعدة، ولولا النور ما أبصر ولا عقل.

والطين صورته، والعظام في جسده بمنزلة الشجر في الأرض، والشعر في جسده بمنزلة الحشيش في الأرض، والعصب في جسده بمنزلة اللّحاء على الشجر، والدم في جسده بمنزلة الماء في الأرض، ولا قوام لجسد الإنسان إلاّ بالدّم، والمخّ دسم الدم وزبده.

فهكذا الإنسان خلق من شأن الدنيا، وشأن الآخرة؛ فإذا جمع الله بينهما صارت حياته في الأرض؛ لأنّه نزل من شأن السماء إلى الدنيا، فإذا فرّق الله بينهما صارت تلك الفرقة الموت يردّ شأن الآخرة إلى السماء، فالحياة في الأرض، والموت في السماء.

وذلك أنّه يفرق بين الروح والجسد؛ فردّت الروح والنور إلى القدرة الأولى، وترك الجسد؛ لأنّه من شأن الدنيا، وإنّما فسد الجسد في الدنيا؛ لأنّ الريح تُنشّف الماء؛ فييبس الطين؛ فيصير رفاتاً، ويبلى، ويردّ كلّ إلى جوهره الأوّل.

وتحرّكت الروح بالنفس، والنفس حركتها من الريح، فما كان من نفس المؤمن؛ فهو نور مؤيّد بالعقل، وما كان من نفس الكافر؛ فهو نار مؤيّد بالنكراء ـ أي، الدهاء والفطنة بالمنكر، والشيطنة ـ فهذا من صورة ناره، وهذا من صورة نوره. والموت رحمة من الله لعبده المؤمن، ونقمة على الكافر.

ولله عقوبتان: إحداهما: من الروح. والأُخرى: من تسليط الناس بعض على بعض. فما كان من قبل الروح؛ فهو السقم والفقر، وما كان من تسليط الناس؛ فهو النقمة، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

---

١. سورة الأنعام، الآية: ١٢٩.

وكلّ ذلك عقوبة للمؤمن في الدنيا، وعذاب له فيها. وأمّا الكافر؛ فنقمة عليه في الدنيا، وسوء العذاب في الآخرة. ولا يكون ذلك إلاّ بذنب من الشهوة، وهي من المؤمن خطأ، ونسيان، وأن يكون مُستكرهاً، وما لا يطيق. وما كان من الكافر؛ فعمد، وجحود، واعتداء، وحسد، وذلك قول الله ﷻ: ﴿كُفَّاراً حَسَدًا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم﴾[١].[٢]

العاقل

روى الكليني في أُصول الكافي، بسنده: عن إسحاق بن عمّار، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: مَن كان عاقلاً؛ كان له دين، ومَن كان له دين؛ دخل الجنّة.[٣]

الحجّة

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن عبد الله بن سنان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: حجّة الله على العباد؛ النبي صلى الله عليه وآله، والحجّة فيما بين العباد وبين الله؛ العقل.[٤]

الشكر والصبر

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: قد عجز مَن لم يعدّ لكلّ بلاء صبراً، ولكلّ نعمة شكراً، ولكلّ عُسر يُسراً. اصبر نفسك عند كلّ بليّة، ورزيّة في ولد أو مال؛ فإنّ الله إنّما يقبض عاريته، وهبته؛ ليبلو شكرك، وصبرك.[٥]

---

١. سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

٢. تُحف العقول: ص٣٥٤.

٣. أُصول الكافي: ج١ ص١١، كتاب العقل والجهل، ح٦.

٤. أُصول الكافي: ج١ ص٢٥، كتاب العقل والجهل، ح٢٢.

٥. تُحف العقول: ص٣٦١، الإمام الصادق عليه السلام.

من أوثق عرى الإيمان

روى الصدوق في الأمالي، بسنده: عن سعيد الأعرج، عن أبي عبد الله جعفر بن محمدعليهما السلام، قال: من أوثق عرى الإيمان؛ أن تُحبّ في الله، وتبغض في الله، وتُعطي في الله، وتمنع في الله.[1]

المعروف

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقالعليه السلام: المعروف كاسمه، وليس شيء أفضل من المعروف إلاّ ثوابه. والمعروف هديّة من الله إلى عبده، وليس كلّ من يحبّ أن يصنع المعروف إلى الناس يصنعه، ولا كلّ من رغب فيه يقدر عليه، ولا كلّ من يقدر يؤذن له فيه. فإذا مَنّ الله على العبد؛ جمع له الرغبة في المعروف، والقدرة، والأذن؛ فهناك تمّت السعادة، والكرامة للطالب والمطلوب إليه.[2]

الرضا والتسليم

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقالعليه السلام: قضاء الحوائج إلى الله، وأسبابها ـ بعد الله ـ العباد، تجري على أيديهم، فما قضى الله من ذلك؛ فاقبلوا من الله بالشكر، وما زوى عنكم منها؛ فاقبلوه عن الله بالرضا، والتسليم بالصبر؛ فعسى أن يكون ذلك خيراً لكم، فإنّ الله أعلم بما يُصلحكم وأنتم لا تعلمون.[3]

وروى الطبرسي في مشكاة الأنوار، قال: دخل بعض أصحاب أبي عبد اللهعليه السلام

---

١. الأمالي: ص٦٧٤، مجلس: ٨٥، ح١٣.
٢. تُحف العقول: ص٣٦٣.
٣. تُحف العقول: ص٣٦٥.

في مرضه الذي توفّى فيه إليه، وقد ذبل فلم يبق إلا رأسه، فبكى.

فقال عليه السلام: لأي شئ تبكي؟

فقال: لا أبكي وأنا أراك على هذه الحال؟!

قال عليه السلام: لا تفعل! فإنّ المؤمن تعرض كُلّ خير، إن قُطّع أعضاؤه؛ كان خيراً له، وإن مُلّك ما بين المشرق والمغرب؛ كان خيراً له.[١]

نعمة السرّاء والضرّاء

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: قال عليه السلام: لله في السرّاء نعمة التفضّل، وفي الضرّاء نعمة التطهّر.[٢]

العلماء أُمناء

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: العلماء أُمناء، والأتقياء حصون، والأوصياء سادة.[٣]

من تعلّم لله

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن حفص بن غياث، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: مَن تعلّم العلم، وعمل به، وعلّم لله؛ دُعي في ملكوت السماوات عظيماً. فقيل: تعلّم لله، وعمل لله، وعلّم لله.[٤]

---

١. مشكاة الأنوار: ص٧٥.

٢. تُحف العقول: ص٣٦١.

٣. أُصول الكافي: ج١ ص٣٣، باب صفة العلم وفضله، ح٥.

٤. أُصول الكافي: ج١ ص٣٥، باب ثواب العالم والمتعلّم، ح٦.

أكرم الخلق على الله

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقيل له عليه السلام: من أكرم الخلق على الله؟ فقال عليه السلام: أكثرهم ذكراً لله، وأعملهم بطاعة الله.

قلت ـ الراوي ـ : فمن أبغض الخلق إلى الله؟

قال عليه السلام: مَن يتّهم الله.

قلت ـ الراوي ـ : أحد يتّهم الله!؟

قال عليه السلام: نعم، من استخار الله، فجاءته الخيرة بما يكره، فيسخط فذلك؛ يتّهم الله.

قلت ـ الراوي ـ : ومَن؟

قال عليه السلام: يشكو الله.

قلت ـ الراوي ـ : وأحد يشكوه!؟

قال عليه السلام: نعم، مَن إذا ابتلى شكا أكثر ممّا أصابه.

قلت ـ الراوي ـ : ومَن؟

قال عليه السلام: (من) إذا أُعطي لم يشكر، وإذا ابتلي لم يصبر.

قلت ـ الراوي ـ : فمن أكرم الخلق على الله؟

قال عليه السلام: مَن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتُلي صبر.[1]

أعلى الدرجات

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: إنّ الإيمان فوق الإسلام

---

١. تُحف العقول: ص٣٦٤.

بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، وبعضه من بعض؛ فقد يكون المؤمن في لسانه بعض الشيء الذي لم يعد الله عليه النار، وقال الله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[1]، ويكون الآخر؛ وهو الفهم[2] لساناً، وهو أشدّ لقاءً للذنوب، وكلاهما مؤمن. واليقين فوق التقوى بدرجة. ولم يقسم بين الناس شئ أشدّ من اليقين. إنّ بعض الناس أشدّ يقيناً من بعض، وهم مؤمنون، وبعضهم أصبر من بعض على المصيبة، وعلى الفقر، وعلى المرض، وعلى الخوف؛ وذلك من اليقين.[3]

طلبة العلم ثلاثة

روى الكليني في الكافي، قال: وقال عليه السلام: طلبة العلم ثلاثة، فاعرفهم بأعيانهم، وصفاتهم: صنف يطلبه للجهل، والمُراء. وصنف يطلبه للإستطالة، والختل. وصنف يطلبه للفقه، والعقل.

فصاحب الجهل، والمُراء؛ مؤذٍ مُمارٍ، متعرّض للمقال في أندية الرجال بتذاكر العلم، وصفة الحلم، قد تسربل بالخشوع، وتخلّى من الورع؛ فدقّ الله من هذا خيشومه، وقطع منه حيزومه.

وصاحب الإستطالة، والختل؛ ذو خبٍّ ومَلَق، يستطيل على مثله من أشباهه، ويتواضع للأغنياء من دونه، فهو لحلوائهم هاضم، ولدينه حاطم، فأعمى الله على هذا خبره، وقطع من آثار العلماء أثره.

وصاحب الفقه، والعقل؛ ذو كآبة، وحزن، وسهر، قد تحنّك في بُرنسه، وقام

---

١. سورة النساء، الآية: ٣١.

٢. الفهِم: أي، السريع الفهم.

٣. تُحف العقول: ص٣٧٢.

الليل في حندسه، يعمل ويخشى، وجلاً، داعياً، مشفقاً، مُقبلاً على شـأنه، عارفـاً بأهل زمانه، مستوحشاً من أوثق إخوانه، فشدّ الله من هذا أركانـه، وأعطـاه يـوم القيامة أمانه.[١]

بين النيّة والسجيّة

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: الخلق خلقان؛ أحدهما: نيّـة. والآخر: سجيّة.

قيل: فأيّهما أفضل؟

قال عليه السلام: النيّـة؛ لأنّ صـاحب الـسجيّة مجبـول علـى أمـر لا يـستطيع غيـره، وصاحب النيّة يتصبّر على الطاعة تصبّراً. فهذا أفضل.[٢]

تباين القلوب

روى الحرّاني في تُحف العقول، قـال: وقـال عليه السلام: إنّ سـرعة ائـتلاف قلـوب الأبرار إذا التقوا وإن لم يُظهروا التودّد بألسنتهم، كسرعة اختلاط ماء السماء بماء الأنهار. وإنّ بُعد ائتلاف قلوب الفجّار إذا التقـوا وإن أظهـروا التـودّد بألـسنتهم، كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها على مذود[٣] واحد.[٤]

مَن سنّ سنّة

روى المفيد في الإختصاص، قال: وقـال عليه السلام: لا يـتكلّم أحـد بكلمـة هـدى

١. أُصول الكافي: ج١ ص٤٩، باب النوادر، ح٥.

٢. تُحف العقول: ص٣٧٣.

٣. المذود: معلف الدابّة.

٤. تُحف العقول: ص٣٧٣.

فيؤخذ بها إلاّ كان له مثل أجر مَن أخذ بها، ولا يتكلّم بكلمة ضلالة فيؤخذ بها إلاّ كان عليه مثل وزر مَن أخذ بها.[١]

مِن يقين المرء

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: مِن صحّة يقين المرء المسلم أن لا يُرضي الناس بسخط الله، ولا يحمدهم على ما رزق الله، ولا يلومهم على ما لم يؤته الله؛ فإنّ رزقه لا يسوقه حرص حريص، ولا يردّه كره كاره. ولو أنّ أحدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت؛ لأدركه رزقه قبل موته كما يدركه الموت.[٢]

محوريّة العقل

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن الحسن بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل: إنّ أوّل الأمور ومبدأها وقوّتها وعمارتها التي لا ينتفع شيء إلاّ به؛ العقل، الذي جعله الله زينة لخلقه، ونوراً لهم. فبالعقل عرف العباد خالقهم، وإنّهم مخلوقون، وإنّه المدبّر لهم، وإنّهم المدبَّرون، وإنّه الباقي، وهم الفانون. واستدلّوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه من سمائه وأرضه، وشمسه وقمره، وليله ونهاره، وبأنّ لهم خالقاً، ومدبِّراً لم يزل ولا يزول، وعرفوا به الحسن من القبيح، وأنّ الظلمة في الجهل، وأنّ النور في العلم. فهذا ما دلّهم عليه العقل... إلخ.[٣]

---

١. الإختصاص: ص٢٥٠.

٢. تُحف العقول: ص٣٧٧.

٣. أصول الكافي: ج١ ص٢٨، كتاب العقل والجهل، ح٣٥.

الثواب و العقل

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن محمد بن سليمان الديلمي، عن أبيه، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: فلان من دينه، وعبادته، وفضله؟

فقال عليه السلام: كيف عقله؟! قلت: لا أدري.

فقال عليه السلام: إنّ الثواب على قدر العقل؛ إنّ رجلاً من بني إسرائيل كان يعبد الله في جزيرة من جزائر البحر، خضراء نضرة، كثيرة الشجر، ظاهرة الماء، وإنّ ملكاً من الملائكة مرّ به، فقال: يا ربّ، أرني ثواب عبدك هذا؟ فأراه الله ذلك؛ فاستقلّه الملك، فأوحى الله تعالى إليه: أن أصحبه.

فأتاه الملك في صورة إنس.

فقال له: مَن أنت!؟

قال: أنا رجل عابد، بلغني مكانك وعبادتك في هذا المكان، فأتيتك لأعبد الله معك. فكان معه يومه ذلك، فلمّا اصبح، قال له الملك: إنّ مكانك لنزه، وما يصلح إلا للعبادة.

فقال له العابد: إنّ لمكاننا هذا عيباً.

فقال له: وما هو!؟

قال: ليس لربّنا بهيمة؛ فلو كان له حمار رعيناه في هذا الموضع؛ فإنّ هذا الحشيش يضيع.

فقال له الملك: وما لربّك حمار!؟

فقال: لو كان له حمار؛ ما كان يضيع مثل هذا الحشيش.

فأوحى الله تعالى إلى الملك: إنّما أثيبه على قدر عقله.[1]

---

١. أصول الكافي: ج١ ص١١، كتاب العقل والجهل، ح٨.

جنود العقل والجهل

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن سماعة بن مهران، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده جماعة من مواليه، فجرى ذكر العقل والجهل، فقال عليه السلام: اعرفوا العقل وجنده، والجهل وجنده؛ تهتدوا.

قال سماعة: فقلت: جُعلت فداك، ما نعرف إلاّ ما عرّفتنا.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ خلق العقل؛ وهو أوّل خلق من الروحانيين، عن يمين العرش من نوره، فقال له: أدبر؛ فأدبر. ثمّ قال له: أقبل؛ فأقبل. فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً، وكرّمتك على جميع خلقي.

قال: ثمّ خلق الجهل[1] من البحر الأجاج، ظلمانيّاً، فقال له: أدبر؛ فأدبر. ثمّ قال

---

١. ليس المراد بالجهل هنا الجهل المركّب. أعني، الصور العلمية الغير المطابقة للواقع، ولا الجهل البسيط. أعني، عدم العلم عمّا من شأنه العلم؛ لأنّ إطاعته وعصيانه غير متصوّرة، فلا يُلائم قوله: «فإن عصيت بعد ذلك؛ أخرجتك وجندك من رحمتي» ولأنّ الجهل بهذين المعنيين؛ من جنود الجهل المذكور هنا، وجُند الشئ غيره، ولأنّ الجهل بالمعنى الثاني أمر عدمي والإعدام غير مخلوقة، سواء كانت سلوباً محضة أو ملكات، بل المراد به مبدء الشرور والمقابح، كما أنّ المراد بالعقل مبدء الخيرات والمحاسن. ويمكن أن يُراد بهذين المبدأين صفة النفس المُسمّاة بـ«القوّة الجاهلة»، وصفتها المُسمّاة بـ«القوّة العاقلة». وأن يُراد بهما ذات النفس؛ أي، الجوهر المجرّد، المُدبِّر للبدن المحتاج في فعله وتصرّفه إليه، وذات الجوهر المستغني عن البدن في وجوده وفعله، الذي إذا حصل لغيره وأشرق نوره فيه؛ كان ذلك الغير عاقلاً به إذا لم يحصل له وقام بذاته؛ كان عقلاً، ومعقولاً.

وتسمية النفس بـ«الجهل» من باب المجاز؛ لأنّها محلّ للجهل المركّب، والبسيط. بل يمكن أن يُقال: إنّها من باب الحقيقة؛ لأنّ النفس وإن كانت مبدءً للجهالات، ومنشأً للشرور كلّها، ومصدراً للصور الوهميّة الكاذبة الباطلة، ومقتضيات القوى الشهويّة، والغضبيّة، والبهيميّة، وسائر القوى البدنيّة، لكن إذا تمكّنت فيها هذه الأباطيل، ورسخت فيها؛ صارت جهلاً محضاً، وشيطاناً صرفاً، بعيداً عن الحقّ جلّ شأنه. وكلّما ازداد التمكّن والرسوخ، ازدادت جهالتها، وشيطنتها، واحتجابها عن الحقّ؛ حتّى بلغت النهاية في الجهالة، والغاية في الضلالة، وصارت قدوة المتردّدين، وإمام المتكبّرين. راجع شرح أصول الكافي للمولي محمد صالح المازندراني: ج١ ص٢١٠.

له: أقبل؛ فلم يُقبل! فقال له: استكبرت. فلعنه.

ثمّ جعل للعقل خمسة وسبعين جُنداً، فلمّا رأى الجهل ما أكرم الله به العقل، وما أعطاه؛ أضمر له العداوة، فقال الجهل: يا ربّ، هذا خلق مثلي، خلقته وكرّمته وقوّيته، وأنا ضدّه، ولا قوّة لي به، فأعطني من الجُند مثل ما أعطيته.

فقال: نعم، فإن عصيت بعد ذلك؛ أخرجتك وجُندك من رحمتي.

قال: قد رضيت.

فأعطاه خمسة وسبعين، فكان ممّا أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند:

الخير؛ وهو وزير العقل، وجعل ضدّه الشرّ؛ وهو وزير الجهل. والإيمان، وضدّه الكفر. والتصديق، وضدّه الجحود. والرجاء، وضدّه القنوط. والعدل، وضدّه الجور. والرضا، وضدّه السخط. والشكر، وضدّه الكفران. والطمع، وضدّه اليأس. والتوكّل، وضدّة الحرص. والرأفة، وضدّها القسوة. والرحمة، وضدّها الغضب. والعلم، وضدّه الجهل. والفهم، وضدّة الحَمَق. والعفّة، وضدّها التهتّك. والزهد، وضدّه الرغبة. والرفق، وضدّه الخرق. والرهبة، وضدّها الجرأة. والتواضع، وضدّه الكبر. والتؤدة، وضدّها التسرّع. والحلم، وضدّه السفه. والصمت، وضدّه الهذر. والإستسلام، وضدّه الإستكبار. والتسليم، وضدّه الشكّ. والصبر، وضدّه الجزع. والصفح، وضدّه الإنتقام. والغنى، وضدّه الفقر. والتذكّر، وضدّه السهو. والحفظ، وضدّه النسيان. والتعطّف، وضدّة القطيعة. والقنوع، وضدّه الحرص. والمواساة، وضدّها المنع. والمودّة، وضدّها العداوة. والوفاء، وضدّه الغدر. والطاعة، وضدّها المعصية. والخضوع، وضدّه التطاول. والسلامة، وضدّها البلاء. والحبّ، وضدّه البُغض. والصدق، وضدّه الكذب. والحقّ، وضدّه الباطل. والأمانة، وضدّها الخيانة. والإخلاص، وضدّه الشوب. والشهامة، وضدّها البلادة. والفهم، وضدّه الغباوة. والمعرفة، وضدّها الإنكار. والمداراة، وضدّها

المكاشفة. وسلامة الغيب، وضدّها المماكرة. والكتمان، وضدّه الإفشاء. والصلاة، وضدّها الإضاعة. والصوم، وضدّه الإفطار. والجهاد، وضدّه النكول. والحجّ، وضدّه نبذ الميثاق. وصون الحديث، وضدّه النميمة. وبرّ الوالدين، وضدّه العقوق. والحقيقة، وضدّها الرياء. والمعروف، وضدّه المنكر. والستر، وضدّه التبرّج. والتقيّة، وضدّها الإذاعة. والإنصاف، وضدّه الحميّة. والتهيئة، وضدّها البغي. والنظافة، وضدّها القذر. والحياء، وضدّه الجلع. والقصد، وضدّه العدوان. والراحة، وضدّها التعب. والسهولة، وضدّها الصعوبة. والبركة، وضدّها المحق. والعافية، وضدّها البلاء. والقوام، وضدّه المكاثرة. والحكمة، وضدّها الهواء. والوقار، وضدّه الخفّة. والسعادة، وضدّها الشقاوة. والتوبة، وضدّها الإصرار. والإستغفار، وضدّه الإغترار. والمحافظة، وضدّها التهاون. والدعاء، وضدّه الإستنكاف. والنشاط، وضدّه الكسل. والفرح، وضدّه الحزن. والأُلفة، وضدّها الفرقة. والسخاء، وضدّه البخل.

فلا تجتمع هذه الخصال كلّها من أجناد العقل إلاّ في نبيّ، أو وصيّ نبي، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، وأمّا سائر ذلك من موالينا؛ فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتّى يستكمل، وينقى من جنود الجهل، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء، وإنّما يدرك ذلك بمعرفة العقل وجنوده، وبمجانبة الجهل وجنوده.[١]

---

١. أُصول الكافي: ج١ ص٢٠، كتاب العقل والجهل، ح١٤.

تشريع وأحكام

شمولية القرآن

روى الشيخ الكليني في أُصول الكافي، قال: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء، حتّى والله، ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد؛ حتّى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أُنزل في القرآن؟ إلاّ وقد أنزله الله فيه.

وقال عليه السلام: ما من شيء إلاّ وفيه كتاب أو سنّة.

وقال عليه السلام: ما من أمر يختلف فيه اثنان إلاّ وله أصل في كتاب الله عزّ وجلّ، ولكن لا تبلغه عقول الرجال.[1]

حدود الحلال والحرام

روى الشيخ الكليني في أُصول الكافي، قال: قال عليه السلام: ما خلق الله حلالاً، ولا حراماً إلاّ وله حدّ كحدّ الدار، فما كان من الطريق؛ فهو من الطريق، وما كان من الدار؛ فهو من الدار، حتّى أرش الخدش فما سواه، والجلدة ونصف الجلدة.[2]

حلال محمد صلى الله عليه وآله

روى الشيخ الكليني في أُصول الكافي، قال: وعن زرارة بن أعين، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحلال والحرام؟

فقال عليه السلام: حلال محمد صلى الله عليه وآله حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى

---

١. أُصول الكافي: ج١ ص٥٩ـ٦١، باب الردّ إلى الكتاب والسنّة، ح١ و٤ و٦.

٢. أُصول الكافي: ج١ ص٥٩، باب الردّ إلى الكتاب والسنّة، ح٣.

يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجيء غيره.

وقال عليه السلام: ما أحد ابتدع بدعة إلا ترك بها سنّة.[١]

عمل الشيطان

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن عبد الله بن سنان، قال: ذكرت لأبي عبد الله عليه السلام رجلاً مبتلى بالوضوء والصلاة، وقلت: هو رجل عاقل!

فقال عليه السلام: وأيّ عقل له وهو يُطيع الشيطان!؟

فقلت له: وكيف يطيع الشيطان!؟

فقال: سله هذا الذي يأتيه من أيّ شيء هو؛ فإنّه يقول لك: من عمل الشيطان.[٢]

الطاعة العمياء

روى الشيخ الكليني في أُصول الكافي، بسنده: عن أبي بصير، قال: قلت له عليه السلام: ﴿اتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٣]!؟

فقال عليه السلام: أما والله، ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم؛ ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً، فعبدوهم ـ أي، أطاعوهم ـ من حيث لا يشعرون.

وفي رواية أُخرى، قال عليه السلام: والله، ما صاموا لهم، ولا صلّوا لهم، ولكن أحلّوا

---

١. أُصول الكافي: ج١ ص٥٨، باب البدع والرأي والمقائيس، ح١٩.

٢. أُصول الكافي: ج١ ص١٢، كتاب العقل والجهل، ح١٠.

٣. سورة التوبة، الآية: ٣١.

لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً؛ فاتّبعوهم.[١]

التفقّه في الدين

روى الشيخ الكليني في أُصول الكافي، قال: وقال عليه السلام: تفقّهوا في الدين؛ فإنّه من لم يتفقّه منكم في الدين؛ فهو أعرابي، إنّ الله يقول ـ في كتابه ـ : ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٢].

وقال عليه السلام: عليكم بالتفقّه في دين الله، ولا تكونوا أعراباً، فإنّه مَن لم يتفقّه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يزك له عملاً.

وقال عليه السلام: لوددت أنّ أصحابي ضُربت رؤوسهم بالسياط حتّى يتفقّهوا.[٣]

أسئلة عمر بن حنظلة

روى الكليني في أُصول الكافي، بسنده: عن عمر بن حنظلة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دَين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة، أيحلّ ذلك؟

قال عليه السلام: مَن تحاكم إليهم في حقّ أو باطل فإنّما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنّما يأخذ سُحتاً وإن كان حقّاً ثابتاً له؛ لأنّه أخذه بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى الطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾[٤].

---

١. أُصول الكافي: ج١ ص٥٣، باب التقليد، ح٢ وح٣.

٢. سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

٣. أُصول الكافي: ج١ ص٣١، كتاب فضل العلم، ح٦ وح٧ وح٨.

٤. سورة النساء، الآية: ٦٠.

قلت: فكيف يصنعان!؟

قال‌عليه‌السلام: ينظران إلى مَن كان منكم ممّن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً؛ فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا، فلم يقبله منه؛ فإنّما استخفّ بحكم الله، وعلينا ردّ، والرادّ علينا كالرادّ على الله؛ وهو على حدّ الشرك بالله.

قال: فإن كان كلّ رجل اختار رجلاً من أصحابنا، فرضيا أن يكونا الناظرَين في حقّهما، واختلفا فيما حكما، وكلاهما اختلفا في حديثكم؟

قال‌عليه‌السلام: الحكم ما حكم به أعدلهما، وأفقههما، وأصدقهما في الحديث، وأورعهما، ولا يلتفت إلى ما يحكم به الآخر.

قال: قلت: فإنّهم عدلان مرضيّان عند أصحابنا، لا يُفضّل واحد منهما على الآخر؟

فقال‌عليه‌السلام: ينظر إلى ما كان من روايتهما عنّا في ذلك، حكما به المجمع عليه من أصحابك، فيؤخذ به من حكمنا، ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك، فإنّ المجمع عليه؛ لا ريب فيه، وإنّما الأمور ثلاثة:

أمر بيّن رُشده؛ فيُتّبع.

وأمر بيّن غيّه؛ فيُجتنب.

وأمر مُشكل؛ يُردّ علمه إلى الله، وإلى رسوله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله؛ قال رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله: حلال بيّن، وحرام بيّن، وشبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات؛ نجا من المحرّمات، ومَن أخذ بالشبهات؛ ارتكب المحرّمات، وهلك من حيث لا يعلم.

قال: قلت: فإن كان الخبران عنكما[1] مشهورين قد رواهما الثقات عنكم؟

---

١. يعني، الإمامين: محمد الباقر، وجعفر الصادق‌عليهما‌السلام.

قال عليه السلام: ينظر فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنّة، وخالف العامّة؛ فيؤخذ به، ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنّة، ووافق العامّة.

قال: قلت: جُعلت فداك، أرأيت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنّة، ووجدنا أحد الخبرين موافقاً للعامّة، والآخر مخالفاً لهم، بأي الخبرين يُؤخذ؟

قال عليه السلام: ما خالف العامّة؛ ففيه الرشاد.

قال: فقلت: جُعلت فداك، فإن وافقهم الخبران جميعاً؟

قال عليه السلام: ينظر إلى ما هم إليه أميل، حُكّامهم وقُضاتهم؛ فيُترك، ويُؤخذ بالآخر.

قال: قلت: فإن وافق حُكّامهم الخبرين جميعاً؟

قال عليه السلام: إذا كان ذلك؛ فارجه ـ أي، توقّف ـ حتّى تلقي إمامك؛ فإنّ الوقوف عند الشبهات خير من الإقتحام في الهلكات.[١]

مرجعيّة الكتاب والسنّة

روى الكليني في أُصول الكافي، بسنده: عن أيوب بن راشد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كلّ شيء مردود إلى الكتاب والسنّة، وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله؛ فهو زُخرُف.[٢]

في اختلاف الحديث

روى الكليني في أُصول الكافي، بسنده: عن ابن أبي يعفور، قال: سألت أبا

١. أُصول الكافي: ج١ ص٦٧، باب اختلاف الحديث، ح١٠.
٢. أُصول الكافي: ج١ ص٦٩، باب اختلاف الحديث، ح٣.

عبد الله عليه السلام عن اختلاف الحديث؛ يرويه مَن نثق به، ومنهم مَن لا نثق به؟

قال عليه السلام: إذا ورد عليكم حديث، فوجدتم له شاهداً من كتاب الله، أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله فاقبلوه، واعملوا به، وإلاّ فالذي جاءكم به هو أولى به، فردّوه إليه.

وقال عليه السلام: مَن خالف كتاب الله، وسنّة محمد صلى الله عليه وآله؛ قد كفر بالله ورسوله صلى الله عليه وآله.[1]

الكبائر

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: دخل عمرو بن عبيد على أبي عبد الله عليه السلام: وقرأ: ﴿تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ﴾[2]، وقال: أحبّ أن أعرف الكبائر من كتاب الله؟

فقال عليه السلام: نعم، يا عمرو. ثمّ فصّله بأنّ الكبائر:

الشرك بالله: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾[3].

واليأس: ﴿وَلاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ﴾[4].

وعقوق الوالدين؛ لأنّ العاق جبّار شقي: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[5].

وقتل النفس: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ﴾[6].

وقذف المحصنات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾[7].

---

١. أصول الكافي: ج١ ص٦٩ـ٧٠، باب اختلاف الحديث، ح٢ وح٦.

٢. سورة النساء، الآية: ٣١.

٣. سورة النساء، الآية: ٤٨.

٤. سورة يوسف، الآية: ٨٧.

٥. سورة مريم، الآية: ٣٢.

٦. سورة النساء، الآية: ٩٣.

٧. سورة النور، الآية: ٢٣.

وأكل مال اليتيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[١].

والفرار من الزحف: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾[٢].

وأكل الربا: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾[٣].

والسحر: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾[٤].

والزنا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾[٥].

واليمين الغموس[٦]: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾[٧].

والغلول[٨]: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾[٩].

ومنع الزكاة: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ﴾[١٠].

وكتمان الشهادة: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾[١١].

وقول الزور: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[١٢].

وشرب الخمر: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

---

١. سورة النساء، الآية: ١٠.

٢. سورة الأنفال، الآية: ١٦.

٣. سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

٤. سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

٥. سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

٦. الغموس ـ بفتح الغين ـ : اليمين الكاذبة.

٧. سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

٨. الغلول: من خان في شيء خفية؛ فقد غدر. وسُمّي غلولاً؛ لأنّ الأيدي فيها مغلولة، وممنوعة.

٩. سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

١٠. سورة التوبة، الآية: ٣٥.

١١. سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.

١٢. سورة الحج، الآية: ٣٠.

فَاجْتَنِبُوهُ﴾[1].

ونقض العهد، وقطيعة الرحم: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾[2].

والجرأة على الله: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[3].

وكفران النعمة: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[4].

وبخس الكيل والوزن: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[5].

واللواط: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾[6].

والبدعة: قوله ﷺ: من تبسّم في وجه مبتدع؛ فقد أعان على هدم دينه.

قال: فخرج عمرو، وله صراخ من بكائه، وهو يقول: هلك من سلب تُراثكم، ونازعكم في الفضل والعلم.[7]

القضاة أربعة

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: القضاة أربعة، ثلاثة في النار، وواحد في الجنّة؛ رجل قضى بجور، وهو يعلم؛ فهو في النار. ورجل قضى بجور، وهو لا يعلم؛ فهو في النار. ورجل قضى بحقّ، وهو لا يعلم؛ فهو في

---

١. سورة المائدة، الآية: ٩٠.

٢. سورة البقرة، الآية: ٢٧.

٣. سورة الأعراف، الآية: ٩٩.

٤. سورة إبراهيم، الآية: ٧.

٥. سورة المطففين، الآية: ١.

٦. سورة النساء، الآية: ٣١.

٧. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٧٥.

النار. ورجل قضى بحقّ، وهو يعلم؛ فهو في الجنّة.[1]

صفة العدالة

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وسُئل عليه السلام: عن صفة العدل من الرجل؟ فقال عليه السلام: إذا غضّ طرفه عن المحارم، ولسانه عن المآثم، وكفّه عن المظالم.[2]

التحيّة والتسليم

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن علي بن رئاب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ تمام التحيّة للمقيم؛ المصافحة. وتمام التسليم على المسافر؛ المعانقة.[3]

الأكفّاء لبعضهم

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: وقال بعض الخوارج لهشام بن الحكم: العجم تتزوّج في العرب؟

قال: نعم.

قال: فالعرب تتزوج في قريش؟

قال: نعم.

قال: فقريش تتزوج في بني هاشم؟

فقال: نعم.

فجاء الخارجي إلى الصادق عليه السلام، فقصّ عليه، ثمّ قال: أسمعه منك؟

---

١. تُحف العقول: ص٣٦٥.

٢. تُحف العقول: ص٣٦٥.

٣. الكافي: ج٢ ص٦٤٦، باب التسليم، ح١٤.

فقال عليه السلام: نعم، قد قلت ذاك.

قال الخارجي: فها أنا ذا جئتك خاطباً.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إنّك لكفو في دينك، وحسبك في قومك، ولكنّ الله عزّ وجلّ صاننا عن الصدقات؛ وهي أوساخ أيدي الناس، فنكره أن نشرك فيما فضلّنا الله به مَن لم يجعل الله له مثل ما جعل لنا.

فقام الخارجي وهو يقول: بالله، ما رأيت رجلاً مثله؛ ردّني والله، أقبح ردّ، وما خرج من قول صاحبه.[1]

من فلسفة الزكاة

روى الشيخ الكليني في الكافي، بسنده: عن قثم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: جُعلت فداك، أخبرني عن الزكاة كيف صارت من كلّ ألف خمسة وعشرين. لم تكن أقل، أو أكثر؛ ما وجهها!؟

فقال عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ خلق الخلق كلّهم، فعلِم صغيرهم وكبيرهم، وغنيهم وفقيرهم، فجعل من كلّ ألف إنسان خمسة وعشرين مسكيناً، ولو علم أنّ ذلك لا يسعهم؛ لزادهم، لأنّه خالقهم، وهو أعلم بهم.[2]

السعي بين الصفا والمروة

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: وسُئل عليه السلام عن السعي بين الصفا والمروة؛ فريضة أو سنّة؟

فقال عليه السلام: فريضة.

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٨١.

٢. الكافي: ج٣ ص٥٠٨، باب العلّة في وضع الزكاة على ما هي؛ لم تزد، ولم تنقص، ح٣.

قيل: قال الله تعالى: ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[١].

قال عليه السلام: ذاك عمرة القضاء، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله شرط عليهم أن يرفعوا الأصنام عن الصفا والمروة، فتشاغل رجل حتّى انقضت الأيام؛ فأُعيدت الأصنام، فجاؤوا إليه، فقالوا: يا رسول الله، إنّ فلاناً لم يسع بين الصفا والمروة، وقد أُعيدت الأصنام! فأنزل الله: ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾. أي، وعليهما الأصنام.[٢]

ممّا لا رخصة فيه

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: ثلاث لم يجعل الله لأحد من الناس فيهنّ رخصة: برّ الوالدين؛ بَرّين كانا أو فاجرين. ووفاء بالعهد للبِرّ والفاجر. وأداء الأمانة إلى البِرّ والفاجر.[٣]

درهم حلال

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: يأتي على الناس زمان ليس فيه شيء أعزّ من أخ أنيس، وكسب درهم حلال.[٤]

أربع لا تجزي في أربع

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: أربع لا تجزي في أربع: الخيانة، والغلول، والسرقة، والربا، ولا تجزي في حجّ، ولا عمرة، ولا جهاد، ولا صدقة.[٥]

---

١. سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

٢. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٨٠.

٣. تُحف العقول: ص٣٦٧.

٤. تُحف العقول: ص٣٦٨.

٥. تحف العقول: ص٣٧٤.

المبتدع الضال

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقالعَلَيْهِ: من دعا الناس إلى نفسه وفيهم من هو أعلم منه؛ فهو مبتدع ضالّ.[١]

من أحكام الوصيّة

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: امرأة أوصت بثلثها يُتصدّق به عنها، ويُحجّ عنها، ويُعتق بها، فلم يسع المال ذلك. فسُئل أبو حنيفة، وسفيان الثوري. فقال كلّ واحد منهما: أُنظر إلى رجل قد حجّ؛ فقُطع به، فيقوى. ورجل قد سعى في فكاك رقبة، فبقي عليه شيء، فيُعتِق. ويُتصدّق بالبقيّة.

فسأل معاوية بن عمّار أبا عبد اللهعَلَيْهِ عن ذلك؟

فقال: ابدأ بالحجّ؛ فإنّ الحجّ فريضة، وما بقي فضعه في النوافل. فبلغ ذلك أبا حنيفة؛ فرجع عن مقاله.[٢]

من أحكام القذف

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: وسُئلعَلَيْهِ: كيف صار الزوج إذا قذف امرأته كانت شهادته أربع شهادات بالله، وإذا قذفها أبوها، أو أخوها، أو غيرهما؛ جُلد!؟

فقالعَلَيْهِ: لأنّه إذا قذف الزوج امرأته؛ قيل له: كيف علمت أنّها فاعلة!؟ فإن قال: رأيت ذلك بعيني. كانت شهادته أربع شهادات؛ وذلك أنّه يجوز للرجل أن

---

١. تحف العقول: ص١٠٤.

٢. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٨١.

يدخل المداخل في الخلوات التي لا يصلح لغيره أن يدخلها، ولا يشهدها ولد، ولا والد في الليل ولا في النهار؛ فلذلك صارت شهادته أربع شهادات بالله، إذا قال: رأيت بعيني، وإن قال: لم أعاين، صار قاذفاً، وضُرب الحدّ، إلاّ أن يقيم عليها البيّنة. وغير الزوج إذا قذفها، وادّعى: إنّه رأى ذلك. قيل له: كيف رأيت ذلك!؟ وما أدخلك ذلك المدخل!؟[1]

وروى الكليني في الكافي، بسنده: عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل قال لأمرأته: يا زانية! أنا زنيت بك!! قال عليه السلام: عليه حدّ واحد؛ لقذفه إيّاها، وأمّا قوله: أنا زنيت بك؛ فلا حدّ فيه إلاّ أن يشهد على نفسه أربع شهادات بالزنا عند الإمام.[2]

من مسائل الديّات

روى ابن شهرآشوب في المناقب، قال: وسُئل عليه السلام عن أربعة أنفس قتلوا رجلاً: مملوك، وحرّ، وحرّة، ومُكاتَب قد أدّى نصف مُكاتبته؟

فقال عليه السلام: عليهم الديّة؛ على الحرّ ربع الديّة. وعلى الحرّة ربع الديّة. وعلى المملوك؛ أن يُخيّر مولاه، فإن شاء أدّى عنه، وإن شاء دفعه برمّته، لا يغرم أهله شيئاً. والمكاتَب في ماله؛ نصف الربع. وعلى الذي كاتبه؛ نصف الربع، فذلك الربع؛ لأنّه قد أعتق نفسه.

وفيه أيضاً: وسُئل عليه السلام عن رجل سارق دخل على امرأة ليسرق متاعها، فلمّا جمع الثياب، نازعته نفسه؛ فكابرها على نفسها، فواقعها فتحرّك ابنها، فقام فقتله بفأس كان معه، فلمّا فرغ، حمل الثياب وذهب ليخرج، فحملت عليه بالفأس

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٩٢.

٢. الكافي: ج٧ ص٢١١، باب الرجل يقذف امرأته وولده، ح١.

فقتلته، فجاء أهله يطلبون بدمه؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: تضمن مواليه الذين طلبوا بدمه ديّة الغلام، ويضمن السارق فيما ترك أربعمائة درهم لمكابرتها على فرجها؛ إنّه زان، وهو في ماله غرامة، وليس عليها في قتلها إيّاه شيء؛ لأنّه سارق.[1]

ديّة قطع رأس الميّت

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: أتى الربيع أبا جعفر المنصور ـ الدوانيقي ـ وهو في الطواف، فقال: مات فلان مولاك البارحة، فقطع فلان رأسه بعد موته.

قال: فاستشاط وغضب، وقال لابن شبرمة، وابن أبي ليلى، وعدّة من القضاة والفقهاء: ما تقولون في هذا؟

فكلّ قال: ما عندنا في هذا شيء. فكان يقول: أقتله أم لا؟

فقالوا: قد دخل جعفر بن محمد عليهما السلام في السعي.

فقال المنصور للربيع: اذهب إليه وسله عن ذلك.

فقال عليه السلام: فقل له: عليه مائة دينار، فأبلغه ذلك.

فقالوا له: فاسأله كيف صار عليه مائة دينار!؟

فقال عليه السلام: في النطفة عشرون، وفي العلقة عشرون، وفي المضغة عشرون، وفي العظم عشرون، وفي اللحم عشرون، ثمّ أنشأناه خلقاً آخر،[2] وهذا وهو ميّت بمنزلة قبل أن ينفخ فيه الروح في بطن أمّه.

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٨١ و٣٧٨.

٢. إستشهاد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾. سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

فرجع إليه، فأخبره بالجواب؛ فأعجبهم ذلك.

فقالوا: ارجع إليه وسله الديّة لمن هي، لورثته أم لا؟

فقال عليه السلام: ليس لورثته فيها شيء؛ لأنّه أتى إليه في بدنه بعد موته، يُحجّ بها عنه، أو يُتصدّق بها عنه، أو تصير في سبيل من سُبل الخير.[1]

من مسائل القصاص

روى ابن شهرآشوب في المناقب، قال: وسُئل عليه السلام عن رجل تزوّج بامرأة، فلمّا كانت ليلة البناء بها عمدت المرأة إلى رجل صديق لها فأدخلته الحجلة، فلمّا كان الرجل يباضع أهله، ثار الصديق واقتتلا في البيت، فقتل الزوج الصديق، وقامت المرأة، فضربت الزوج فقتلته بالصديق؟

فقال عليه السلام: تضمن المرأة ديّة الصديق، وتُقتل بالزوج.[2]

حكم من سبّ النبي صلى الله عليه وآله

روى الشيخ الكليني في الكافي، بسنده: عن علي بن جعفر، قال: أخبرني أخي موسى عليه السلام، قال: كنت واقفاً على رأس أبي حين أتاه رسول زياد بن عبيد الله الحارثي ـ عامل المدينة ـ قال: يقول لك الأمير، انهض إلي! فاعتل بعلّة؛ فعاد إليه الرسول، فقال له: قد أُمرت أن يُفتح لك باب المقصورة؛ فهو أقرب لخطوتك. قال: فنهض أبي، واعتمد عليّ، ودخل على الوالي وقد جمع فقهاء المدينة كلّهم، وبين يديه كتاب فيه شهادة على رجل من أهل وادي القُرى، فذكر النبي صلى الله عليه وآله؛ فنال منه، فقال له الوالي: يا أبا عبد الله، أُنظر في الكتاب!

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٨٦.

٢. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٧٨.

قال: حتّى انظر ما قالوا. فالتفت إليهم، فقال: ما قُلتم؟

قالوا: قُلنا يُؤدَّب، ويُضرب، ويُعزّر، ويُحبس.

قال: فقال لهم: أرأيتم لو ذُكر رجلاً من أصحاب النبيﷺ بمثل ما ذُكر به النبيﷺ ما كان الحكم فيه؟

قالوا: مثل هذا!

قال: سبحان الله! فقال: فليس بين النبيﷺ وبين رجل من أصحابه فرق؟!

قال: فقال الوالي: دع هؤلاء يا أبا عبد الله، لو أردنا هؤلاء لم نُرسل إليك!

فقال أبو عبد الله عليه السلام: أخبرني أبي عليه السلام: إنّ رسول اللهﷺ، قال: إنّ الناس فيّ أُسوة سواء؛ من سمع أحداً يذكرني؛ فالواجب عليه أن يَقتل من شتمني ولا يُرفع إلى السلطان، والواجب على السطان إذا رُفع إليه أن يَقتل من نال منّيّ.

فقال زياد بن عبيد الله: أخرجوا الرجل؛ فاقتلوه بحكم أبي عبد الله.[1]

طارق الليل

روى الشيخ الطوسي في تهذيب الأحكام، قال: الحسين بن سعيد، عن محمد بن الفضل، عن عمرو بن أبي المقدام، قال: كنت شاهداً عند البيت الحرام ورجل يُنادي بأبي جعفر ـ المنصور الدوانيقي ـ وهو يطوف، وهو يقول: إنّ هذين الرجلين طرقا أخي ليلاً، فأخرجاه من منزله؛ فلم يرجع إليّ. والله، ما أدري ما صنعا به! فقال لهما أبو جعفر: وما صنعتما به!؟ فقالا: يا أمير الـ ... كلّمناه، ثمّ رجع إلى منزله.

فقال لهما: وافياني غداً صلاة العصر في هذا المكان.

---

١. الكافي: ج٧ ص٢٦٦، كتاب الحدود، باب النوادر، ح٣٢.

فوافياه من الغد صلاة العصر، وحضرا به، فقال ـ المنصور ـ لجعفر بن محمد عليهما السلام وهو قابض على يده: يا جعفر، اقض بينهم.

فقال عليه السلام: اقض بينهم أنت.

فقال له: بحقّي عليك! إلاّ قضيت بينهم.

قال: فخرج جعفر عليه السلام، فطرح له مُصلّى قصب، فجلس عليه، ثمّ جاء الخصماء فجلسوا قُدّامه.

فقال عليه السلام ـ للمدّعي ـ: ما تقول؟

فقال: يا بن رسول الله، إنّ هذين طرقا أخي ليلاً، فأخرجاه من منزله. فو الله، ما رجع إليّ! ووالله، ما أدري ما صنعا به!

فقال عليه السلام: ما تقولان؟

فقالا: يا بن رسول الله، كلّمناه، ثمّ رجع إلى منزله.

فقال جعفر عليه السلام: يا غلام، أُكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ مَن طرق رجلاً بالليل، فأخرجه من منزله؛ فهو له ضامن إلاّ أن يُقيم البيّنة أنّه قد ردّه إلى منزله. يا غلام، نحّ هذا؛ واضرب عُنقه. فقال: يا بن رسول الله، والله، ما قتلته أنا ولكن أمسكته، فجاء هذا؛ فوجأه، فقتله.

فقال عليه السلام: أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله! يا غلام، نحّ هذا؛ واضرب عُنق الآخر.

فقال: يا بن رسول الله، والله، ما عذّبته، ولكنّي قتلته بضربة واحدة. فأمر عليه السلام أخاه فضرب عُنقه، ثمّ أمر عليه السلام بالآخر؛ فضرب جنبيه، وحبسه في السجن، ووقّع

على رأسه: يُحبس عُمُره، ويُضرب كلّ سنة خمسين جلدة.[١]

من أحكام الإجارة

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: روى المحاملي، عن الرفاعي، قال: سألت أبا عبد الله‌عليه السلام عن رجل قبل رجلاً يحفر له بئراً عشرة قامات بعشرة دراهم، فحفر له قامة، ثمّ عجز؟

قال: تُقسّم عشرة على خمسة وخمسين جزءاً، فما أصاب واحد؛ فهو للقامة الأولى، والإثنين للإثنين، والثلاثة للثلاثة، وعلى هذا الحساب إلى عشرة.[٢]

حكم ومواعظ

أكمل الناس عقلا

روى الكليني في أُصول الكافي، بسنده: عن ابراهيم بن عبد الحميد، قال: قال أبو عبد الله‌عليه السلام: أكمل الناس عقلاً؛ أحسنهم خُلقاً.[٣]

صدق المودّة

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال‌عليه السلام: إذا أردت أن تعلم صحّة ما عند أخيك؛ فأغضبه، فإن ثبت لك على المودّة، فهو أخوك، وإلاّ فلا.

وفيه أيضاً: وقال‌عليه السلام: لا تعتد بمودّة أحد حتّى تُغضبه ثلاث مرات.[٤]

---

١. تهذيب الأحكام: ج١٠ ص٢٢١، باب ضمان النفوس وغيرها، ح١.

٢. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٧٨.

٣. أصول الكافي: ج١ ص٢٣، كتاب العقل والجهل، ح١٧.

٤. تُحف العقول: ص٣٥٧.

حدود الثقة

روى الشيخ الصدوق في الأمالي، قال: وقال الصادق عليه السلام: لا تثقنّ بأخيك كلّ الثقة؛ فإنّ صرعة الإسترسال لن تُستقال.[١]

مَن أنصف الناس

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: قال الإمام الصادق عليه السلام: مَن أنصف الناس من نفسه؛ رُضي به حكماً لغيره.[٢]

يا حمران

روى الشيخ الصدوق في علل الشرائع، بسنده: عن هشام بن سالم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لحمران بن أعين: يا حمران، أُنظر من هو دونك، ولا تنظر إلى من هو فوقك في المقدرة؛ فإنّ ذلك أقنع لك بما قسم الله لك، وأحرى أن تستوجب الزيادة من ربّك عزّ وجلّ.

واعلم أنّ العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين.

وأعلم أنّه لا ورع أنفع من تجنّب محارم الله، والكفّ عن أذى المسلمين، واغتيابهم. ولا عيش أهنأ من حُسن الخُلُق، ولا مال أنفع من القنوع باليسير المُجزي، ولا جهل أضرّ من العُجب.[٣]

---

١. الأمالي: ص٧٦٧، مجلس: ٩٥، ح٩.

٢. تُحف العقول: ص٣٥٧.

٣. علل الشرائع: ص٥٥٩، باب العلّة التي من أجلها أُمر الإنسان أن ينظر إلى من هو دونه، ح١.

تمام السعادة

روى الإربلي في كشف الغُمّة، قال: وممّا حُفظ عنه عليه السلام في الحكمة والموعظة، قوله: ما كلّ من نوى شيئاً؛ قدر عليه، ولا كلّ من قدر على شيء؛ وفّق له، ولا كلّ من وفّق؛ أصاب له موضعاً، فإذا اجتمعت النيّة، والقدرة، والتوفيق، والإصابة؛ فهناك تمّت السعادة.[١]

أقل التقوى

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: اتّق الله بعض التقى وإن قلّ، ودع بينك وبينه ستراً وإن رقّ.[٢]

الحثّ على طلب المعرفة

روى الشيخ المفيد في الإرشاد، قال: وقال عليه السلام: أحسنوا النظر فيما لا يسعكم جهله، وانصحوا لأنفسكم، وجاهدوها في طلب معرفة ما لا عذر لكم في جهله؛ فإنّ لدين الله أركاناً لا ينفع من جهلها شدّة اجتهاده في طلب ظاهر عبادته، ولا يضرّ من عرفها فدان بها حُسن اقتصاده، ولا سبيل لأحد إلى ذلك إلاّ بعون من الله تعالى.[٣]

ترك الحقوق مذلّة

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: ترك الحقوق مذلّة، وإنّ الرجل يحتاج إلى أن يتعرّض فيها للكذب.[٤]

---

١. كشف الغُمّة: ج٢ ص٣٩٣.

٢. تُحف العقول: ص٣٦١.

٣. الإرشاد: ج٢ ص٢٠٥.

٤. تُحف العقول: ص٣٦٠.

العلم والأخلاق

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن معاوية بن وهب، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، يقول: اطلبوا العلم، وتزيّنوا بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلّمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبّارين؛ فيذهب باطلكم بحقّكم.[١]

المالك لنفسه عند الهوى

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: من ملك نفسه إذا غضب، وإذا رغب، وإذا رهب، وإذا اشتهى؛ حرّم الله جسده على النار.[٢]

مَن لا يتفقّه

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن بشير الدهّان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لا خير في من لا يتفقّه من أصحابنا.

يا بشير، إنّ الرجل منهم إذا لم يستغن بفقهه، احتاج إليهم، فإذا احتاج إليهم؛ أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم.[٣]

المسرع إلى حتفه

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: كم مِن نعمة لله على عبده في غير أمله، وكم مِن مؤمّل أملاً الخيار في غيره، وكم مِن ساع إلى حتفه، وهو

---

١. أُصول الكافي: ج١ ص٣٦، باب صفة العلماء، ح١.

٢. تُحف العقول: ص٣٦١.

٣. أُصول الكافي: ج١ ص٣٣، صفة العلم وفضله، ح٥.

مبطئ عن حظّه.[١]

خصال المؤمن

روى الشيخ الصدوق في الخصال، بسنده: عن عبد الله بن غالب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال: وقور عند الهزاهز. صبور عند البلاء. شكور عند الرخاء. قانع بما رزقه الله. لا يظلم الأعداء. ولا يتحامل[٢] للأصدقاء. بدنه منه في تعب. والناس منه في راحة.[٣]

خليل المؤمن

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: إنّ العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والصبر أمير جنوده، والرفق أخوه، واللين والده.[٤]

العلم والعمل

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن اسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: العلم مقرون إلى العمل، فمَن علم؛ عمل، ومَن عمل؛ عِلم. والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه؛ وإلاّ ارتحل عنه.

وفيه أيضاً: عن عبد الله بن القاسم الجعفري، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ العالِم إذا لم يعمل بعلمه؛ زلّت موعظته عن القلوب كما يزلّ المطر عن الصفا.[٥]

---

١. تُحف العقول: ص٣٦١.

٢. أي، لا يحمل على الأصدقاء، ولا يتكلّف عليهم.

٣. الخصال: ص٤٠٦، باب: ٨ رقم ١.

٤. تُحف العقول: ص٣٦١.

٥. أصول الكافي: ج١ ص٤٤، باب استعمال العلم، ح٢ وح٣.

مكارم الأخلاق

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: إنّا لنحبّ من كان عاقلاً، فهماً، فقيهاً، حليماً، مدارياً، صبوراً، صدوقاً، تقيّاً. إنّ الله تبارك وتعالى خصّ الأنبياء عليهم السلام بمكارم الأخلاق، فمن كانت فيه؛ فليحمد الله على ذلك، ومَن لم تكن فيه؛ فليتضرّع إلى الله، وليسأله إيّاها.

قيل له: وما هي؟

قال عليه السلام: الورع، والقناعة، والصبر، والشكر، والحلم، والحياء، والسخاء، والشجاعة، والغيرة، وصدق الحديث، والبِرّ، وأداء الأمانة، واليقين، وحُسن الخُلُق، والمرؤة.[1]

البصيرة والعمل

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن طلحة بن زيد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق؛ لا يزيده سرعة السير إلاّ بُعداً.[2]

ليس منّا

روى الحرّاني في تّحف العقول، قال: قال عليه السلام: يا شيعة آل محمد عليهم السلام، إنّه ليس منّا من لم يملك نفسه عند الغضب، ولم يُحسن صحبة مَن صحبه، ومُرافقة مَن رافقه، ومُصالحة مَن صالحه، ومُخالفة مَن خالفه.

---

١. تُحف العقول: ص٣٦٢.

٢. الكافي: ج١ ص٤٣، باب من عمل بغير علم، ح١.

يا شيعة آل محمدﷺ، اتّقوا الله ما استطعتم، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.[١]

من رجا شيئاً طلبه

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن أبـي عبـد اللهعَلَيْهِ السَّلَامُ، وقـد قيـل لـه: قـوم يعملون بالمعاصي، ويقولون: نرجوا. فلا يزالون كذلك حتّى يأتيهم الموت.

فقالعَلَيْهِ السَّلَامُ: هؤلاء قوم يترجّحون في الأماني؛ كذبوا؛ ليسوا براجين. إنّ من رجا شيئاً؛ طلبه، ومَن خاف من شيء؛ هرب منه.[٢]

أبلغ شيعتي

روى الحرّاني في تُحف العقول، قـال: وقـالعَلَيْهِ السَّلَامُ للمفـضّل: أوصـيك بـستّ خصال تُبلّغهنّ شيعتي.

قلت ـ يعني، المفضّل ـ : وما هنّ يا سيّدي؟

قالعَلَيْهِ السَّلَامُ: أداء الأمانة إلى مَن ائتمنك، وأن ترضى لأخيك مـا ترضـى لنفـسك، واعلم أنّ للأمور أواخر؛ فاحذر العواقب، وأنّ للأمور بغتات؛ فكن علـى حـذر. وإيّاك ومرتقى جبل سهل إذا كان المنحدر وعراً! ولا تعدنّ أخاك وعداً ليس في يدك وفاؤه.[٣]

الشفاعة والصلاة

روى الشيخ الصدوق في ثواب الأعمال، قال: روي عن أبي بصير، قال:

---

١. تُحف العقول: ص٣٨٠.

٢. راجع الكافي: ج٢ ص٦٨، باب الخوف والرجاء، ح٥.

٣. تُحف العقول: ص٣٦٧.

دخلت على أُمّ حميدة أُعزّيها بأبي عبد الله عليه السلام، فبكت، وبكيت لبكائها.

ثمّ قالت: يا أبا محمد، لو رأيت أبا عبد الله عليه السلام عند الموت، لرأيت عجباً؛ فتح عينيه، ثمّ قال: أجمعوا لي كلّ مَن بيني وبينه قرابة!

قالت: فلم نترك أحداً إلا جمعناه. قالت: فنظر إليهم؛ ثمّ قال: إنّ شفاعتنا لا تنال مستخفّاً بالصلاة.[1]

---

١. ثواب الأعمال: ص٢٢٨، باب عقاب من استخفّ بصلاته.

الشيعة والمتشيّعة[١]

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: من شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه، ولا شحمة أذنه، ولا يمتدح بنا معلنا، ولا يواصل لنا مبغضاً، ولا يخاصم لنا وليّاً، ولا يجالس لنا عائباً.

قال له مهزم ـ ابن أبي برزة الأسدي ـ: فكيف أصنع بهؤلاء المتشيّعة؟

---

١. الذين يدّعون التشيّع وليس لهم معناه، وعلاماته.

أقول: لا يغيب عن ذهن الباحث أنّ ما يمرّ به عالم اليوم من ظلم وجور تسمع تحت وطأة خطاها لأنين كرامة الإنسان ركزاً، ومن ضغط سنابكهما لعرى دين السماء مزقاً، قد مرّ نظيرهما على الناس بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله دون أدنى اختلاف بالمظمون، ولكن وعلى الرغم ممّا عاناه الناس من شتّى صنوف بلائهما ما زال إناء الأرض بعد لم يمتليء منهما.

وعليه؛ فهنا نكتة مهمّة تفتّقت أسرارها عن علم الإمام عليه السلام تشير إلى أنّ امتلاء الأرض ظلماً وجوراً إنّما يتوقّف على ما سيؤل إليه الأمر على أيدي المتشيّعة ـ بمختلف أطيافهم الثقافيّة، ومراكزهم الإجتماعيّة ـ الذين يُظهرون غير ما يُبطنون، ويعملون بغير ما يقولون، قد أخذوا عوامّ الناس ببريق شعاراتهم، ومحاسن دعواتهم المؤكّدة على نُبل انتمائهم، وصدق اعتقادهم، حتّى أحتُسبوا بسببه على أهل الفرقة الناجية؛ وهم ليسوا كذلك لا من بعيد، ولا من قريب بقدر ما أرادوا بذلك عمار دنياهم بخراب أُخراهم؛ ينطبق عليهم نبؤة الإمام الحسين عليه السلام في قوله: «الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم؛ يحوطونه ما درّت معائشهم».

لذا وبعد التمحيص، والتمييز، وما سيمرّ على المُتشيّعة من أنواع البلاء، والإمتحان؛ ستنكشف لا محال أقنعتهم، وتُزال صبغتهم بما يُظهر حقيقتهم؛ فيعملوا ـ كردّ فعل لاستكبارهم ـ على حرق الأخضر باليابس، مُتخلّين عن كلّ ما كانوا قد تقمّصوه مخادعين به؛ كصورة طبق الأصل لما ورد فيهم متمّماً لما ذكرنا آنفاً من نبؤة الإمام الحسين عليه السلام، قائلاً: «فإذا مُحصوا بالبلاء؛ قلّ الديّانون»؛ فيُحدثوا هوّة عميقة تعصف بإعصار الظلم والجور لينال عموم العالم، وبالخصوص الثلّة من الفرقة الناجية بما لا مُتّسع لأن يتناد الشيعة حتّى بأسمائهم.

نعم، لابدّ للأمر هكذا أن يؤول، فتنحسر الزاويّة المتبقّية، والأخيرة من زوايا الجبت والطاغوت، وتستكمل حلقات سلسلتها على أيدي مُترفي المُتشيعة؛ لتمتليء الأرض بذلك ظلماً، وجوراً، تحقيقاً لوقوع العلامة الأُولى المُمهدة لظهور إمام العصر، والزمان عجل الله فرجه.

قال عليه السلام: فيهم التمحيص، وفيهم التمييز، وفيهم التنزيل[١]؛ تأتي عليهم سنون تفنيهم، وطاعون يقتلهم، واختلاف يُبددهم.

شيعتنا من لا يهرّ هرير الكلب،[٢] ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل وإن مات جوعاً.

قلت ـ يعني، مهزم ـ : فأين أطلب هؤلاء؟

قال عليه السلام: أُطلبهم في أطراف الأرض؛ أولئك الخفيض عيشهم، المنتقلة دارهم، الذين إن شَهدوا؛ لم يُعرفوا، وإن غابوا؛ لم يُفتقدوا، وإن مرضوا؛ لم يُعادوا، وإن خطبوا؛ لم يُزوّجوا، وإن رأوا منكراً؛ أنكروا، وإن خاطبهم جاهل؛ سلّموا، وإن لجأ إليهم ذو حاجة منهم؛ رحموا، وعند الموت هم لا يحزنون، لم تختلف قلوبهم وإن رأيتهم اختلفت بهم البلدان.[٣]

لا يصلح من لا يعقل

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: لا يصلح من لا يعقل، ولا يعقل من لا يعلم، وسوف ينجب من يفهم، ويظفر من يحلم، والعلم جِنّة، والصدق عزّ، والجهل ذلّ، والفهم مجد، والجود نُجح، وحسن الخُلُق مجلبة للمودّة، والعالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس، والحَزم مشكاة الظنّ، والله ولي من عرفه، وعدو من تكلّفه، والعاقل غفور، والجاهل ختور[٤]، وإن شئت أن تُكرَم؛ فلِن، وإن شئت أن تُهان؛ فاخشن، ومن كرم أصله؛ لان قلبه، ومن خشن

١. أي، نزول البلية، والعذاب.

٢. هرير الكلب: صوته دون نباحه من قلّة صبره على البرد.

٣. تُحف العقول: ص٣٧٨.

٤. أي، فاسد، خبيث، غدّار.

عنصره؛ غلظ كبده[١]، ومن فرّط؛ تورّط، ومن خاف العاقبة؛ تثبّت فيما لا يعلم، ومن هجم على أمر بغير علم، جدع أنف نفسه، ومن لم يعلم، لم يفهم، ومن لم يفهم، لم يسلم، ومن لم يسلم، لم يُكرم، ومن لم يُكرم؛ تهضّم، ومن تهضّم؛ كان ألوم، ومن كان كذلك؛ كان أحرى أن يندم.

إن قدرت أن لا تُعرف؛ فافعل، وما عليك إذا لم يثن الناس عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً، إنّ أميرالمؤمنينعليه السلام كان يقول: لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين: رجل يزداد كلّ يوم فيها إحساناً، ورجل يتدارك منيّته بالتوبة.

إن قدرت أن لا تخرج من بيتك؛ فافعل، وإنّ عليك في خروجك أن لا تغتاب، ولا تكذب، ولا تحسد، ولا تُرائي، ولا تتصنّع، ولا تتداهن.

صومعة المسلم بيته، يحبس فيه نفسه، وبصره، ولسانه، وفرجه. إنّ من عرف نعمة الله بقلبه؛ استوجب المزيد من الله قبل أن يظهر شكرها على لسانه.

ثمّ قالعليه السلام: كم من مغرور بما أنعم الله عليه، وكم من مستدرج بستر الله عليه، وكم من مفتون بثناء الناس عليه، وإنّي لأرجوا النجاة لمن عرف حقّنا من هذه الأمّة إلا لأحد ثلاثة: صاحب سلطان جائر، وصاحب هوى، والفاسق المعلِن.

والحبّ أفضل من الخوف. والله، ما أحبّ الله من أحبّ الدنيا، ووالى غيرنا. ومن عرف حقّنا، وأحبّنا؛ فقد أحبّ الله.

كن ذنَباً، ولا تكن رأساً. قال رسول اللهصلى الله عليه وآله من خاف؛ كلّ لسانه.[٢]

---

١. أي، قسا قلبه.

٢. تُحف العقول: ص٣٥٦.

كتابة العلم

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن المفضّل بن عمر، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أُكتب، وبثّ علمك في إخوانك، فإن متّ؛ فأورث كتبك بنيك، فإنّه يأتي على الناس زمان هرج، لا يأنسون فيه إلاّ بكتبهم.[1]

الجاهل غير سعيد

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: لا ينبغي لمن لم يكن عالماً أن يُعدّ سعيداً، ولا لمن لم يكن ودوداً أن يُعدّ حميداً، ولا لمن لم يكن صبوراً أن يُعدّ كاملاً، ولا لمن لا يتّقي ملامة العلماء وذمّهم أن يرجى له خير الدنيا والآخرة، وينبغي للعاقل أن يكون صدوقاً؛ ليؤمن على حديثه، وشكوراً؛ ليستوجب الزيادة.[2]

لا تأتمن الخائن

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: ليس لك أن تأتمن الخائن وقد جرّبته، وليس لك أن تتّهم من ائتمنت.[3]

أنفع الأشياء

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: أنفع الأشياء للمرء؛ سبقه الناس إلى عيب نفسه، وأشدّ شيء مؤونة؛ إخفاء الفاقة، وأقلّ الأشياء غناء؛

---

١. أُصول الكافي: ج١ ص٥٣، باب رواية الكتب والحديث، ح١١.

٢. تُحف العقول: ص٣٦٤.

٣. تّحف العقول ص٣٦٤.

النصيحة لمن لا يقبلها، ومجاورة الحريص، وأروح الروح؛ اليأس من الناس.

لا تكن ضجراً ولا غلقاً، وذلّل نفسك باحتمال من خالفك ممّن هو فوقك، ومن له الفضل عليك، فإنّما أقررت له بفضله لئلا تُخالفه، ومن لا يعرف لأحد الفضل؛ فهو المعجب برأيه، واعلم أنّه لا عزّ لمن لا يتذلّل لله، ولا رفعة لمن لا يتواضع لله.[١]

حدود الصداقة

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: لا تكون الصداقة إلاّ بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منه، وإلاّ فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة. فأوّلها: أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة. والثانية: أن يرى زينك زينه، وشينك شينه. والثالثة: أن لا تغيّره عليك ولاية، ولا مال. والرابعة: أن لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته. والخامسة ـ وهي تجمع هذه الخصال ـ: أن لا يُسلمك عند النكبات.[٢]

ارحموا ثلاثاً

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: إنّي لأرحم ثلاثة، وحقّ لهم أن يُرحموا: عزيز أصابته المذلّة بعد العزّ، وغنيّ أصابته حاجة بعد الغنى، وعالم يستخفّ به أهله، والجهلة.[٣]

---

١. تّحف العقول: ص٣٦٦.

٢. تُحف العقول: ص٣٦٦.

٣. تُحف العقول: ص٣٦٧.

الناس سواء

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: الناس سواء كأسنان المشط، والمرء كثير بأخيه، ولا خير في صحبة من لم ير لك مثل الذي يرى لنفسه.[١]

مواقف التهم

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: من وقف نفسه موقف التهمة؛ فلا يلومنّ من أساء به الظنّ، ومن كتم سرّه كانت الخيرة في يده، وكلّ حديث جاوز الإثنين؛ فاش[٢]. وضع أمر أخيك على أحسنه، ولا تطلبنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً. وعليك بإخوان الصدق؛ فإنّهم عدّة عند الرخاء، وجنّة عند البلاء. وشاور في حديثك الذين يخافون الله، وأحبب الإخوان على قدر التقوى، واتّق شرار النساء، وكن من خيارهنّ على حذر، وإن أمرنكم بالمعروف، فخالفوهنّ؛ حتّى لا يطمعن منكم في المنكر.[٣]

لا تخالط السفلة

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: إيّاك ومخالطة السفلة؛ فإنّ مخالطة السفلة لا تؤدّي إلى الخير.[٤]

---

١. تُحف العقول: ص٣٦٨.

٢. بمعنى، ذاع، وشاع.

٣. تُحف العقول: ص٣٦٨.

٤. تُحف العقول: ص٣٦٦.

من هو المؤمن

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: أربع من كنّ فيه كان مؤمناً وإن كان من قرنه إلى قدمه ذنوباً: الصدق، والحياء، وحُسن الخُلُق، والشكر.[1]

من علائم الإيمان

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن الحسن بن أبي سارة، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام، يقول: لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتّى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو.[2]

المروّة

روى الشيخ الصدوق في معاني الأخبار، بسنده: عن الهيثم بن عبد الله النهدي، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

المروّة؛ مروّتان: مروّة الحضر. ومروّة السفر. فأمّا مروّة الحضر؛ فتلاوة القرآن، وحضور المساجد، وصحبة أهل الخير، والنظر في التفقّه.

وأمّا مروّة السفر؛ فبذل الزاد، والمزاح في غير ما يسخط الله، وقلّة الخلاف على من صحبك، وترك الرواية عليهم إذا أنت فارقتهم.[3]

من وصيّة لقمان

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن الحارث بن المغيرة، أو أبيه، عن أبي

---

١. تُحف العقول: ص٣٦٩.

٢. الكافي: ج٢ ص٧١، باب الخوف والرجاء، ح١١.

٣. معاني الأخبار: ص٢٥٨، باب معنى المروّة، رقم٨.

عبد الله عليه السلام، قال: قلت له عليه السلام: ما كان في وصيّة لقمان؟

فقال عليه السلام: كان فيها الأعاجيب، وكان من أعجب ما فيها أن قال لإبنه: خف الله خيفةً لو جئته ببرّ الثقلين لعذّبك، وارج الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك.

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: كان أبي عليه السلام يقول:

ما من مؤمن إلاّ وفي قلبه نوران: نور خيفة، ونور رجاء. لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا.[١]

من دُرر حكمه

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: ومن كلامه عليه السلام:

الإستقصاء؛ فرقة. الإنتقاد؛ عداوة. قلّة الصبر؛ فضيحة. إفشاء السرّ؛ سقوط. السخاء؛ فطنة. اللوم؛ تغافل.

ثلاثة من تمسّكَ بهنّ؛ نال من الدنيا والآخرة بغيته: من اعتصم بالله، ورضى بقضاء الله، وأحسن الظنّ بالله.

ثلاثة من فرّط فيهن؛ كان محروماً: استماحة جواد، ومصاحبة عالم، واستمالة سلطان.

ثلاثة تورث المحبّة: الدين. والتواضع. والبذل.

من برئ من ثلاثة؛ نال ثلاثة: من برئ من الشرّ؛ نال العِزّ. ومن برئ من الكِبر؛ نال الكرامة. ومن برئ من البخل؛ نال الشرف.

ثلاثة مكسبة للبغضاء: النفاق. والظلم. والعُجب.

---

١. الكافي: ج٢ ص٦٧، باب الخوف والرجاء، ح١.

ومن لم يكن فيه خصلة من ثلاثة؛ لم يُعدّ نبيلاً: من لم يكن له عقل يُزينه. أو جدّة[١] تُغنيه. أو عشيرة تعضده.

ثلاثة تزري بالمرء: الحسد. والنميمة. والطيش.

ثلاثة لا تُعرف إلاّ في ثلاث مواطن: لا يعرف الحليم إلاّ عند الغضب. ولا الشجاع إلا عند الحرب. ولا أخ إلاّ عند الحاجة.

ثلاث من كنّ فيه؛ فهو منافق، وإن صام، وإن صلّى: من إذا حدّث؛ كذب. وإذا وعد؛ أخلف. وإذا ائتُمن؛ خان.

أحذر من الناس ثلاثة: الخائن. والظلوم. والنمّام؛ لأنّ من خان لك؛ خانك. ومن ظلم لك؛ سيظلمك. ومن نمّ إليك؛ سينمّ عليك.

لا يكون الأمين أميناً حتّى يؤتمن على ثلاثة، فيؤدّيها: على الأموال، وعلى الأسرار، والفروج. وإن حفظ أثنين وضيّع واحدة؛ فليس بأمين.

لا تشاور أحمق، ولا تستعن بكذّاب، ولا تثقّ بمودّة الملول؛ فإنّ الكذّاب يُقرّب لك البعيد، ويُبّعد لك القريب، والأحمق يُجهد لك نفسه، ولا يبلغ ما تريد، والملول أوثق ما كنت به؛ خذلك، وأوصل ما كنت له؛ قطعك.

أربعة لا تشبع من أربعة: أرض من مطر. وعين من نظر. وأُنثى من ذكر. وعالم من علم.

أربعة تهرم قبل أوان الهرم: أكل القديد. والقعود على النداوة. والصعود في الدرج. ومجامعة العجوز.

النساء ثلاث: فواحدة لك، وواحدة لك وعليك، وواحدة عليك لا لك. فأمّا التي هي لك؛ فالمرأة العذراء، وأمّا التي هي لك وعليك؛ فالثيّب، وأمّا التي هي

---

١. الجدّة ـ مصدر وجد، يجد كعدّة ـ : الغنى، والقدرة.

عليك لا لك؛ فهي المتبع، التي لها ولد من غيرك.

ثلاث من كنّ فيه؛ كان سيّداً: كظم الغيظ. والعفو عن المسيء. والصلة بالنفس والمال.

ثلاثة لا بدّ لهم من ثلاث: لا بدّ للجواد من كبوة، وللسيف من نبوة، وللحليم من هفوة.

ثلاث فيهن البلاغة: التقرّب من معنى البغية، والتبعّد من حشو الكلام، والدلالة بالقليل على الكثير.

النجاة في ثلاث: تُمسك عليك لسانك، ويسعك بيتك، وتندم على خطيئتك.

والجهل في ثلاث: في تبدّل الإخوان. والمنابذة بغير بيان. والتجسّس عمّا لا يعني.

ثلاث من كنّ فيه؛ كنّ عليه: المكر، والنكث، والبغي؛ وذلك قول الله تعالى: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾[1]، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2]، وقال عزّ وجلّ: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[3]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[4].

ثلاث يحجزن المرء عن طلب المعالي: قصر الهمّة. وقلّة الحيلة. وضعف الرأي.

الحزم في ثلاثة: الإستخدام للسلطان. والطاعة للوالد. والخضوع للمولى.

---

١. سورة فاطر، الآية: ٤٣.

٢. سورة النمل، الآية: ٥١.

٣. سورة الفتح، الآية: ١٠.

٤. سورة يونس، الآية: ٢٣.

الأُنس في ثلاث: في الزوجة الموافقة، والولد البار، والصديق المصافي.

من رزق ثلاثاً؛ نال ثلاثاً؛ وهو الغنى الأكبر: القناعة بما أُعطي، واليأس عمّا في أيدي الناس، وترك الفضول.

لا يكون الجواد جواداً إلاّ بثلاثة: يكون سخيّاً بماله على حال اليسر والعُسر، وأن يبذله للمستحقّ، ويرى أنّ الذي أخذه من شكر الذي أسدى إليه أكثر ممّا أعطاه.

ثلاثة لا يعذر المرء فيها: مشاورة ناصح، ومداراة حاسد، والتحبّب إلى الناس.

لا يعدّ العاقل عاقلاً حتّى يستكمل ثلاثاً: إعطاء الحقّ من نفسه على حال الرضا والغضب، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه، واستعمال الحلم عند العثرة.

لا تدوم النعم إلا بعد ثلاث: معرفة بما يلزم الله سبحانه فيها، وأداء شكرها، والتعب فيها.

ثلاث مَن ابتُلي بواحدة منهنّ؛ تمنّى الموت: فقر متتابع، وحرمة فاضحة، وعدوّ غالب.

من لم يرغب في ثلاث؛ ابتُلي بثلاث: من لم يرغب في السلامة؛ ابتُلي بالخذلان، ومن لم يرغب في المعروف؛ ابتُلي بالندامة، ومن لم يرغب في الإستكثار من الإخوان؛ ابتُلي بالخسران.

ثلاث يجب على كلّ إنسان تجنّبها: مقارنة الأشرار، ومحادثة النساء، ومجالسة أهل البدع.

ثلاثة تدلّ على كرم المرء: حسن الخُلُق، وكظم الغيظ، وغضّ الطرف.

من وثق بثلاثة؛ كان مغروراً: من صدّق بما لا يكون، وركن إلى من لا يثقّ به، وطمع فيما لا يملك.

ثلاثة من استعملها؛ أفسد دينه، ودنياه: من أساء ظنّه، وأمكن من سمعه، وأعطى قيادة حليلته.

أفضل الملوك من أُعطي ثلاث خصال: الرأفة، والجود، والعدل.

وليس يُحبّ للملوك أن يفرّطوا في ثلاث: في حفظ الثغور، وتفقّد المظالم، واختيار الصالحين لأعمالهم.

ثلاث خلال تجب للملوك على أصحابهم ورعيّتهم: الطاعة لهم، والنصيحة لهم في المغيب والمشهد، والدعاء بالنصر والصلاح.

ثلاثة تجب على السلطان للخاصّة والعامّة: مكافأة المحسن بالإحسان؛ ليزدادوا رغبة فيه، وتغمّد ذنوب المسيء؛ ليتوب ويرجع عن غيّه، وتألّفهم جميعاً بالإحسان والإنصاف.

ثلاثة أشياء من احتقرها من الملوك، وأهملها؛ تفاقمت عليه: خامل قليل الفضل شذّ عن الجماعة، وداعية إلى بدعة جعل جُنّته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأهل بلد جعلوا لأنفسهم رئيساً يمنع السلطان من إقامة الحكم فيهم.

العاقل لا يستخفّ بأحد، وأحقّ من لا يستخفّ به ثلاثة: العلماء، والسلطان، والإخوان؛ لأنّه من استخفّ بالعلماء؛ أفسد دينه، ومن استخفّ بالسلطان؛ أفسد دنياه، ومن استخف بالإخوان؛ أفسد مرؤته.

وجدنا بطانة السلطان ثلاث طبقات: طبقة موافقة للخير؛ وهي بركة عليها، وعلى السلطان، وعلى الرعيّة. وطبقة غايتها المحاماة على ما في أيديها؛ فتلك لا محمودة، ولا مذمومة، بل هي إلى الذمّ أقرب. وطبقة موافقة للشرّ؛ وهي مشؤومة مذمومة عليها وعلى السلطان.

ثلاثة أشياء يحتاج الناس طُراً إليها: الأمن، والعدل، والخصب.

ثلاثة تُكدّر العيش: السلطان الجائر، والجار السوء، والمرأة البذيّة.

لا تطيب السكنى إلاّ بثلاث: الهواء الطيّب، والماء الغزير العذب، والأرض الخوّارة ـ السهلة الليّنة ـ .

ثلاثة تُعقّب الندامة: المباهاة، والمفاخرة، والمعازّة ـ المعارضة في العزّ ـ .

ثلاثة مُركّبة في بني آدم: الحسد، والحرص، والشهوة.

من كانت فيه خلّة من ثلاثة؛ انتظمت فيه ثلاثتها في تفخيمه، وهيبته، وجماله: من كان له ورع، أو سماحة، أو شجاعة.

ثلاث خصال من رزقها كان كاملاً: العقل، والجمال، والفصاحة.

ثلاثة تقضى لهم بالسلامة إلى بلوغ غايتهم: المرأة إلى انقضاء حملها، والملك إلى أن ينفذ عمره، والغائب إلى حين إيابه.

ثلاثة تورث الحرمان: الإلحاح في المسألة، والغيبة، والهزء.

ثلاثة تُعقّب مكروهاً: حملة الباطل في الحرب في غير فرصة وإن رُزق الظفر، وشرب الدواء من غير علّة وإن سلم منه، والتعرّض للسلطان وإن ظفر الطالب بحاجته منه.

ثلاث خلال يقول كلّ إنسان إنّه على صواب منها: دينه الذي يعتقده، وهواه الذي يستعلي عليه، وتدبيره في أموره.

الناس كلّهم ثلاث طبقات: سادة مطاعون، وأكفّاء متكافؤن، وأُناس متعادون.

قوام الدنيا بثلاثة أشياء: النار، والملح، والماء.

من طلب ثلاثة بغير حقّ؛ حُرم ثلاثة بحقّ: من طلب الدنيا بغير حقّ؛ حرم الآخرة بحقّ. ومن طلب الرئاسة بغير حقّ؛ حُرم الطاعة له بحقّ. ومن طلب المال بغير حقّ؛ حُرم بقاؤه له بحقّ.

ثلاثة لا ينبغي للمرء الحازم أن يتقدّم عليها: شرب السمّ للتجربة وإن نجا

منه، وإفشاء السرّ إلى القرابة الحاسد وإن نجا منه، وركوب البحر وإن كان الغنى فيه.

لا تستغني أهل كلّ بلد عن ثلاثة يفزع إليه في أمر دنياهم وآخرتهم، فإن عُدموا ذلك؛ كانوا همجاً: فقيه عالم ورع، وأمير خيّر مُطاع، وطبيب بصير ثقة.

يُمتحن الصديق بثلاث خصال، فإن كان مؤاتياً فيها ـ أي، موافقاً ـ فهو الصديق المصافي ـ الخالص الودّ ـ وإلاّ كان صديق رخاء لا صديق شدّة: تبتغي منه مالاً، أو تأمنه على مال، أو تُشاركه في مكروه.

إن يسلم الناس من ثلاثة أشياء؛ كانت سلامة شاملة: لسان السوء، ويد السوء، وفعل السوء.

إذا لم تكن في المملوك خصلة من ثلاث، فليس لمولاه في إمساكه راحة: دين يرشده، أو أدب يسوسه، أو خوف يردعه.

إنّ المرء يحتاج في منزله وعياله إلى ثلاث خصال يتكلّفها وإن لم يكن في طبعه ذلك: معاشرة جميلة، وسعة بتقدير، وغيرة بتحصّن.

كلّ ذي صناعة مضطرّ إلى ثلاث خلال يجتلب بها المكسب، وهو: أن يكون حاذقاً بعمله، ومؤدّياً للأمانة فيه، ومستميلاً لمن استعمله.

ثلاث من ابتُلي بواحدة منهنّ كان طائح العقل: نعمة مولّية، وزوجة فاسدة، وفجيعة بحبيب.

جُبلت الشجاعة على ثلاث طبائع، لكلّ واحدة منهنّ فضيلة ليست للأُخرى: السخاء بالنفس، والأنفة من الذلّ، وطلب الذكر.

فإن تكاملت في الشجاع؛ كان البطل الذي لا يُقام لسبيله، والموسوم بالإقدام في عصره، وإن تفاضلت فيه بعضها على بعض؛ كانت شجاعته في ذلك الذي تفاضلت فيه أكثر، وأشدّ إقداماً.

ويجب للوالدين على الولد ثلاثة أشياء: شكرهما على كلّ حـال، وطاعتهمـا فيما يأمرانه وينهيانه عنه في غير معصية الله، ونصيحتهما في السرّ والعلانية.

وتجب للولد على والده ثلاث خـصال: اختيـاره لوالدتـه، وتحـسين اسـمه، والمبالغة في تأديبه.

تحتاج الأخوة فيما بيـنهم إلـى ثلاثـة أشـياء، فـإن اسـتعملوها وإلا تبـاينوا، وتباغضوا، وهي: التناصف، والتراحم، ونفي الحسد.

إذا لم تجتمع القرابة على ثلاثة أشياء؛ تعرّضوا لدخول الوهن عليهم، وشماتة الأعداء بهم، وهي: ترك الحـسد فـيم بيـنهم؛ لـئلا يتحزّبـوا؛ فيتـشتّت أمـرهم، والتواصل؛ ليكون ذلك حادياً «أو: هادياً» لهم علـى الأُلفـة، والتعـاون؛ لتـشملهم العزّة.

لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشـياء فيمـا بينـه وبـين زوجتـه، وهـي: الموافقـة؛ ليجتلب بها موافقتها، ومحبّتها، وهواها، وحُسن خُلُقه معها، واسـتعماله اسـتمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها، وتوسعته عليها.

ولا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال، وهنّ: صيانة نفسها عن كلّ دنس حتّى يطمئن قلبه إلى الثقة بها فـي حـال المحبـوب والمكروه، وحياطته؛ ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلّة تكون منها، وإظهار العشق له بالخلابة والهيئة الحسنة لها في عينه.

لا يتمّ المعروف إلاّ بثلاث خلال: تعجيله، وتقليل كثيره، وترك الإمتنان به.

والسرور في ثلاث خلال: في الوفاء، ورعاية الحقوق، والنهوض في النوائب.

ثلاثة يستدلّ بها على إصابة الرأي: حُسن اللقاء، وحُسن الإسـتماع، وحُـسن الجواب.

الرجال ثلاثة: عاقل، وأحمق، وفاجر. فالعاقـل: إن كُلّـم؛ أجـاب، وإن نطـق؛

أصاب، وإن سمع؛ وعى. والأحمق: إن تكلّم؛ عجل، وإن حدّث؛ ذهل، وإن حُمل على القبيح؛ فعل. والفاجر: إن ائتمنته؛ خانك، وإن حدّثته؛ شانك.

الإخوان ثلاثة: فواحد كالغذاء الذي يحتاج إليه كلّ وقت؛ فهو العاقل. والثاني في معنى الدّاء؛ وهو الأحمق. والثالث في معنى الدّواء؛ فهو اللبيب.

ثلاثة أشياء تدلّ على عقل فاعلها: الرسول على قدر من أرسله، والهديّة على قدر مُهديها، والكتاب على قدر كاتبه.

العلم ثلاثة: آية محكمة، وفريضة عادلة، وسُنّة قائمة.

الناس ثلاثة: جاهل يأبى أن يتعلّم، وعالم قد شفّه علمه، وعاقل يعمل لدنياه وآخرته.

ثلاثة ليس معهنّ غربة: حُسن الأدب، وكفّ الأذى، ومجانبة الريب.

الأيّام ثلاثة: فيوم مضى لا يُدرك. ويوم الناس فيه، فينبغي أن يغتنموه. وغداً، إنّما في أيديهم أمله.

من لم تكن فيه ثلاث خصال؛ لم ينفعه الإيمان: حلم يردّ به جهل الجاهل، وورع يحجزه عن طلب المحارم، وخُلُق يداري به الناس.

ثلاث من كنّ فيه استكمل الإيمان: من إذا غضب؛ لم يُخرجه غضبه من الحقّ، وإذا رضي؛ لم يُخرجه رضاه إلى الباطل، ومن إذا قدر؛ عفا.

ثلاث خصال يحتاج إليها صاحب الدنيا: الدعة من غير توان، والسعة مع قناعة، والشجاعة من غير كسل.

ثلاثة أشياء لا ينبغي للعاقل أن ينساهنّ على كلّ حال: فناء الدنيا، وتصرّف الأحوال، والآفات التي لا أمان لها.

ثلاثة أشياء لا تُرى كاملة في واحد قطّ: الإيمان. والعقل. والإجتهاد.

الإخوان ثلاثة: مواسٍ بنفسه. وآخر مواسٍ بماله. وهما الصادقان في الإخاء.

وآخر يأخذ منك البُلغة، ويُريدك لبعض اللذّة؛ فلا تعدّه من أهل الثقة.

لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتّى تكون فيه خصال ثلاث: الفقه في الدّين، وحُسن التقدير في المعيشة، والصبر على الرزايا.[١]

عبادات وأدعية

لنجاح الحاجة

روى الإربلي في كشف الغُمّة، قال:

وروي عن جعفر بن محمد الصادقعليه السلام: إنّه قال لمولاه نافذ: إذا كتبت رقعة أو كتاباً في حاجة، فأردت أن تنجح حاجتك التي تُريد، فاكتب رأس الرقعة بقلم غير مديد[٢]:

«بسم الله الرحمن الرحيم، إنّ الله وعد الصابرين المخرج ممّا يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون، جعلنا الله وإيّاكم من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ».

قال نافذ: فكنت أفعل ذلك؛ فتنجح حوائجي.[٣]

الأمن والأمان

روى الصدوق في ثواب الأعمال، بسنده: عن مالك بن أعين، عن أبي عبد اللهعليه السلام، قال: من قال في كلّ يوم مائة مرّة: لا إله إلا الله الملك الحقّ المبين؛

---

١. تُحف العقول: ص٣١٥ـ٣٢٤.

٢. أي، من غير سواد.

٣. كشف الغُمّة: ج٢ ص٣٧٥.

أعاذه الله العزيز الجبّار من الفقر، وآنس وحشة قبره، واستجلب الغنى، واستقرع باب الجنّة.[١]

متفرّقات

من رسالته عليه السلام إلى الشيعة

روى الشيخ الكليني في روضة الكافي، بسنده: عن اسماعيل بن مخلّد السرّاج، قال: خرجت هذه الرسالة من أبي عبد الله عليه السلام إلى أصحابه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد: فاسألوا ربّكم العافية، وعليكم بالدعة[٢]، والوقار، والسكينة. وعليكم بالحياء، والتنزّه عمّا تنزّه عنه الصالحون قبلكم. وعليكم بمجاملة[٣] أهل الباطل؛ تحمّلوا الضيم[٤] منهم، وإياكم ومماظّتهم[٥]، دينوا فيما بينكم وبينهم إذا أنتم جالستموهم، وخالطتموهم، ونازعتموهم الكلام؛ فإنّه لا بدّ لكم من مجالستهم، ومخالطتهم، ومنازعتهم الكلام، بالتقيّة[٦] التى أمركم الله أن تأخذوا بها فيما بينكم وبينهم، فإذا ابتُليتم بذلك منهم؛ فإنّهم سيؤذونكم، وتعرفون في وجوههم المنكر، ولولا أنّ الله تعالى يدفعهم عنكم؛ لسطوا بكم[٧]. وما في صدورهم من

---

١. ثواب الأعمال: ص٧.

٢. الدعة: الخفض، والطمأنينة.

٣. المجاملة: المعاملة بالجميل.

٤. الضيم: الظلم.

٥. المماظّة ـ بالمعجمة ـ : شدة المنازعة، والمخاصمة مع طول اللزوم.

٦. وقوله «بالتقيّة» متعلّق بـ«دينوا في». وما بينهما معترض.

٧. السطو: القهر. أي، وثبوا عليكم، وقهروكم.

العداوة والبغضاء أكثر ممّا يُبدون لكم. مجالسكم ومجالسهم واحدة، وأرواحكم وأرواحهم مختلفة، لا تأتلف، لا تُحبونّهم أبداً، ولا يُحبّونكم؛ غير أنّ الله تعالى أكرمكم بالحقّ وبصركموه، ولم يجعلهم من أهله؛ فتُجاملونهم، وتصبرون عليهم؛ وهم لا مجاملة لهم، ولا صبر لهم على شئ[١]، وحيلهم وسواس بعضهم إلى بعض، فإنّ أعداء الله إن استطاعوا صدّوكم عن الحقّ؛ فيعصمكم الله من ذلك، فاتّقوا الله، وكفّوا ألسنتكم إلا من خير. وإياكم أن تُزلقوا ألسنتكم[٢] بقول الزور، والبهتان، والإثم، والعدوان؛ فإنّكم إن كففتم ألسنتكم عمّا يكرهه الله ممّا نهاكم عنه، كان خيراً لكم عند ربّكم من أن تُزلقوا ألسنتكم به، فإنّ زلَق اللسان فيما يكره الله وما يُنهى عنه؛ مرداة[٣] للعبد عند الله، ومقت من الله، وصُمّ، وعُمي، وبكم، يُورثه الله إياه يوم القيامة؛ فتصيروا كما قال الله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[٤]. يعني، لا ينطقون، ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[٥].

وإيّاكم وما نهاكم الله عنه أن تركبوه، وعليكم بالصمت إلا فيما ينفعكم الله به من أمر آخرتكم، ويأجركم عليه. وأكثروا من التهليل، والتقديس، والتسبيح، والثناء على الله، والتضرع إليه، والرغبة فيما عنده من الخير الذي لا يُقدّر قدره،

---

١. قال العلامة المجلسي: اعلم أنّه يظهر من بعض النسخ المصحّحة أنّه قد اختل نظم هذا الحديث وترتيبه بسبب تقديم بعض الورقات وتاخير بعضها؛ وفيها قوله: «ولا صبر لهم» متّصل بقوله فيما بعد: «من أموركم» هكذا: «ولا صبر لهم على شئ من أموركم تدفعون انتم السيئة ـ إلى آخر ما سيأتي ـ » وهو الصواب. وسيظهر لك ممّا سنشير إليه في كلّ موضع من مواضع الإختلاف صحّة تلك النسخة واختلال النسخ المشهورة. اهـ

٢. أن تزلقوا ـ بالزاي المعجمة ـ : بمعنى، النصر والفرح. وفي بعض النسخ ـ بالذال المعجمة، اخت الدال ـ : والمعنى ظاهر.

٣. في بعض النسخ [وفيما ينهى] والمرداة ـ بغير الهمزة ـ : مفعلة. من الردى. بمعنى، الهلاك.

٤. سورة البقرة، الآية: ١٨.

٥. سورة المرسلات، الآية: ٣٦.

ولا يبلغ كنهه أحد. فاشغلوا ألسنتكم بذلك عمّا نهى الله عنه من أقاويل الباطل التي تعقب أهلها خلوداً في النار، من مات عليها، ولم يتب إلى الله، ولم ينزع عنها. وعليكم بالدعاء؛ فإنّ المسلمين لم يُدركوا نجاح الحوائج عند ربّهم بأفضل من الدعاء، والرغبة إليه، والتضرّع إلى الله، والمسألة له. فارغبوا فيما رغّبكم الله فيه، وأجيبوا الله إلى ما دعاكم إليه؛ لتفلحوا، وتنجوا من عذاب الله. وإيّاكم أن تشره[1] أنفسكم إلى شئ ممّا حرّم الله عليكم؛ فإنّه من انتهك ما حرم الله عليه ههنا في الدنيا، حال الله بينه وبين الجنّة، ونعيمها، ولذّتها، وكرامتها القائمة، الدائمة لأهل الجنّة أبد الآبدين.

واعلموا أنّه بئس الحظّ؛ الخطر لمن خاطر الله بترك طاعة الله، وركوب معصيته، فاختار أن ينتهك محارم الله في لذات دنيا منقطعة، زائلة عن أهلها، على خلود نعيم في الجنّة، ولذّاتها، وكرامة أهلها. ويل لأُولئك! ما أخيَب حظّهم، وأخسر كرّتهم، وأسوأ حالهم عند ربّهم يوم القيامة. استجيروا الله أن يُجيركم[2] في مثالهم ابداً، وأن يبتليَكم بما ابتلاهم به، ولا قوّة لنا ولكم إلا به.

فاتّقوا الله أيّتها العصابة الناجية، إن أتمّ الله لكم ما أعطاكم به[3]، فإنّه لا يتمّ الأمرحتّى يدخل عليكم مثل الذي دخل على الصالحين قبلكم، وحتّى تُبتلوا في

---

١. شره ـ كفرح ـ : غلبه حرصه.

٢. أي، استعيذوا بالله من أن يكون إجارته تعالى إياكم على مثال إجارته لهم؛ فإنه لا يُجيرهم من عذابه في الآخرة وإنّما أجارهم في الدنيا. وفي بعض النسخ [ان يجريكم] وفي بعضها [من مثالهم] فالمراد: استجيروا بالله؛ لأن يُجيركم من مثالهم. أي، من أن تكونوا مثلهم.

٣. لعلّ المراد: اتّقوا الله ولا تتركوا التقوى عن الشرك والمعاصي عند إرادة الله إتمام ما أعطاكم من دين الحقّ. ثمّ بيّن عليه السلام الإتمام بأنّه إنّما يكون بالإبتلاء والإفتتان، وتسليط من يُؤذيكم عليكم.

فالمراد: الأمر بالتقوى عند الإبتلاء بالفتن. وذكر فائدة الإبتلاء بأنّه سبب لتمام الإيمان؛ فلذا يبتليكم.

أنفسكم، وأموالكم، وحتّى تسمعوا من أعداء الله أذىً كثيراً؛ فتصبروا، وتعركوا[١] بجنوبكم، وحتّى يستذلّوكم، ويُبغضوكم، وحتّى يحملوا عليكم الضيم، فتحمّلوا منهم؛ تلتمسون بذلك وجه الله، والدار الآخرة، وحتّى تكظموا الغيظ الشديد في الأذى في الله عزّ وجلّ، يجترمونه[٢] إليكم، وحتّى يكذبوكم بالحقّ، ويُعادوكم فيه، ويبغضوكم عليه؛ فتصبّروا على ذلك منهم، ومصداق ذلك كلّه في كتاب الله الذي أنزله جبرئيل على نبيّكم صلى الله عليه وآله؛ سمعتم قول الله عزّ وجلّ لنبيّكم صلى الله عليه وآله ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾[٣]. ثمّ قال: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ﴾[٤]. فقد كُذِّب نبي الله، والرسل من قبله، وأُوذوا مع التكذيب بالحقّ....

وقال: أيّتها العصابة المرحومة، المفلحة، إنّ الله أتمّ لكم ما آتاكم من الخير؛ واعلموا أنّه ليس من علم الله، ولا من أمره، أن يأخذ أحد من خلق الله في دينه بهوى، ولا رأي، ولا مقائيس. قد أنزل الله القرآن، وجعل فيه تبيان كلّ شئ، وجعل للقرآن، ولتعلّم القرآن أهلاً، لا يسع أهل علم القرآن الذين آتاهم الله علمه أن يأخذوا فيه بهوى، ولا رأي، ولا مقائيس؛ أغناهم الله عن ذلك بما آتاهم من علمه، وخصّهم به، ووضعه عندهم كرامة من الله أكرمهم بها؛ وهم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الأُمّة بسؤالهم، وهم الذين من سألهم ـ وقد سبق في علم الله أن يُصدّقهم، ويُتّبع أثرهم ـ أرشدوه، وأعطوه من علم القرآن ما يهتدي به إلى الله، بإذنه، وإلى جميع سبل الحقّ، وهم الذين لا يُرغب عنهم،

---

١. يقال: عرك الأذى بجنبه. أي، احتمله.

٢. اجترم: جنى جناية.

٣. سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

٤. سورة الأنعام، الآية: ٣٤.

وعن مسألتهم، وعن علمهم الذى أكرمهم الله به، وجعله عندهم؛ إلا من سبق عليه ـ في علم الله ـ الشقاء في أصل الخلق، تحت الأظلّة[١]؛ فأُولئك الذين يرغبون عن سؤال أهل الذكر، والذين آتاهم الله علم القرآن، ووضعه عندهم، وأمر بسؤالهم. وأولئك الذين يأخذون بأهوائهم، وآرائهم، ومقائيسهم، حتّى دخلهم الشيطان؛ لأنّهم جعلوا أهل الإيمان في علم القرآن عند الله كافرين، وجعلوا أهل الضلالة في علم القرآن عند الله مؤمنين، وحتّى جعلوا ما أحلّ الله في كثير من الأمر حراماً، وجعلوا ما حرّم الله في كثير من الأمر حلالاً؛ فذلك أصل ثمرة أهوائهم... إلخ.[٢]

الجور والغدر

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: إذا كان الزمان زمان جور، وأهله أهل غدر؛ فالطمأنينة إلى كلّ أحد عجز.[٣]

العالِم المتّهم

روى الشيخ الكليني في الكافي، بسنده: عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إذا رأيتم العالم محبّاً لدنياه؛ فاتّهموه على دينكم. فإنّ كلّ مُحبّ لشئ يحوط ما أحبّ.[٤]

---

١. اي، عالم الارواح
٢. روضة الكافي: ج ٨ ص٢، رسالة أبو عبد الله عليه السلام إلى جماعة الشيعة، ح١.
٣. تُحف العقول: ص٣٥٧.
٤. أُصول الكافي: ج١ ص٤٦، باب المستأكل بعلمه والمفتون به، ح٤.

أقسام الحياء

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: الحياء على وجهين: فمنه ضعف. ومنه قوّة، وإسلام، وإيمان.[١]

مع الجُعد بن درهم

روى السيّد المرتضى في الأمالي، قال: إنّ الجعد بن درهم جعل في قارورة ماءً وتراباً؛ فاستحال دوداً وهواماً، فقال لأصاحبه: أنا خلقت ذلك، لأنّي كنت سبب كونه!

فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليهما السلام، فقال: ليقل: كم هي، وكم الذكران منه والإناث إن كان خلقه، وكم وزن كلّ واحدة منهنّ، وليأمر التي تسعي إلى هذا الوجه أن ترجع إلى غيره.

فانطلق، وهرب.[٢]

من صفات المنافق

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: المنافق إذا حدّث عن الله، وعن رسوله؛ كذب، وإذا وعد الله ورسوله؛ أخلف، وإذا ملك؛ خان الله، ورسوله في ماله، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ

---

١. تُحف العقول: ص٣٦٠.

٢. الأمالي: ج١ ص٢٠٥.

٣. سورة التوبة، الآية: ٧٧.

عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١].[٢]

مواطن بعض النعم

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: وقال عليه السلام: طعم الماء؛ الحياة. وطعم الخبز؛ القوّة. وضعف البدن، وقوّته من شحم الكليتين. وموضع العقل؛ الدماغ. والقسوة، والرقّة في القلب.[٣]

نعم، إنّ جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام جدير وحقيق شرعاً، وعقلاً، وعرفاً بخلافة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لما تحقّق عنه عليه السلام في واقع الإسلام من كمال عقل، وتمام علم، فضلاً ممّا اتّفق له من إطباق علماء المسلمين بتقديمه عليه السلام على من سواه، واعتراف جهابذة علماء ذاك العصر بالأخذ عنه، والتلمذة على يديه الكريمتين.

كيف لا، وهو عليه السلام سليل البيت النبوي الكريم الذي كان بحقّ مرآة صدق قد عكس للوجود تفاصيل كمالات جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، مُظهراً لكلّ صفاته صلى الله عليه وآله، علماً، وعملاً، وخُلُقاً، حتّى كان كما انبرى لوصفه الدكتور حامد حفني داود؛ أُستاذ الأدب العربي في جامعة عين شمس بالقاهرة، قائلاً: جعفر الصادق عليه السلام؛ إمام العلماء الربّانيين، وأوّل المبعوثين من المجدّدين.[٤]

أجل، هذا هو سادس خلفاء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي أخبر بهم بقوله صلى الله عليه وآله: سيكون بعدي اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش.

---

١. سورة الأنفال، الآية: ٧١.

٢. تُحف العقول: ص٣٦٨.

٣. تُحف العقول: ص٣٧٠.

٤. نظرات في الكتب الخالدة لحفني داود: ص٤٢.

من كلماته عليه السلام المنظومة

عليك بأهل العلى

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: وفي عروس الترماشيري: إنّ سائلاً سأله حاجة؛ فأسعفها، فجعل السائل يشكره؛ فقال عليه السلام:

إذا ما طلبت خصال الندى ... وقد عضّك الدهر من جهده
فلا تطلبنّ إلى كالح ... أصاب اليسارة من كدّه
ولكن عليك بأهل العلى ... ومن ورث المجد عن جدّه
فذاك إذا جئته طالباً ... تحبّ اليسارة من جده[1]

ولقد عجبت لهالك

روى الشيخ الصدوق في الأمالي، قال: كان الصادق عليه السلام كثيراً ما يقول:

علم المحجّة واضح لمريده ... وأرى القلوب عن المحجّة في عمى
ولقد عجبت لهالك ونجاته ... موجودة، ولقد عجبت لمن نجا[2]

لو كان حبّك صادقاً

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: وروي عن الصادق عليه السلام:

تعصي الإله وأنت تظهر حبّه ... هذا لعمرك في الفعال بديع
لو كان حبّك صادقاً لأطعته ... إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع[3]

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٩٥.
٢. الأمالي: ص٥٧٨، مجلس:٧٤، رقم٥.
٣. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٩٥.

إذا تغيّب نجم

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: وروى سفيان الثوري له عليه السلام:

لا اليسر يطرقنا يوماً فيبطرنا ... ولا لازَمة الدهر نظهر الجزعا
إن سرّنا الدهر لم نبهج لصحّته ... أو ساءنا الدهر لم نظهر له الهلعا
مثل النجوم على مضمار أوّلنا ... إذا تغيّب نجم آخر طلعا[1]

اعمل على مهل

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: وروي له عليه السلام:

اعمل على مهل فإنّك ميّت ... واختر لنفسك أيّها الإنسانا
فكأنّما قد كان لم يك إذ مضى ... وكأنّما هو كائن قد كانا[2]

كنّا نجوماً

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: ويروى له عليه السلام:

كنّا نجوماً يُستضاء بنا ... وللبريّة نحن اليوم برهان
نحن البحار التي فيها لغائصكم ... درّ ثمين وياقوت ومرجان
مساكن القدس والفردوس مسكننا ... ونحن للقدس والفردوس خزّان
مَن شذّ عنّا فبرهوت مساكنه ... ومَن أتانا فجنّات وولدان[3]

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٩٦.
٢. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٩٦.
٣. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٩٦.

من وصاياه

وصيّته عليه السلام لعبد الله بن جندب

روى الحسن بن شعبة في تُحف العقول، قال: روي أنّه عليه السلام، قال:

يا عبد الله، لقد نصب إبليس حبائله في دار الغرور، فما يقصد فيها إلاّ أولياءنا، ولقد حلت الآخرة في أعينهم حتّى ما يريدون بها بدلاً:

ثمّ قال عليه السلام: آه آه! على قلوب حُشيت نوراً، وإنّما كانت الدنيا عندهم بمنزلة الشجاع الأرقم[1]، والعدوّ الأعجم، آنسوا بالله، واستوحشوا ممّا به استأنس المترفون، أولئك أوليائي حقّاً، وبهم تُكشف كلّ فتنة، وتُرفع كلّ بليّة.

يا ابن جندب، حقّ على كلّ مسلم يعرفنا أن يُعرض عمله في كلّ يوم وليلة لنفسه، فيكون محاسب نفسه، فإن رأى حسنة؛ استزاد منها، وإن رأى سيئة؛ استغفر منها، لئلا يخزى يوم القيامة.

طوبى لعبد لم يغبط الخاطئين على ما أُوتوا من نعيم الدنيا، وزهرتها!

طوبى لعبد طلب الآخرة وسعى لها!

طوبى لمن لم تُلهه الأماني الكاذبة!

ثمّ قال عليه السلام: رحم الله قوماً كانوا سراجاً ومناراً، كانوا دعاةً إلينا بأعمالهم، ومجهود طاقتهم، وليس كمن يذيع أسرارنا.

يا ابن جندب، إنّما المؤمنين الذين يخافون الله، ويشفقون أن يُسلبوا ما أُعطوا من الهدى، فإذا ذكروا الله، ونعماءه؛ وجلوا، وأشفقوا، وإذا تُليت عليهم آياته؛ زادتهم إيماناً ممّا أظهره من نفاذ قدرته، وعلى ربّهم يتوكّلون.

---

١. الشجاع الأرقم: الحيّة العظيمة.

يا ابن جندب، قديما عمّر الجهل، وقوي أساسه؛ وذلك لا تّخاذهم ديـن الله لعباً، حتّى لقد كان المتقرّب منهم إلى الله بعمله يُريد سواه؛ أولئك هم الظالمون.

يا ابن جندب، لو أنّ شيعتنا استقاموا؛ لصافحتهم الملائكة، ولأظلّهم الغمـام، ولأشرقوا نهاراً، ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولما سـألوا الله شـيئاً إلاّ أعطاهم.

يا ابن جندب، لا تقل في المذنبين من أهل دعوتكم إلاّ خيراً، واستكينوا إلى الله في توفيقهم، وسلوا التوبة لهم، فكلّ من قصدنا وتوالانا، ولـم يـوال عـدونا، وقال ما يعلم، وسكت عمّا لا يعلم، أو أشكل عليه؛ فهو في الجنّة.

يا ابن جندب، يهلك المتّكل على عمله، ولا ينجـو المجتـرئ علـى الـذنب، الواثق برحمة الله.

قلت ـ ابن جندب ـ : فمن ينجوا!؟

قال عليه السلام: الذين هم بين الرجاء والخوف، كأنّ قلوبهم في مخلب طائر؛ شـوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العذاب.

يا ابن جندب، من سرّه أن يزوّجه الله الحور العين، ويُتوجه بالنور؛ فليُـدخل على أخيه المؤمن السرور.

يا ابن جندب، أقِلّ النوم بالليل، والكلام بالنهار. فما في الجـسد شـيء أقـلّ شكراً من العين واللسان، فإنّ أمّ سليمان قالت لسليمان عليه السلام: يا بنيّ، إيّاك والنوم؛ فإنّه يُفقرك يوم يحتاج الناس إلى أعمالهم.

يا ابن جندب، إنّ للشيطان مصائد يصطاد بها، فتحاموا شباكه، ومصائده.

قلت ـ ابن جندب ـ : يا بن رسول الله، وما هي!؟

قال عليه السلام: أمّا مصائده: فصدّ عن برّ الإخـوان. وأمّـا شـباكه: فنـوم عـن قـضاء الصلوات التي فرضها الله. أما إنّه ما يعبد الله بمثل نقل الأقدام إلى بـرّ الإخـوان،

وزيارتهم. ويل للساهين عن الصلوات. النائمين في الخلوات. المستهزئين بالله وآياته في الفترات. أولئك الذين لا خلاق لهم في الآخرة، ولا يكلّمهم الله يوم القيامة، ولا يُزكّيهم، ولهم عذاب أليم!

يا ابن جندب، من أصبح مهموماً لسوى فكاك رقبته؛ فقد هوّن عليه الجليل، ورغب من ربّه في الربح الحقير. ومن غشّ أخاه، وحقّره، وناواه؛ جعل الله النار مأواه. ومن حسد مؤمناً؛ إنماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء.

يا ابن جندب، الماشي في حاجة أخيه كالساعي بين الصفا والمروة، وقاضي حاجته كالمتشحّط بدمه في سبيل الله يوم بدر وأحد، وما عذّب الله أُمّة إلاّ عند استهانتهم بحقوق فقراء إخوانهم.

يا ابن جندب، بلّغ معاشر شيعتنا، وقل لهم: لا تذهبنّ بكم المذاهب. فو الله، لا تنال ولا يتنا إلاّ بالورع، والإجتهاد في الدنيا، ومواساة الإخوان في الله، وليس من شيعتنا من يظلم الناس.

يا ابن جندب، إنّما يعرفون شيعتنا بخصال شتّى؛ بالسخاء، والبذل للإخوان، وبأن يُصلّوا الخمسين ليلاً ونهاراً. شيعتنا لا يهرّون هرير الكلب، ولا يطمعون طمع الغراب، ولا يجاورون لنا عدواً، ولا يسألون لنا مبغضاً ولو ماتوا جوعاً. شيعتنا لا يأكلون الجرّي، ولا يمسحون على الخفّين، ويحافظون على الزوال، ولا يشربون مسكراً.

قلت ـ ابن جندب ـ : جعلت فداك فأين أطلبهم!؟

قال عليه السلام: على رؤوس الجبال، وأطراف المدن، وإذا دخلت مدينة؛ فسل عمّن لا يجاورهم ولا يجاورونه، فذلك مؤمن، كما قال الله: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ

﴿رَجُلٌ يَسْعَى﴾[1]. والله، لقد كان حبيب النجّار وحده.

يا ابن جندب، كلّ الذنوب مغفورة سوى عقوق أهل دعوتك، وكلّ البرّ مقبول إلاّ ما كان رئاءً.

يا ابن جندب، أحبب في الله، واستمسك بالعروة الوثقى، واعتصم بالهدى؛ يُقبل عملك، فإن الله يقول: ﴿لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[2]. فلا يقبل إلاّ الإيمان، ولا إيمان إلاّ بعمل، ولا عمل إلاّ باليقين، ولا يقين إلاّ بالخشوع، وملاكها كلّها الهدى، فمن اهتدى يُقبل عمله، وصعد إلى الملكوت متقبّلاً ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3].

يا ابن جندب، إن أحببت أن تجاور الجليل في داره، وتسكن الفردوس في جواره، فلتهن عليك الدنيا، واجعل الموت نصب عينك، ولا تدّخر شيئاً لغد، واعلم أنّ لك ما قدّمت، وعليك ما أخرّت.

يا ابن جندب، من حرم نفسه كسبه؛ فإنّما يجمع لغيره، ومَن أطاع هواه؛ فقد أطاع عدّوه، ومن يثق بالله؛ يُكفه ما أهمّه من أمر دنياه وآخرته، ويحفظ له ما غاب عنه. وقد عجز مَن لم يعدّ لكلّ بلاء صبراً، ولكلّ نعمة شكراً، ولكلّ عسر يسراً. صبّر نفسك عند كلّ بلية في ولد، أو مال، أو رزيّة؛ فإنّما يقبض عاريته، ويأخذ هبته؛ ليبلو فيهما صبرك، وشكرك.

وارج الله رجاءً لا يُجريك على معصيته، وخفه خوفاً لا يؤيسك من رحمته، ولا تغتر بقول الجاهل، ولا بمدحه؛ فتكبر، وتجبر، وتعجب بعملك، فإنّ أفضل العمل العبادة والتواضع، فلا تضيّع مالك، وتصلح مال غيرك ما خلفته وراء

---

١. سورة يس، الآية: ٢٠.

٢. سورة طه، الآية: ٨٢.

٣. سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

ظهرك، واقنع بما قسمه الله لك، ولا تنظر إلاّ إلى ما عندك، ولا تتمنّ ما لست تناله، فإنّ من قنع؛ شبع، ومن لم يقنع؛ لم يشبع. وخذ حظّك من آخرتك.

ولا تكن بطراً في الغنى، ولا جزعاً في الفقر، ولا تكن فظّاً غليظاً يكره الناس قربك، ولا تكن واهناً يحقرك من عرفك، ولا تشار ـ أيّ، لا تخاصم ـ من فوقك، ولا تسخر بمن هو دونك، ولا تنازع الأمر أهله، ولا تطع السفهاء، ولا تكن مهيناً تحت كلّ أحد، ولا تتكلنّ على كفاية أحد، وقف عند كلّ أمر حتّى تعرف مدخله من مخرجه قبل أن تقع فيه؛ فتندم.

واجعل قلبك قريباً تُشاركه، واجعل عملك والداً تتبعه، واجعل نفسك عدوّاً تجاهده، وعارية تردّها، فإنّك قد جعلت طبيب نفسك، وعرفت آية الصّحة، وبيّن لك الدّاء، ودُللت على الدواء، فانظر قيامك على نفسك، وإن كانت لك يد عند إنسان فلا تُفسدها بكثرة المنن والذكر لها، ولكن اتبعها بأفضل منها، فإنّ ذلك أجمل بك في أخلاقك، وأوجب للثواب في آخرتك. وعليك بالصمت؛ تُعدّ حليماً ـ جاهلاً كنت أو عالماً ـ فإنّ الصمت زين لك عند العلماء، وستر لك عند الجهّال.

يا ابن جندب، إنّ عيسى بن مريمعليها السلام قال لأصحابه: أرأيتم لو أنّ أحدكم مرّ بأخيه فرأى ثوبه قد انكشف عن بعض عورته؛ أكان كاشفاً عنها كلّها أم يردّ عليها ما انكشف منها؟

قالوا: بل نردّ عليها.

قالعليه السلام: كلاّ، بل تكشفون عنها كلّها ـ فعرفوا أنّه مثل ضربه لهم ـ!

فقيل: يا روح الله، وكيف ذلك!؟

قالعليه السلام: الرجل منكم يطّلع على العورة من أخيه فلا يسترها.

بحقّ أقول لكم: إنّكم لا تصيبون ما تريدون إلاّ بترك ما تشتهون، ولا تنالون

ما تأملون إلاّ بالصبر على ما تكرهون. إيّاكم والنظرة! فإنّها تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة، طوبى لمن جعل بصره في قلبه، ولم يجعل بصره في عينه. لا تنظروا في عيوب الناس كالأرباب، وانظروا في عيوبهم كهيئة العبيد، إنّما الناس رجلان: مبتلى. ومعافي. فارحموا المبتلى، واحمدوا الله على العافية.

يا ابن جندب، صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأحسن إلى من أساء إليك، وسلّم على من سبّك، وانصف من خاصمك، واعف عمّن ظلمك كما إنّك تُحبّ أن يعفى عنك، فاعتبر بعفو الله عنك، ألا ترى أنّ شمسه أشرقت على الأبرار والفجّار، وأنّ مطره ينزل على الصالحين والخاطئين.

يا ابن جندب، لا تتصدّق على أعين الناس؛ ليزكّوك، فإنّك إن فعلت ذلك؛ فقد استوفيت أجرك، ولكن إذا أعطيت بيمينك فلا تُطلع عليها شمالك، فإنّ الذي تتصدّق له، يُجزيك علانية على رؤوس الأشهاد في اليوم الذي لا يضرّك أن لا يطّلع الناس على صدقتك. واخفض الصوت إنّ ربّك الذي يعلم ما تسرّون وما تعلنون، وقد علم ما تريدون قبل أن تسألوه. وإذا صمت؛ فلا تغتب أحداً، ولا تلبسوا صيامكم بظلم، ولا تكن كالذي يصوم رئاء الناس، مُغبرّة وجوههم، شعثة رؤوسهم، يابسة أفواههم؛ لكي يعلم الناس أنّهم صيام.

يا ابن جندب، الخير كلّه أمامك، وإنّ الشرّ كله أمامك، ولن ترى الخير والشرّ إلاّ بعد الآخرة، لأنّ الله عزّ وجلّ جعل الخير كلّه في الجنّة، والشرّ كلّه في النار، لأنهم الباقيان، والواجب على من وهب الله الهدى، وأكرمه بالإيمان، وألهمه رشده، وركب فيه عقلاً يتعرّف به نعمه، وآتاه علماً، وحكماً يُدبّر به أمر دينه ودنياه؛ أن يوجب على نفسه أن يشكر الله، ولا يكفره، وأن يذكر الله، ولا ينساه، وأن يطيع الله، ولا يعصيه، للقديم الذي تفرّد له بحسن النظر، وللحديث الذي أنعم عليه

بعد إذ أنشأه مخلوقاً، وللجزيل الذي وعده، والفضل الذي لم يُكلّفه من طاعته فوق طاقته، وما يعجز عن القيام به، وضمن له العون على تيسير ما حمله من ذلك، وندبه إلى الإستعانة على قليل ما كلّفه وهو معرض عمّا أمره، وعاجز عنه؛ قد لبس ثوب الإستهانة فيما بينه وبين ربّه، متقلّداً لهواه، ماضياً في شهواته، مؤثراً لدنياه على آخرته، وهو في ذلك يتمنّى جنان الفردوس، وما ينبغي لأحد أن ينزل بعمل الفجّار منازل الأبرار. أما إنّه لو وقعت الواقعة، وقامت القيامة، وجاءت الطامّة، ونصب الجبّار الموازين لفصل القضاء، وبرّز الخلائق ليوم الحساب؛ أيقنت عند ذلك لمن تكون الرفعة والكرامة، وبمن تحلّ الحسرة والندامة، فاعمل اليوم في الدنيا بما ترجو به الفوز في الآخرة.

يا ابن جندب، قال الله عَزَّ وَجَلَّ في بعض ما أوحى: «إنّما اقبل الصلاة ممّن يتواضع لعظمتي، ويكفّ نفسه عن الشهوات من أجلي، ويقطع نهاره بذكري، ولا يتعظّم على خلقي، ويُطعم الجائع، ويكسو العاري، ويرحم المصاب، ويؤوي الغريب، فذلك يشرق نوره مثل الشمس. أجعل له في الظلمة نوراً، وفي الجهالة حلماً، أكلأه بعزّتي، واستحفظه ملائكتي. يدعوني؛ فأُلبيه، ويسألني؛ فأُعطيه. فمثل ذلك العبد عندي كمثل جنّات الفردوس؛ لا يسبق أثمارها، ولا تتغيّر عن حالها».

يا ابن جندب، الإسلام عُريان؛ فلباسه الحياء، وزينته الوقار، ومروءته العمل الصالح، وعماده الورع. ولكلّ شيء أساس، وأساس الإسلام حُبّنا أهل البيت.

يا ابن جندب، إنّ لله تبارك وتعالى سوراً من نور، محفوفاً بالزبرجد والحرير، منجّداً بالسندس والديباج، يضرب هذا السور بين أوليائنا وبين أعدائنا، فإذا غلى الدماغ، وبلغت القلوب الحناجر، ونضجت الأكباد من طول الموقف؛ أُدخل في هذا السور أولياء الله، فكانوا في أمن الله وحرزه، لهم فيها ما تشتهي الأنفس

وتلذّ الأعين.

وأعداء الله قد ألجمهم العرق، وقطعهم الفرق وهم ينظرون إلى ما أعدّ الله لهم، فيقولون: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾[1]، فينظر إليهم أولياء الله؛ فيضحكون منهم، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾[3]، و﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾[4]، فلا يبقى أحد ممّن أعان مؤمناً من أوليائنا بكلمة إلاّ أدخله الله الجنّة بغير حساب.[5]

وصيته عليه السلام لمؤمن الطاق

روى ابن شعبة في تُحف العقول، قال: قال أبو جعفر ـ محمد بن النعمان الأحول، مؤمن الطاق ـ : قال لي الصادق عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ عيّر أقواماً في القرآن بالإذاعة.

فقلت له عليه السلام: جُعلت فداك، أين قال!؟

قال عليه السلام: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾[6].

ثمّ قال عليه السلام: المذيع علينا سرّنا كالشّاهر بسيفه علينا. رحم الله عبداً سمع بمكنون علمنا فدفنه تحت قدميه. والله، إنّي لأعلم بشراركم من البيطار بالدوابّ؛ شراركم الذين لا يقرؤون القرآن إلاّ هجراً، ولا يأتون الصلاة إلاّ دبراً، ولا يحفظون ألسنتهم.

---

١. سورة ص، الآية: ٦٢.

٢. سورة ص، الآية: ٦٣.

٣. سورة المطففين، الآية: ٣٤.

٤. سورة المطففين، الآية: ٢٣.

٥. تُحف العقول: ص٣٠١.

٦. سورة النساء، الآية: ٨٣.

اعلم؛ إنّ الحسن بن علي عليه السلام لمّا طُعن، واختلف الناس عليه، سلّم الأمر[1] لمعاوية؛ فسلّمت عليه الشيعة: «عليك السلام يا مُذلَ المؤمنين». فقال عليه السلام: ما أنا بمذلّ المؤمنين، ولكنّي مُعزّ المؤمنين؛ إنّي لمّا رأيتكم ليس بكم عليهم قوّة؛ سلّمت الأمر؛ لأبقى أنا وأنتم بين أظهرهم كما عاب العالم السّفينة؛ لتبقى لأصحابها، وكذلك نفسي وأنتم؛ لنبقى بينهم.

يا بن النعمان، إنّي لأُحدّث الرجل منكم بحديث، فيتحدّث به عنّي؛ فأستحلّ بذلك لعنته، والبراءة منه. فإنّ أبي عليه السلام كان يقول: وأيّ شيء أقرّ للعين من التقيّة!؟ إنّ التقيّة جُنّة المؤمن ـ لأنّ بها يحفظ أساس الإسلام، وأُصوله ـ ولولا التقيّة ما عُبد الله، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[2].

يا بن النعمان، إيّاك والمراء؛ فإنّه يُحبط عملك. وإيّاك والجدال؛ فإنّه يُوبقك. وإيّاك وكثرة الخصومات؛ فإنّها تُبعدك من الله.

ثمّ قال عليه السلام: إنّ من كان قبلكم كانوا يتعلّمون الصمت، وأنتم تتعلّمون الكلام! كان أحدهم إذا أراد التعبّد يتعلّم الصمت قبل ذلك بعشر سنين، فإن كان يُحسنه، ويصبر عليه؛ تعبّد، وإلا قال: ما أنا لما أروم بأهل. إنّما ينجو من أطال الصمت عن الفحشاء، وصبر في دولة الباطل على الأذى، أولئك النجباء،

---

١. أقول: فلا يُتوهم قناعة الإمام عليه السلام بأهلية معاوية في تسنّم مقاليد أمور الدين والمسلمين، وإنّما هو فراغ ظرفي أحدثه إعتزال الإمام عليه السلام قد أمكن الفرصة لمعاوية في التفرّد بالحكم؛ ولم يكن ليحدث ذلك لولا أن رآى عليه السلام عدم إستساغة الناس لأي أمر من إحكام شريعة السماء؛ مصداقاً لما ورد من قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ۝ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾. سورة المؤمنون، الآية: ٧٠ـ٧١.
وقد بيّنا الأمر مفصّلاً في الجزء الخامس، فصل في صلح الإمام الحسن عليه السلام. فراجع.

٢. سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

الأصفياء، الأولياء حقّاً، وهم المؤمنون.

إنّ أبغضكم إليّ المتراسّون[1]، المشّاؤون بالنمائم، الحسدة لإخوانهم؛ ليسوا منّي ولا أنا منهم، إنّما أوليائي الذين سلّموا لأمرنا، واتّبعوا آثارنا، واقتدوا بنا في كلّ أمورنا.

ثمّ قال عليه السلام: والله، لو قدّم أحدكم ملأ الأرض ذهباً على الله ثمّ حسد مؤمناً؛ لكان ذلك الذهب ممّا يُكوى به في النار.

يا بن النعمان، إنّ المذيع ليس كقاتلنا بسيفه، بل هو أعظم وزراً! بل هو أعظم وزراً! بل هو أعظم وزراً!

يا بن النعمان، إنّه من روى علينا حديثاً؛ فهو ممّن قتلنا عمداً، ولم يقتلنا خطأً.

يا بن النعمان، إذا كان دولة الظلم؛ فامش، واستقبل من تتّقيه بالتحيّة، فإنّ المعترض للدولة؛ قاتل نفسه، وموبقها، إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[2].

يا بن النعمان، إنّا أهل البيت لا يزال الشيطان يُدخل فينا من ليس منّا، ولا من أهل ديننا، فإذا رفعه ونظر إليه الناس، أمره الشيطان؛ فيكذّب علينا، وكلّما ذهب واحد جاء آخر.

يا بن النعمان، من سُئل عن علم، فقال: لا أدري؛ فقد ناصف العلم. والمؤمن يُحقد ما دام في مجلسه، فإذا قام ذهب عنه الحقد.

يا بن النعمان، إنّ العالم لا يقدر أن يُخبرك بكلّ ما يعلم به؛ لأنّه سرّ الله الذي

---

١. المتراسّون: يعني، الذين يفشون السر، وينشرون الخبر.

٢. سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

أسرّه إلى جبرئيل عليه السلام، وأسرّه جبرئيل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله، وأسرّه محمد صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام، وأسرّه علي عليه السلام إلى الحسن عليه السلام، وأسرّه الحسن عليه السلام إلى الحسين عليه السلام، وأسرّه الحسين عليه السلام إلى علي عليه السلام، وأسرّه علي عليه السلام إلى محمد عليه السلام، وأسرّه محمد عليه السلام إلى من أسرّه. فلا تعجلوا؛ فوالله، لقد قرب هذا الأمر ثلاث مرّات، فأذعتموه؛ فأخّره الله. والله، ما لكم سرّ إلاّ وعدوكم أعلم به منكم!!

يا بن النعمان، ابق على نفسك! فقد عصيتني، لا تذع سرّي؛ فإنّ المغيرة بن سعيد كذب على أبي، وأذاع سرّه؛ فأذاقه الله حرّ الحديد، وإنّ أبا الخطّاب كذب عليّ، وأذاع سرّي؛ فأذاقه الله حرّ الحديد.

ومَن كتم أمرنا؛ زيّنه الله به في الدنيا والآخرة، وأعطاه حظّه، ووقاه حرّ الحديد، وضيق المحابس.

إنّ بني إسرائيل قحطوا حتّى هلكت المواشي والنسل، فدعا الله موسى بن عمران عليهما السلام، فقال ـ الله عز وجل ـ : يا موسى، إنّهم أظهروا الزنا، والربا، وعمروا الكنائس، وأضاعوا الزكاة. فقال ـ موسى عليه السلام: إلهي، تحنّن برحمتك عليهم، فإنّهم لا يعقلون. فأوحى الله إليه: إنّي مرسل قطر السماء، ومختبرهم بعد أربعين يوماً. فأذاعوا ذلك، وأفشوه؛ فحُبس عنهم القطر أربعين سنة. وأنتم قد قرب أمركم؛ فأذعتموه في مجالسكم.

يا أبا جعفر ـ كناية ابن النعمان ـ ، مالكم وللنّاس!؟ كفّوا عن النّاس، ولا تدعوا أحداً إلى هذا الأمر. فوالله، لو أنّ أهل السماوات والأرض اجتمعوا على أن يضلّوا عبداً يُريد الله هداه؛ ما استطاعوا أن يضلّوه. كفّوا عن الناس، ولا يقل أحدكم: أخي، وعمّي، وجاري؛ فإنّ الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً؛ طيّب روحه، فلا يسمع معروفاً إلاّ عرفه، ولا منكراً إلاّ أنكره، ثمّ قذف الله في قلبه كلمة؛ يجمع بها أمره.

يا ابن النعمان، إن أردت أن يصفو لك ودّ أخيك؛ فلا تمازحنّه، ولا تمارينّه، ولا تباهينّه، ولا تشارنّه ـ أي، لا تخاصمنّه ـ ولا تُطلع صديقك من سرّك إلا على ما لو اطّلع عليه عدوك لم يضرّك؛ فإنّ الصديق قد يكون عدوك يوماً.

يا بن النعمان، لا يكون العبد مؤمناً حتّى يكون فيه ثلاث سنن: سنّة من الله، وسنّة من رسوله، وسنّة من الإمام. فأمّا السنّة من الله عزّ وجلّ؛ فهو أن يكون كتوماً للأسرار، يقول الله جل ذكره: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾[1]. وأمّا التي من رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فهو أن يداري الناس، ويُعاملهم بالأخلاق الحنيفيّة. وأمّا التي من الإمام؛ فالصبر في البأساء والضرّاء حتّى يأتيه الله بالفرج.

يا بن النعمان، ليست البلاغة بحدّة اللسان، ولا بكثرة الهذيان، ولكنّها إصابة المعنى، وقصد الحجّة.

يا بن النعمان، من قعد إلى سابّ أولياء الله؛ فقد عصى الله، ومن كظم غيظاً فينا لا يقدر على إمضائه؛ كان معنا في السنام الأعلى، ومن استفتح نهاره بإذاعة سرّنا؛ سلّط الله عليه حرّ الحديد، وضيق المحابس.

يا بن النعمان، لا تطلب العلم لثلاث: لتُرائي به، ولا لتُباهي به، ولا لتُماري، ولا تدعه لثلاث: رغبة في الجهل، وزهادة في العلم، واستحياء من الناس. والعلم المصون كالسراج المطبق عليه.

يا بن النعمان، إنّ الله عزّ وجلّ إذا أراد بعبد خيراً؛ نكت في قلبه نكتة بيضاء، فجال القلب يطلب الحقّ، ثمّ هو إلى أمركم أسرع من الطير إلى وكره.

يا بن النعمان، إنّ حبّنا ـ أهل البيت ـ يُنزله الله من السماء من خزائن تحت العرش كخزائن الذهب والفضّة، ولا يُنزله إلاّ بقدر، ولا يُعطيه إلاّ خير الخلق،

---

١. سورة الجنّ، الآية: ٢٦.

وإنّ له غمامة كغمامة القطر، فإذا أراد الله أن يخصّ به من أحبّ من خلقه أذن لتلك الغمامة فتهطّلت كما تهطّلت السحاب، فتصيب الجنين في بطن أُمّه.[١]

احتجاجه عليه السلام على الصوفيّة

روى الشيخ الكليني في الكافي، قال: عن علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، قال: دخل سفيان الثوري على أبي عبد الله عليه السلام، فرأى عليه ثياب بيض كأنّها غرقئ البيض[٢]، فقال له: إنّ هذا اللباس ليس من لباسك.

فقال عليه السلام له: إسمع منّي، وعِ ما أقول لك؛ فإنّه خير لك عاجلاً وآجلاً إن أنت مُتّ على السنّة والحقّ، ولم تمت على بدعة. أُخبرك: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان في زمان مُقفر[٣] جدب[٤]، فأمّا إذا أقبلت الدنيا؛ فأحقّ أهلها بها أبرارها لا فُجّارها، ومؤمنوها لا مُنافقوها، ومسلموها لا كفّارها.

فما أنكرت يا ثوري؛ فوالله، إنّني لمع ما ترى؛ ما أتى علي مُذ عقلت صباح ولا مساء ولله في مالي حقّ أمرني أن أضعه موضعاً إلا وضعته.

قال: فأتاه قوم ممّن يُظهرون الزهد، ويدعون الناس أن يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشّف[٥]، فقالوا له: إنّ صاحبنا حصر[٦] عن كلامك، ولم

---

١. تُحف العقول: ص٣٠٧.

٢. الغرقئ: القشرة الملتزقة ببياض البيض. لسان العرب لابن منظور: ج١٠ ص٢٨٦ «مادّة غرق».

٣. القفر: خلو الأرض من الماء.

٤. الجدب: انقطاع المطر، ويبس الأرض.

٥. التقشّف: قذر الجلد ورثاثة الهيئة وسوء الحال وترك النظافة والترفة.

٦. الحصر: العى في المنطق والعجز عن الكلام

تحضره حججه.

فقال لهم: فهاتوا حججكم. فقالوا له: إنّ حُججنا من كتاب الله.

فقال لهم: فأدلوا[١] بها، فإنّها أحقّ ما اتّبع، وعُمل به.

فقالوا: يقول الله تبارك وتعالى مُخبراً عن قوم من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢]. فمدح فعلهم، وقال في موضع آخر: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٣]. فنحن نكتفي بهذا.

فقال رجل من الجُلساء: إنّا رأيناكم تُزهّدون في الأطعمة الطيّبة، ومع ذلك تأمرون الناس بالخروج من أموالهم حتّى تمتّعوا أنتم منها!؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: دعوا عنكم ما لا تنتفعون به؛ أخبروني أيّها النفر! ألكم علم بناسخ القرآن من منسوخه، ومحكمه من متشابهه الذي في مثله ضلّ مَن ضلّ، وهلك مَن هلك من هذه الأُمّة؟

فقالوا له: أو بعضه، فأمّا كلّه؛ فلا.

فقال لهم: فمن هنا أُتيتم[٤]. وكذلك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله[٥]. فأمّا ما ذكرتم من إخبار الله عزّ وجلّ إيّانا في كتابه عن القوم الذين أخبر عنهم بحسن فعالهم؛ فقد كان مباحا جائزاً، ولم يكونوا نهوا عنه، وثوابهم منه على الله عزّ وجلّ؛ وذلك أنّ الله جلّ

---

١. الإدلاء بالشيء: إحضاره. أي، احضروها.

٢. سورة الحشر، الآية: ٩.

٣. سورة الدهر، الآية: ٨.

٤. أُتيتم ـ بالبناء للمفعول ـ : أي، دخل عليكم البلاء وأصابكم ما أصابكم.

٥. أي، فيها أيضاً ناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه؛ وأنتم لا تعرفونها.

وتقدّس أمر بخلاف ما عملوا به؛ فصار أمره ناسخاً لفعلهم، وكان نهي الله تبارك وتعالى رحمة منه للمؤمنين، ونظراً؛ لكيلا يضرّوا بأنفسهم، وعيالاتهم منهم الضعفة الصغار، والولدان، والشيخ الفاني، والعجوز الكبيرة الذين لا يصبرون على الجوع، فإن تصدّقت برغيفي ولا رغيف لي غيره؛ ضاعوا، وهلكوا جوعاً. فمن ثمّ قال رسول الله ﷺ: خمس تمرات أو خمس قرص أو دنانير أو دراهم يملكها الإنسان وهو يُريد أن يُمضيها، فأفضلها ما أنفقه الإنسان على والديه، ثمّ الثانية على نفسه وعياله، ثمّ الثالثة على قرابته الفقراء، ثمّ الرابعة على جيرانه الفقراء، ثمّ الخامسة في سبيل الله؛ وهو أحسنها أجراً. وقال رسول الله ﷺ للأنصاري حين أعتق عند موته خمسة أو ستّة من الرقيق، ولم يكن يملك غيرهم، وله أولاد صغار: لو أعلمتموني أمره؛ ما تركتكم تدفنوه مع المسلمين؛ يترك صبية صغاراً يتكفّفون الناس.

ثمّ قال: حدّثني أبي: إنّ رسول الله ﷺ، قال: ابدأ بمن تعول، الأدنى فالأدنى. ثمّ هذا ما نطق به الكتاب ردّاً لقولكم، ونهياً عنه مفروضاً من الله العزيز الحكيم، قال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[1]. أفلا ترون أنّ الله تبارك وتعالى قال غير ما أراكم تدعون الناس إليه من الإثرة على أنفسهم، وسمّى من فعل ما تدعون الناس إليه «مُسرفاً» وفي غير آية من كتاب الله يقول: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[2]. فنهاهم عن الإسراف، ونهاهم عن التقتير، ولكن أمر بين أمرين؛ لا يُعطي جميع ما عنده، ثمّ يدعو الله أن يرزقه، فلا يستجيب له، للحديث الذي جاء عن النبي ﷺ: إنّ أصنافاً من أُمّتي لا يُستجاب لهم دعاؤهم:

---

١. سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

٢. سورة الأنعام، الآية: ١٤١. وسورة الأعراف، الآية: ٣١.

رجل يدعو على والديه. ورجل يدعو على غريم ذهب له بمال، فلم يكتب عليه، ولم يُشهد عليه. ورجل يدعو على امرأته، وقد جعل الله عزّ وجلّ تخلية سبيلها بيده. ورجل يقعد في بيته ويقول: ربّ، ارزقني. ولا يخرج، ولا يطلب الرزق؛ فيقول الله عزّ وجلّ له: عبدي! ألم أجعل لك السبيل إلى الطلب، والضرب في الأرض بجوارح صحيحة، فتكون قد اعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لاتّباع أمري، ولكيلا تكون كلاً على أهلك، فإن شئت رزقتك، وإن شئت قترت عليك، وأنت غير معذور عندي. ورجل رزقه الله مالاً كثيراً، فأنفقه، ثمّ أقبل يدعو: يا ربّ، ارزقني. فيقول الله عزّ وجلّ: ألم أرزقك رزقاً واسعاً، فهلا اقتصدت فيه كما أمرتك، ولم تُسرف، وقد نهيتك عن الإسراف. ورجل يدعو في قطيعة رحم.

ثمّ علّم الله عزّ وجلّ نبيّه صلى الله عليه وآله كيف يُنفق، وذلك أنّه كانت عنده أوقيّة من الذهب، فكره أن يبيت عنده؛ فتصدّق بها؛ فأصبح وليس عنده شئ، وجاءه من يسأله، فلم يكن عنده ما يُعطيه، فلامه السائل، واغتمّ هو حيث لم يكن عنده ما يُعطيه، وكان رحيماً، رقيقاً؛ فأدّب الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله بأمره، فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[1]. يقول: إنّ الناس قد يسألونك ولا يعذرونك، فإذا أعطيت جميع ما عندك من المال؛ كنت قد حسرت من المال.

فهذه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله يصدقها الكتاب، والكتاب يصدقه أهله من المؤمنين. وقال أبو بكر عند موته حيث قيل له: أوص. فقال: أُوصي بالخمس، والخمس كثير، فإنّ الله تعالى قد رضي بالخمس، فأوصى بالخمس، وقد جعل الله عزّ وجلّ له الثلث عند موته، ولو علم أنّ الثلث خير له؛ أوصى به، ثمّ مَن قد

---

١. سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

علمتم بعده في فضله وزهده[١] سلمان وأبو ذر؛ فأمّا سلمان: فكان إذا أخذ عطائه، رفع منه قوته لسنته حتّى يحضر عطاؤه من قابل. فقيل له: يا أبا عبد الله، أنت في زُهدك تصنع هذا، وأنت لا تدري لعلّك تموت اليوم أو غداً. فكان جوابه أن قال: مالكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم علي الفناء!؟ أما علمتم يا جهلة! إنّ النفس قد تلتاث[٢] على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما يعتمد عليه، فإذا هي أحرزت معيشتها؛ اطمأنّت.

وأمّا أبو ذر: فكانت له نويقات[٣] وشويهات[٤] يحلبها، ويذبح منها إذا اشتهى أهله اللحم، أو نزل به ضيف، أو رأى بأهل الماء الذين هم معه خصاصة؛ نحر لهم الجزور، أو من الشياه على قدر ما يذهب عنهم بقرم[٥] اللحم، فيُقسمه بينهم، ويأخذ هو كنصيب واحد منهم، لا يتفضّل عليهم. ومن أزهد من هؤلاء وقد قال فيهم رسول اللهﷺ ما قال، ولم يبلغ من أمرهما أن صارا لا يملكان[٦] شيئاً البتة كما تأمرون الناس بإلقاء أمتعتهم وشيئهم ويؤثرون به على أنفسهم وعيالاتهم.

واعلموا أيّها النفر! إنّي سمعت أبي يروي عن آبائه عليهم السلام: إنّ رسول اللهﷺ قال يوماً: ما عجبت من شئ كعجبي من المؤمن! إنّه إن قرّض جسده في دار الدنيا بالمقاريض؛ كان خيراً له، وإن ملك ما بين مشارق الأرض ومغاربها؛ كان خيراً

---

١. إنّما عنى عليه السلام ماكانوا يرونه فيه، فكان منه عليه السلام أن حدّثهم بما تستأنس له نفوسهم.

٢. تلتاث: أي، تبطئ وتحتبس عن الطاعات، وتسترخي، وتستضعف. قال الفيروزآبادي: اللوث: القوّة، والستر، والبطء في الأمر. راجع القاموس المحيط: ج١ ص١٧٣«مادّة اللوث».

٣. نويقات: جمع «نويقة» مصغّر ناقة.

٤. شويهات: جمع شويهة. مصغّر شاة.

٥. القرم ـ مُحركة ـ: شدّة شهوة اللحم.

٦. في التثنية دلالة على ما نوهنا إليه تحت هامش عبارة «فضله وزهده» المتقدّمة، فراجع.

له، وكلّ ما يصنع الله عزّ وجلّ به؛ فهو خير له. فليت شعري، هل يحيق فيكم ما قد شرحت لكم منذ اليوم، أم أزيدكم!؟

أما علمتم أنّ الله عزّ وجلّ قد فرض على المؤمنين في أوّل الأمر أن يُقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين، ليس له أن يولّي وجهه عنهم، ومن ولاهم يومئذ دبره؛ فقد تبوء مقعده من النار، ثمّ حولهم عن حالهم؛ رحمة منه لهم؛ فصار الرجل منهم عليه أن يُقاتل رجلين من المشركين؛ تخفيفاً من الله عزّ وجلّ للمؤمنين؛ فنسخ الرجلان العشرة.

وأخبروني أيضاً عن القضاة: أجورة[1] هم حيث يقضون على الرجل منكم نفقة امرأته إذا قال: إنّي زاهد، وإنّي لا شئ لي؟ فإن قلتم: جورة. ظلمكم أهل الإسلام، وإن قلتم: بل عدول. خصمتم أنفسكم.

وحيث تردّون صدقة من تصدّق على المساكين عند الموت بأكثر من الثلث؛ أخبروني: لو كان الناس كلّهم كالذين تريدون؛ زُهّاداً لا حاجة لهم في متاع غيرهم، فعلى من كان يتصدّق بكفّارات الأيمان، والنذور، والصدقات من فرض الزكاة من الذهب، والفضّة، والتمر، والزبيب، وسائر ما وجب فيه الزكاة من الإبل، والبقر، والغنم، وغير ذلك. إذا كان الأمر كما تقولون؛ لا ينبغي لأحد أن يحبس شيئاً من عَرَض الدنيا إلا قدّمه وإن كان به خصاصة.

فبئسما ذهبتم إليه، وحملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله عزّ وجلّ، وسُنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، وأحاديثه التي يصدقها الكتاب المنزّل، وردّكم إياها بجهالتكم، وترككم النظر في غرائب القرآن من التفسير بالناسخ من المنسوخ، والمحكم والمتشابه،

---

١. جورة: جمع «جائر».

والأمر والنهي.

وأخبروني: أين أنتم عن سليمان بن داود عليهما السلام حيث سأل الله مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده. فأعطاه الله جلّ اسمه ذلك، وكان يقول الحقّ، ويعمل به، ثمّ لم نجد الله عزّ وجلّ عاب عليه ذلك، ولا أحداً من المؤمنين، وداود النبي عليه السلام قبله في ملكه، وشدّة سلطانه، ثمّ يوسف النبي عليه السلام حيث قال لملك مصر: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[1]. فكان من أمره الذي كان أن اختار مملكة الملك وما حولها إلى اليمن، وكانوا يمتارون الطعام من عنده لمجاعة أصابتهم، وكان يقول الحقّ، ويعمل به، فلم نجد أحداً عاب ذلك عليه، ثمّ ذو القرنين؛ عبد أحبّ الله، فأحبّه الله، وطوى له الأسباب، وملّكه مشارق الأرض ومغاربها، وكان يقول الحقّ، ويعمل به، ثمّ لم نجد أحداً عاب ذلك عليه.

فتأدّبوا أيّها النفر! بآداب الله عزّ وجلّ للمؤمنين، واقتصروا على أمر الله ونهيه، ودعوا عنكم ما اشتبه عليكم ممّا لا علم لكم به، وردّوا العلم إلى أهله؛ تؤجروا، وتعذروا عند الله تبارك وتعالى، وكونوا في طلب علم ناسخ القرآن من منسوخه، ومحكمه من متشابهه، وما أحلّ الله فيه ممّا حرّم؛ فإنّه أقرب لكم من الله، وأبعد لكم من الجهل، ودعوا الجهالة لأهلها؛ فإنّ أهل الجهل كثير، وأهل العلم قليل، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[2].[3]

---

١. سورة يوسف، الآية: ٥٥.

٢. سورة يوسف، الآية: ٧٦.

٣. الكافي: ج٥ ص٦٥، كتاب المعيشة، ح١.

معائش العباد

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: سأله عليه السلام سائل، فقال: كم جهات معائش العباد التي فيها الإكتساب أو التعامل بينهم، ووجوه النفقات؟

فقال عليه السلام: جميع المعائش كلّها من وجوه المعاملات فيما بينهم ممّا يكن لهم فيه المكاسب أربع جهات من المعاملات.

فقال له: أكل هؤلاء الأربعة الأجناس حلال، أو كلّها حرام، أو بعضها حلال وبعضها حرام؟

فقال عليه السلام: قد يكون في هؤلاء الأجناس الأربعة حلال من جهة، وحرام من جهة، وهذه الأجناس مسمّيات معروفات الجهات:

فأوّل هذه الجهات الأربعة: الولاية، وتولية بعضهم على بعض. فالأوّل ولاية الولاة، وولاة الولاة إلى أدناهم؛ باباً من أبواب الولاية على من هو وال عليه. ثمّ التجارة في جميع البيع والشراء بعضهم من بعض. ثمّ الصناعات في جميع صنوفها. ثمّ الإجارات. وكلّ هذه الصنوف تكون الصناعات في جميع صنوفها، ثمّ الإجارات في كلّ ما يحتاج إليه من الإجارات، وكلّ هذه الصنوف تكون حلالاً من جهة، وحراماً من جهة.

والفرض من الله على العباد في هذه المعاملات الدخول في جهات الحلال منها، والعمل بذلك الحلال، واجتناب جهات الحرام منها.

تفسير معنى الولايات

وهي جهتان: فإحدى الجهتين من الولاية: ولاية ولاة العدل الذين أمر الله بولايتهم، وتوليتهم على الناس، وولاية ولاته، وولاة ولاته إلى أدناهم؛ باباً من أبواب الولاية على من هو وال عليه.

والجهة الأُخرى من الولاية: ولاية ولاة الجور، وولاة ولاته إلى أدناهم؛ باباً

من الأبواب التي هو وال عليه.

فوجه الحلال من الولاية؛ ولاية الوالي العادل الذي أمر الله بمعرفته وولايتـه، والعمل له في ولايته، وولاية ولاته وولاة ولاته بجهة ما أمر الله به الوالي العـادل بلا زيادة فيما أنزل الله به ولا نقصان منه، ولا تحريف لقوله، ولا تعدّ لأمره إلـى غيره.

فإذا صار الوالي والي عدل بهذه الجهة، فالولاية له، والعمل معه، ومعونته في ولايته، وتقويته، حلال محلّل، وحلال الكسب معهم، وذلك أنّ في ولايـة والـي العدل وولاته إحياء كلّ حقّ وكلّ عدل، وإماتة كلّ ظلم، وجور، وفساد؛ فلذلك كان الساعي في تقوية سلطانه، والمعين له علـى ولايتـه سـاعياً إلـى طاعـة الله، مقوياً لدينه.

وأمّا وجه الحرام من الولاية؛ فولاية الـوالي الجـائر، وولايـة ولاتـه، الـرئيس منهم، وأتباع الوالي فمن دونه من ولاة الولاة إلى أدناهم؛ باباً من أبواب الولايـة على من هو وال عليه، والعمل لهم، والكسب معهم بجهـة الولايـة لهـم؛ حـرام مُحرّم، مُعذّب من فعل ذلك على قليل من فعله أو كثير؛ لأنّ كلّ شيء من جهـة المعونة معصية كبيرة من الكبائر.

وذلك أنّ في ولاية الوالي الجـائر دوس[1] الحـقّ كلّـه، وإحيـاء الباطـل كلّـه، وإظهار الظلم والجور والفساد، وإبطال الكتب، وقتل الأنبياء والمـؤمنين، وهـدم المساجد، وتبديل سنّة الله وشـرائعه، فلـذلك حـرّم العمـل معهـم، ومعـونتهم، والكسب معهم إلاّ بجهة الضرورة؛ نظير الضرورة إلى الدم والميتة.

وأمّا تفسير التجارات

---

١. داسه: أي وطأه برجله وتحت أقدامه.

في جميع البيوع ووجوه الحلال من وجه التجارات التي يجوز للبائع أن يبيع ممّا لا يجوز له، وكذلك المشتري الذي يجوز له شراؤه ممّا لا يجوز لـه، فكلّ مأمور به ممّا هو غذاء للعباد وقوامهم به في أمورهم في وجوه الصلاح الـذي لا يقيمهم غيره ممّا يأكلون، ويشربون، ويلبسون، وينكحون، ويملكون، ويستعملون من جهة ملكهم، ويجوز لهم الإستعمال له من جميع جهات المنافع التي لا يقيمهم غيرها من كلّ شيء يكون لهم فيه الصلاح من جهة من الجهات؛ فهذا كلّه حلال بيعه، وشراؤه، وإمساكه، واستعماله، وهبته، وعاريته.

وأمّا وجوه الحرام من البيع والشراء، وكلّ أمر يكون فيه الفساد ممّا هو منهي عنه من جهة أكله، وشربه، أو كسبه، أو نكاحه، أو إمساكه، أو هبته أو عاريته، أو شيء يكون فيه وجه من وجوه الفساد نظير البيع بالربا، لما في ذلك من الفساد، أو البيع للميتة، أو الدّم، أو لحم الخنزير، أو لحوم السباع من صنوف سباع الوحش أو الطير، أو جلودها، أو الخمر، أو شيء من وجوه النجس. فهذا كلّه حرام، ومُحرّم.

لأنّ ذلك كلّه منهي عنه أكله، وشربه، ولبسه، وملكه، وإمساكه، والتقلّب فيه بوجه من الوجوه لما فيه من الفساد، فجميع تقلّبه في ذلك حرام، وكذلك كل بيع ملهو به، ومنهي عنه ممّا يتقرّب به لغير الله، أو يقوى به الكفر والشرك من جميع وجوه المعاصي، أو باب من الأبواب يقوى به باب من أبواب الضلالة، أو باب من أبواب الباطل، أو باب يوهن به الحقّ، فهو حرام، مُحرّم؛ حرام بيعه، وشراؤه، وإمساكه، وملكه، وهبته، وعاريته، وجميع التقلّب فيه إلا في حال تدعو الضرورة فيه إلى ذلك.

وأمّا تفسير الإجارات

فإجارة الإنسان نفسه، أو ما يملك، أو ما يلي أمره من قرابته، أو دابّته، أو

ثوبه بوجه الحلال من جهات الإجارات أن يؤجّر نفسه، أو داره، أو أرضه، أو شيئاً يملكه فيما ينتفع به من وجوه المنافع، أو العمل بنفسه، وولده، ومملوكه، أو أجيره من غير أن يكون وكيلاً للوالي، أو والياً للوالي. فلا بأس أن يكون أجيراً يؤجّر نفسه، أو ولده، أو قرابته، أو ملكه، أو وكيله في إجارته؛ لأنّهم وكلاء الأجير من عنده ليس هم بولاة الوالي، نظير الحمّال الذي يحمل شيئاً بشيء معلوم إلى موضع معلوم، فيحمل ذلك الشيء الذي يجوز له حمله بنفسه، أو بملكه، أو دابّته، أو يؤجّر نفسه في عمل يعمل ذلك العمل بنفسه، أو بمملوكه، أو قرابته، أو بأجير من قبله.

فهذه وجوه من وجوه الإجارات حلال لمن كان من الناس مَلِكاً، أو سوقة، أو كافراً، أو مؤمناً؛ فحلال إجارته، وحلال كسبه من هذه الوجوه.

فأمّا وجوه الحرام من وجوه الإجارة؛ نظير أن يؤاجر نفسه على حمل ما يحرم عليه أكله أو شربه أو لبسه، أو يؤاجر نفسه في صنعة ذلك الشيء، أو حفظه أو لبسه، أو يؤاجر نفسه في هدم المساجد؛ ضراراً، أو قتل النفس بغير حلّ، أو حمل التصاوير والأصنام، والمزامير والبرابط، والخمر، والخنازير، والميتة، والدم، أو شيء من وجوه الفساد الذي كان محرّماً عليه من غير جهة الإجارة فيه، وكلّ أمر منهي عنه من جهة من الجهات؛ فمحرّم على الإنسان إجارة نفسه فيه أو له، أو شيء منه أو له إلاّ لمنفعة مَن استأجرته كالذي يستأجر الأجير يحمل له الميتة؛ ينجيها[1] عن أذاه أو أذى غيره، وما أشبه ذلك.

والفرق بين معنى الولاية والإجارة، وإن كان كلاهما يعملان بأجر: إنّ معنى الولاية: أن يلي الإنسان لوالي الولاة، أو لولاة الولاة، فيلي أمر غيره في التولية

١. كذا في الأصل، ولعلّ الصحيح: ينجيه عن أذاها، أو ينجيه عن أذاها غيره.

عليه، وتسليطه، وجواز أمره ونهيه، وقيامه مقام الوليّ إلى الرئيس، أو مقام وكلائه في أمره، وتوكيده في معونته، وتسديد ولايته، وإن كان أدناهم ولاية، فهو وال على مَن هو وال عليه، يجري مجرى الولاة الكبار الذي يلون ولاية الناس في قتلهم من قتلوا، واظهار الجور والفساد.

وأمّا معنى الإجارة: فعلى ما فسّرنا من إجارة الإنسان نفسه، أو ما يملكه من قبل أن يؤاجر الشيء من غيره فهو يملك يمينه؛ لأنّه لا يلي أمر نفسه، وأمر ما يملك قبل أن يؤاجره ممّن هو آجره. والوالي لا يملك من أمور الناس شيئاً بعد ما يلي أمورهم، ويملك توليتهم، وكلّ من آجر نفسه، أو آجر ما يملك نفسه، أو يلي أموره من كافر أو مؤمن أو مَلِك أو سوقة على ما فسّرنا ممّا تجوز الإجارة فيه؛ فحلال محلّل فعله، وكسبه.

وأمّا تفسير الصناعات

فكلّ ما يتعلّم العباد، أو يُعلّمون غيرهم من صنوف الصناعات مثل الكتابة والحساب، والتجارة، والصياغة، والسراجة، والبناء، والحياكة، والقصارة، والخياطة، وصنعة صنوف التصاوير ـ ما لم يكن مثل الروحاني ـ وأنواع صنوف الآلات التي يحتاج إليها العباد التي منها منافعهم وبها قوامهم، وفيها بلغة جميع حوائجهم؛ فحلال فعله، وتعليمه، والعمل به وفيه لنفسه أو لغيره، وإن كانت تلك الصناعة وتلك الآلة قد يُستعان بها على وجوه الفساد، ووجوه المعاصي، ويكون معونة على الحقّ والباطل، فلا بأس بصناعته وتعليمه، نظير الكتابة التي هي على وجه من وجوه الفساد من تقوية معنوية ولاة ولاة الجور.

وكذلك السكّين، والسيف، والرمح، والقوس، وغير ذلك من وجوه الآلة التي قد تصرف إلى جهات الصلاح، وجهات الفساد، وتكون آلة ومعونة عليهما، فلا بأس بتعليمه وتعلّمه، وأخذ الأجر عليه وفيه، والعمل به وفيه لمن كان له فيه

جهات الصلاح من جميع الخلائق، ومحرّم عليهم فيه تصريفه إلى جهات الفساد والمضارّ، فليس على العالم والمتعلّم إثم ولا وزر لما فيه من الرجحان في منافع جهات صلاحهم وقوامهم وبقائهم به، وإنّما الإثم والوزر على المتصرّف بها في وجوه الفساد، والحرام.

وذلك إنّما حرّم الله الصناعة التي حرام هي كلّها التي يجيء منها الفساد محضاً نظير البرابط، والمزامير، والشطرنج، وكلّ ملهوّ به، والصلبان، والأصنام، وما أشبه ذلك من صناعة الأشربة الحرام، وما يكون منه وفيه الفساد محضاً، ولا يكون فيه ولا منه شيء من وجوه الصلاح، فحرام تعليمه وتعلّمه، والعمل به، وأخذ الأجر عليه، وجميع التقلّب فيه من وجوه الحركات كلّها إلاّ أن تكون صناعة قد تنصرف إلى جهات الصنائع، وإن كان قد يتصرّف بها ويتناول بها وجه من وجوه المعاصي، فلعلّه لما فيه من الصلاح حلّ تعلّمه والعمل به، ويحرم على من صرفه إلى غير وجه الحقّ والصلاح.

فهذا تفسير بيان وجه اكتساب معائش العباد وتعليمهم في جميع وجوه اكتسابهم.

وجوه إخراج الأموال وإنفاقها

أمّا الوجوه التي فيها إخراج الأموال في جميع وجوه الحلال المفترض عليهم؛ وجوه النوافل كلّها، فأربعة وعشرون وجهاً: منها سبعة وجوه على خاصّة نفسه. وخمسة وجوه على من تلزمه نفسه. وثلاثة وجوه ممّا تلزمه فيها من وجوه الدّين. وخمسة وجوه ممّا تلزمه من وجوه الصّلات. وأربعة أوجه ممّا تلزمه فيها النفقة من وجوه اصطناع المعروف.

فأمّا الوجوه التي تلزمه فيها النفقة على خاصّة نفسه: فهي مطعمه، ومشربه، وملبسه، ومنكحه، ومخدمه، وعطاؤه فيما يحتاج إليه من الأُجراء على مرمّة

متاعه أوحمله أوحفظه، وشيء يحتاج إليه من نحو منزله، أو آلة من الآلات يستعين بها على حوائجه.

وأمّا الوجوه الخمس التي تجب عليه النفقة لمن تلزمه نفسه: فعلى ولده، ووالديه، وامرأته، ومملوكه. لازم له ذلك حال العسر واليسر.

وأمّا الوجوه الثلاثة المفروضة من وجوه الدّين: فالزكاة المفروضة الواجبة في كلّ عام، والحجّ المفروض، والجهاد في أبانه، وزمانه.

وأمّا الوجوه الخمس من وجوه الصّلات النوافل: فصلة من فوقه ـ النبي صلى الله عليه وآله، والإمام عليه السلام ـ وصلة القرابة، وصلة المؤمنين، والتنفّل من وجوه الصدقة، والبرّ، والعتق.

وأمّا الوجوه الأربع: فقضاء الدَّين، والعارية، والقرض، وإقراء الضيف؛ واجبات في السنّة.[1]

الأنفال والغنائم

روى الطوسي في تهذيب الأحكام، بسنده: عن زكريّا بن مالك الجعفي، عن أبي عبد الله ـ الصادق عليه السلام ـ ، إنّه سُئل عن قول الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[2].

فقال عليه السلام: أمّا خُمس الله عزّ وجلّ؛ فللرسول صلى الله عليه وآله، يضعه في سبيل الله. وأمّا خمس الرسول صلى الله عليه وآله؛ فلإقاربه. وخمس ذوي القربى؛ فهم أقرباؤه. واليتامى؛ يتامى أهل بيته عليهم السلام. فجعل هذه الأربعة؛ أربعة أسهم فيهم. وأمّا المساكين وابن السبيل، فقد

---

١. راجع تُحف العقول: ص ٣٣٠ـ٣٣٨.

٢. سورة الأنفال، الآية: ٤١.

عرفت أنّا لا نأكل الصدقة، ولا تحلّ لنا؛ فهي للمساكين، وأبناء السبيل.[١]

بحث حول الأنفال والغنائم

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ لِلّهِ وَالرَّسُولِ﴾[٢].

﴿الأَنفَالُ﴾: جمع نفل بـ«الفتح» وهو الزيادة على الشيء، ولـذا يطلـق «النفـل، والنافلة» على التطوع؛ لزيادته على الفريضة.

وتطلق الأنفال على ما يسمّى فيئاً أيضاً، وهي الأشياء من الأموال التي لا مالك لها من الناس كرؤوس الجبال، وبطون الأودية، والديار الخربة، والقرى التي أُبيد أهلها، وتركة من لا وارث له، وغير ذلك، كأنّها زيادة على ما ملكه النـاس، فلـم يملكها أحد، وهي لله ولرسوله صلى الله عليه وآله.

وهي تطلق أيضاً على غنائم الحرب، لأنّها زيادة على مـا كـان مقـصوداً مـن الحرب، فإنّ المقصود بالحرب، والغزو: الظفر على الأعـداء، واستئـصالهم. فـإذا غلبوا على الأعداء، وظفروا بهم؛ فقد حـصل المقـصود. والأمـوال التـي غنمهـا المقاتلون وأُسراء دار الحرب؛ زيادة على الغرض.

وقوله: ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ﴾[٣]. يعني، أصلحوا الحالة الفاسدة، والرابطة السيّئة التي حدثت بينكم.

وقد اختلف المفسّرون في معنى الآية، وموقعها اختلافاً شديداً لا ثمرة لبيـان التفاصيل وقد نُسب إلى أهل البيت عليهم السلام، وبعض آخر كعبد الله بن مسعود، وسعد بن أبي وقّاص، وطلحة بن مـصرف أنّهـم قـرأوا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ﴾. فقيـل:

---

١. تهذيب الأحكام: ج٤ ص١٢٥، باب تمييز أهل الخمس ومستحقّه، ح١.
٢. سورة الأنفال، الآية: ١.
٣. سورة الأنفال، الآية: ١.

«عن» زائدة في القراءة المشهورة. وقيل: بل مقدّرة في القراءة الشاذّة. وقيل: إنّ المراد بالأنفال: غنائم الحرب. وقيل: غنائم غزوة بدر خاصّة... وقيل: الفيء الذي لله والرسول والإمام. وقيل: إنّ الآية منسوخة بآية الخمس. وقيل: بل محكمة...

والذي ينبغي أن يُقال كما يعلم من السياق: إنّ الآية تدلّ على أنّه كان هناك شجار ونزاع بينهم على الأنفال والغنائم، وقد كان خاصم بعضهم بعضاً في ذلك، وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[1] أيضاً دالّ على أنّ التنازع والتخاصم كان في أمر الأنفال، فعلى هذا كان السؤال لقطع النزاع، وكأنّهم تخاصموا في أمر الأنفال والغنائم، ثمّ راجعوا رسول الله صلى الله عليه وآله، فسألوه عن أمرها وحكمها لينقطع بجوابه صلى الله عليه وآله النزاع والتخاصم.

وهذا يؤيّد القراءة المشهورة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾. فإنّ السؤال إذا تعدّى بـ«عن» كان بمعنى، الإستعطاف، ولا يناسب المقام إلاّ المعنى الأوّل.

والأنفال وإن كان بحسب المفهوم يعمّ الغنيمة والفيء جميعاً، إلاّ أنّ مورد الآية الكريمة هو الأنفال بمعنى غنائم الحرب عامّة، لا غنائم غزوة بدر خاصّة، إذ لا وجه للتخصيص، فإنّهم إذا تخاصموا في غنائم بدر لم يتخاصموا فيها لأنّها غنائم بدر فحسب، بل لأنها غنائم حرب مأخوذة من أعداء الدين في جهاد ديني، واختصاص الآية بحسب موردها بغنيمة الحرب لا يوجب تخصيص الحكم الوارد فيها بالمورد؛ فإنّ المورد لا يُخَصِّص بالوارد.

فاطلاق حكم الآية بالنسبة إلى كلّ ما يُسمّى بـ«النفل» في محلّه، والآية دالّة على أنّ الأنفال كلّها بجملتها لله والرسول، لا يشاركهما فيها أحد من المؤمنين، سواء في ذلك الغنيمة والفيء.

---

١. سورة الأنفال، الآية: ١.

والظاهر من قوله تعالى: ﴿قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ﴾ وممّا يعظهم به بعده بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، إنّه تعالى فصّل النزاع والخصام بتشريع ملكيّة الأنفال لنفسه ولرسوله، ونزعها من أيديهم، وهذا يستدعي أن يكون تنازعهم في دعوى بعضهم: إنّ الأنفال لهم فقط دون غيرهم. أو أنّهم يختصّون بشيء منها ولا يشاركهم فيه غيرهم. ففصّل الله سبحانه نزاعهم؛ بسلبها منهم جميعاً، واثباتها لنفسه ﷻ ولرسوله ﷺ، ووعظهم وأمرهم بتقوى الله، وأن يكفّوا عن النزاع والتشاجر.

نعم، نزاعهم في الأنفال يكشف عن سابق عهد لهم بأنّ الغنيمة لهم، أو ما في معناه، غير أنّه كان حكماً مجملاً اختلف فيه المتنازعان، فكلّ يجرّ النار إلى قرصه، والآيات الكريمة تؤيّد ذلك.

توضيح الكلام: إنّ ارتباط الآيات في السورة، والتصريح بقصّة وقعة بدر فيها؛ يكشف عن أنّ السورة بأجمعها نزلت حول وقعة بدر، والتي تتعرّض لأمر الغنيمة من آياتها خمس آيات في ثلاثة مواضع من السورة، وهي:

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ...﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[1]

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[2]

---

١. سورة الأنفال: ٤١.

٢. سورة الأنفال: ٦٧.

وقوله سبحانه: ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[١]

وقوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[٢]

وسياق الثانية يفيد أنّها نزلت بعد الأولى والأخيرة جميعاً، لمكان قوله تعالى فيها: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾، فهي نازلة بعد الوقعة بزمان.

والآيات الأخيرة تدلّ على أنّهم كلّموا رسول الله صلى الله عليه وآله في أمر الأسرى، وسألوه أن لا يقتلهم[٣]، ويأخذ الفدية! فعاتبهم الله على ذلك، ثمّ جوّز لهم أن يأكلوا ممّا غنموا، وكأنّهم زعموا من ذلك أنّهم يملكون الغنائم والأنفال على إبهام في أمرها؛ إنّه هل يملكها جميع من حضر الوقعة أو بعضهم كالمقاتلين دون القاعدين ـ مثلاً ـ؟ وهل هي فيهم بالسويّة أو يختلفون بالزيادة والنقيصة؛ كأن يكون سهم الفرسان أزيد من سهم المشاة؟

وكان ذلك سبب التنازع والتشاجر بينهم؛ فرفعوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ...﴾. فبيّنت الآية خطأهم فيما زعموا أنّهم يملكون الأنفال. وكان منشأ زعمهم هذا

---

١. سورة الأنفال: ٦٨.

٢. سورة الأنفال: ٦٩.

٣. أقول: حاشا لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يقتل العزّل، فضلاً عن كونهم أسرى لديه. وإنّما كان ظنّاً منهم لما كان من عهدهم بالجاهلية التي مانفكّت تعتمل في نفوس كثير ممّن أظهروا الإسلام، ولم يعِ سمو تشريعه. تماماً كالذي حدث لمالك بن نويرة ومن كان معه حينما استأسرهم أزلام خالد بن الوليد في حربه لمانعي الزكاة عن أبي بكر؛ فذبّحوهم، واستباحوا بعد ذلك حرمهم؛ ولم ينبس خليفتهم ببنت شفة آنذاك، بل حتّى ذلك الذي هاجه أمر خالد، واستنفر لوقع المصيبة، لمّا استقرّ به الحكم؛ طوى عنه كشحاً، وكأنّه لم يكن قد استشاط، وأرعد، وتوعّد، بل أسلمه القيادة تلو القيادة!! كيف لا، وهو سيف الشيطان المسلول على المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ...﴾، فالله سبحانه وتعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾، ونهاهم عن التنازع والتشاجر عليها، فلمّا انقطع نزاعهم عليها وعلموا أنّها ليست لهم وهي لله والرسول، أرجعها رسول الله ﷺ إليهم جميعاً وقسّمها بينهم بالسويّة، وعزل سهم عدّة من أصحابه الذين لم يحضروا الواقعة، ولم يُقدّم مقاتلاً على قاعد، ولا فارساً على ماش.

ثمّ نزلت: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى...﴾ بعد حين؛ فأخرج رسول الله ﷺ ممّا ردّ إليهم من السهام الخمس، وكان لهم الباقي.

وحاصل البحث: إنّ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ﴾، يفيد بما ينضم إليه من قرائن السياق أنّهم سألوا رسول الله ﷺ عن حكم غنائم الحرب بعد ما زعموا أنّها لهم، واختلفوا أنّها لبعضهم أو لجميعهم، والجميع فيها سواء أو يختلفون؛ فصار بينهم تنازع وتشاجر.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ جواب عن مسألتهم، وفيه بيان أنّها ليست لهم، وإنّما هي لله والرسول ﷺ فحسب، فيوضع حيثما أرادا فانقطع نزاعهم.

فيتحصّل من مجموع الآيات الثلاث أنّ أصل الغنيمة لله والرسول ﷺ، وهما يملكانه ولا يشاركهما فيه أحد. والله العالم.

ثمّ إنّ في التعبير عن الغنائم بالأنفال ـ وهي: جمع نفل بمعنى الزيادة ـ إشارة إلى تعليل الحكم بموضوعه الأعمّ، كأنّه قيل: يسألونك عن الغنائم، وهي زيادات لا مالك لها ـ ظاهراً ـ من بين الناس. فأجابهم، وقال: ﴿الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾. فلازم ذلك أنّ الغنيمة لله والرسول ﷺ فحسب.

وظاهر قوله تعالى: ﴿قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ حكم عام يشمل بعمومه الغنيمة،

وسائر الأموال الزائدة في المجتمع نظير الديار الخالية، والقرى البائدة أهلها، ورؤوس الجبال، وبطون الأودية، وقطائع، وصوافي الملوك، وتركة من لا وارث له. وأمّا الأنفال بمعنى الغنائم: فهي متعلّقة بالمقاتلين من المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وآله، وبقي الباقي تحت ملك الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله.[١]

بحث في الغنيمة

الغُنم، والغنيمة: إصابة الفائدة بتجارة، أو عمل، أو غزوة وحرب. وينطبق بحسب مورد نزول الآية على غنيمة الحرب...

وذو القربى: القريب. والمراد به قرابة النبي صلى الله عليه وآله، أو خصوص أشخاص منهم؛ على ما تفسّره الآثار القطعيّة.

واليتيم: هو الصغير الذي مات أبوه...

وما يفهم من ظاهر الآية: اعلموا أنّ خمس ما غنمتم من أيّ شيء كان لله، ولرسوله، ولذي القربى، والمساكين، وابن السبيل؛ فردّوه إلى أهله إن كنتم آمنتم بالله. وغنائم الحرب لله ولرسوله، لا يشاركهما فيها أحد من المسلمين، وقد أجاز الله لكم أن تأكلوا منها، وأباح لكم التصرّف فيها، وأمركم الله أن تؤدّوا خُمسها إلى أهله.

وهذا التشريع أبدي كسائر التشريعات القرآنيّة، والحكم متعلّق بما يسمّى غُنماً، وغنيمة. سواء كان غنيمة حربيّة مأخوذة من الكفّار أو غيرها ممّا يطلق عليه الغنيمة لغةً كأرباح المكاسب، وما يُستخرج من البحر بالغوص...

---

١. بتصرّف عن تفسير العلامة السيّد محمد حسين الطباطبائي. راجع الميزان في تفسير القرآن: ج٩ ص٥ـ١١، مورد تفسير سورة الأنفال، الآية: ١.

والمستخرج من الكنوز والمعادن، وإن كان مورد نزول الآية هو غنيمة الحرب، فليس للمورد أن يُخصّص.

وكذا ظاهر ما عدّ من موارد الصرف بقوله: ﴿لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[1]، هو انحصار الموارد في هؤلاء الأصناف وأنّ لكل منهم سهماً بمعنى استقلاله في أخذ السهم كما يستفاد مثله من آية الزكاة من غير أن يكون ذكر الأصناف من قبيل التمثيل.

أجل، هذا كلّه ممّا لا ريب فيه بالنظر إلى المتبادر من ظاهر معنى الآية، وعليه وردت الأخبار من أهل البيت الأطهار عليهم السلام.[2]

---

١. سورة الأنفال، الآية: ٤١.

٢. بتصرّف عن تفسير العلامة السيّد محمد حسين الطباطبائي. راجع الميزان في تفسير القرآن: ج٩ ص٨٩ـ٩١، مورد تفسير سورة الأنفال، الآية: ٤١.

فصل في

الجامعة الجعفريّة المتكاملة

لقد كان بيت الإمام الصادقعليه السلام في تلك الفترة الحرجة يُشكّل جامعة متكاملة لجميع علوم الحديث والتفسير، والفقه والأُصول، والحكمة والكلام، والمعارف الإلهية، والفنون العامّة. فكان غاصّاً وعلى الدوام بجميع صنوف أهل العلم والمعرفة من علماء، وفقهاء، وأُدباء، ودون ذلك.

فالمدرسة التي بنى صرحها رسول اللهصلى الله عليه وآله، وزيّن دعائمها أميرالمؤمنين عليعليه السلام، وحافظا على بريق سناها، وعلو مجدها إماما المسلمين إن قاما أو قعدا: الحسن بن علي، والحسين بن عليعليهما السلام، وزاد من صيانتها، وإدامة رفعتها: علي بن الحسين «زين العابدين»، ومحمد بن علي «الباقر»، وجعفر بن محمد «الصادق»، ومن بعده أبناءه: موسى بن جعفر «الكاظم»، وعلي بن موسى «الرضا»، ومحمد بن علي «الجواد»، وعلي بن محمد «الهادي»، والحسن بن علي «العسكري»، والحجّة بن الحسن «المهدي» عليهم السلام؛ جدير بأن تنال شهرة عظيمة، وحضوة مكينة لدى جميع الأوساط المعنيّة، بما فيها مراكز الحكم، والقرار السياسي على ما عليه من خلاف عقائدي يغلب على تعاملها مع أهل البيتعليهم السلام عموماً.

فكان يحضر مجلس درس الإمام الصادقعليه السلام في أغلب الأوقات ألفان، وفي بعض الأحيان أربعة آلاف من العلماء المشهورين، منهم جماعة من الأئمّة وأعلامهم، مثل: يحيى بن سعيد الأنصاري، وابن جريج، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، وأبي حنيفة، وابن عُيينة، وشُعبة، وأيوب السختياني، وغيرهم.

وعدّوا أخذهم منه عليه السلام منقبة شُرّفوا بها، وفضيلة اكتسبوها.[١]

ففي تلك الفترة الحسّاسة كان الإمام الصادق عليه السلام زعيم الحركة الفكريّة والدينية، ولم تقتصر حلقته العلميّة على أولئك الذين أصبحوا فيما بعد من جملة مؤسّسي المذاهب الفقيّة فحسب، بل كان يحضرها طلاب الحكمة، والكيمياء، والطبّ، والفلك، ومختلف العلوم من الأنحاء القاصية.[٢]

كما ويمكننا أن نصف جامعة الإمام الصادق عليه السلام بكونها كانت أكبر، وأهم جامعة إسلاميّة على الإطلاق؛ لما خلّفته من ثروة علميّة واسعة، وخرّجت من بين أروقتها أعداداً كبيرة من جهابذة المفكّرين، والحكماء، والمتكلّمين، والفلاسفة، والفقهاء، وعلماء الحديث، وعلماء الكيمياء، وغيرهم.

وقد صنّف الحافظ أبو العباس بن عقدة كتاباً جمع فيه رجال الصادق عليه السلام ورواة حديثه، وأنهاهم إلى أربعة آلاف.[٣]

ومهما كان، فإنّ جامعة الإمام الصادق عليه السلام كانت ولا زالت تُعدّ من أهم معالم التقدّم والإزدهار العلمي والثقافي للعالم الإسلامي.

استقلالية مدرسة الإمام عليه السلام

إنّ لطابع الإستقلال الذي طبعت عليه مدرسة الإمام الصادق عليه السلام منهجها قد أكسبها شيء من الحرّيّة في مواصلة نهجها العلمي الذي اختصّت به، ممّا هيء لها شقّ أمواج الموانع في مجتمع تسوده النزاعات الفكريّة والسياسيّة التي لا

---

١. راجع مطالب السؤول لابن طلحة: ص٨١.

٢. راجع تاريخ العرب لميرعلي الهندي: ص١٧٩.

٣. راجع الإمام الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر: ج١ ص٦٧. والإمام جعفر الصادق عليه السلام للجندي: ص١٩٣ـ١٩٧، الباب الرابع: المدرسة الكبرى.

طائل من ورائها سوى التيه والضلال يتبعهما الجهل، مستمدّة بذلك قوّتها من ينبوع العلم الخالص الذي لاشوب فيه لمطعم، ولا غصّة لشارب؛ فلا النزاعات السياسية التي تمحورت بين الحزبين الأُموي والعباسي، ومن له مطامع في الحكم استطاعت أن تُحرفها عن مسارها، ولا التهافت الفكري الذي انشغل به أصحاب الفلسفة، والكلام قد نال من ركائزها، فبقيت بالإستقلال محافظة على رسوخ تفرّدها.

فهي ومنذ نشأتها الأولى كانت في حرب مع أهل الشرك والجاهلية، واستمرّت على نهجها هذا أيام الإمام الصادق عليه السلام؛ شوكة في محاربة حكّام الظلم والجور الذين اتّخذوا عباد الله خولاً، ومال الله دولاً، قد نازعوا الحقّ أهله، وأعادوا الجاهلية الجهلاء إلى الأُمّة الإسلاميّة من جديد؛ فلم تُداهنهم، ولم تركن إليهم طرفة عين، بل أخذت على عاتقها كما في نشأتها الأُولى مكافحة الجهل بكلّ صوره، كاشفة عن عورات أهل السوء المتسربلين بالخشوع، والمتخلّين عن التقوى. فكانت لذلك عرضة للمشاكل والمصاعب، وواجه للخطر من قبل تلك الحكومات المُبرمة عزمها بقصد محوها من صفحة الوجود.

فالدوانيقي ـ مثلاً ـ قد بذل كلّ ما في وسعه كمحاولة يائسة منه لكسب رضا الإمام الصادق عليه السلام، والفوز بمسايرته له؛ لكنّه لم ينجح.

فسارت مدرسته عليه السلام محافظة على استقلالها الروحي والسياسي، حتّى نالت تلك الشهرة العظيمة التي صداها قد مليء الخافقين، واستمرّ سنا برقها خالداً بما خلّفته من تراث علمي عظيم، ومجد روحي نفيس تستنير بفيض نوره بصائر الأجيال تلو الأجيال، واعداً بحكومة إسلاميّة متحضّرة، بكل الأبعاد والمقاييس.

الجامعة والانتاج العلمي الزاخر

تمكّنت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام من احتواء جموع غفيرة تحت لواء نبراسها

من مختلف الأطياف الفكريّة والعقائدية، حتّى أُسقط بيد الرآي أنّ تلك الأُلـوف المجتمعة تحت خيمة الإمام الصادقعليه السلام هناك إنّما ساق جمعها شدّة افتقارهـا، وعوزها لفيض منهل علوم آل البيتعليهم السلام بمـا قُـدّر لأن يربـوا مجمـوع خريجـي جامعة الإمام الصادقعليه السلام، ورواة حديثه في ذلك الوقت على أربعـة آلاف طالبـاً. وقيل: عشرون ألفاً. وكانوا من مختلف البقاع والأصقاع، وعلى اخـتلاف آرائهـم ومعتقداتهم.

لا بأس بالإشارة هنا إلى بعضهم:

أبوحنيفة النعمان إمام المذهب المنسوب إليه، والذي اشتهر بقوله: ما رأيـت أعلم من جعفر بن محمدعليهما السلام. كما ورد عنه: لولا السنتان لهلك النعمان.[1]

وكانت له اتّصالات عديدة بالإمام الـصادقعليه السلام فـي المدينـة والكوفـة، وقـد لازمه مدّة سنتين متواصلتين، فاعتبر هاتين السنتين نجاة له من الهلكة.

مالك بن أنس إمام المذهب المالكي، وكان يحضر عنـد الإمـامعليه السلام ليـستفيد من علومهعليه السلام، واشتهر عنه بقوله: ما رأت عين أفضل من جعفر بن محمدعليهما السلام.

سفيان الثوري أحد رؤساء المذاهب، وحملة الحـديث، وأعـلام أئمّـة أهـل السنّة، وكان مذهبه معمولاً به إلـى مـا بعـد القـرن الرابـع الهجـري، وكـان لـه اختصاص بالإمام الصادقعليه السلام، وكان من رواته، وقد روى كثيـراً مـن آدابـهعليه السلام، وأخلاقه، ومواعظه.

سفيان بن عُيينة وهو من أعلام أئمّـة أهـل الـسنّة، ومـن رؤسـاء المـذاهب البائدة.

---

١. التحفة الإثني عشريّة للدهلوي: ص٨. وراجع تهذيب الكمال للمزّي: ج٥ ص٧٩، ترجمـة جعفـر بـن محمدعليهما السلام.

شعبة بن الحجّاج بن الورد العتكي الذي قال الشافعي في حقّه: لولا شعبة لما عُرف الحديث بالعراق. وقال ابن حنبل: شعبة أُمّة واحدة.

فضل بن عياض بن سعد بن بشر التيمي وقال الجزري: هو أحد أئمّة الهدى، والسنّة.

حاتم بن إسماعيل الذي خرّج له البخاري، ومسلم، والترمذي، وغيرهم.

حفص بن غياث بن طلق الكوفي روى عنه عليه السلام، وروى عنه أحمد، وإسحاق، وأبو نعيم، ويحيى بن معين، وعليّ بن المديني، وعثمان بن مسلم، وعامّة الكوفيّين.

زهير بن محمد التميمي أبو المنذر الخراساني أخذ عنه عليه السلام، وعنه أخذ أبو داود الطيالسي، وروح بن عبادة، وأبو عامر العقدي، وعبد الرحمن بن مهدي، والوليد بن مسلم، ويحيى بن بكير، وغيرهم.

يحيى بن سعيد بن فروخ القطّان روى له رجال الصحاح، وحدّث عنه ابن مهدي، وعفّان، ومسدّد، وأحمد، واسحاق، وابن معين.

إبراهيم بن محمّد بن أبي يحيى الأسلمي أبو إسحاق المدني روى عنه عليه السلام، وله كتاب مبوّب في الحلال والحرام. وذكره أبو جعفر الطوسي في الفهرست، روى عنه إبراهيم بن طهمان، والثوري، وابن جريج، والشافعي، وسعيد بن أبي مريم، وأبو نعيم... ويُعدّ من مشايخ الشافعي.

الضحّاك بن مخلّد أبو عاصم النبيل البصري روى عنه عليه السلام، وعنه روى البخاري، وأحمد، وابن المديني، وإسحاق بن راهويه، وقال ابن شيبة: والله، ما رأيت مثله.

عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت: روى عنه عليه السلام، وعنه روى محمد بن ادريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وابن المديني،

وغيرهم.

إلى غير هؤلاء من أئمّة الحديث عند أهل السنّة، ممّن غرف غرفة من منهل بحار علم الإمامعليه السلام، وأخذ عنه، وروى حديثه، حتّى صار يفتخر بانتسابه إلى مدرسة الإمام الصادقعليه السلام.

الخواصّ هم حملة فقههعليه السلام

لقد امتاز عصر الإمام الصادقعليه السلام بأن كان عصر مجادلات، ومباحثات قد ساعد على اتّساع دائرة الخلاف فيه تعدّد المسارات العقائديّة، وانتشار المقالات المذهبيّة، وظهور العديد من الفرق، والنحل التي لا تمتّ بصلة إلى روح الإسلام وحقيقته.

كما أنّ شُبهة الزنادقة والملاحدة قد أخذت بالإزدياد حتّى ظهرت بصورة علنيّة، الأمر الذي حتّم على ازدياد رقعة الجدل والنقاش حول مسائل؛ أهمّها كانت مسألة التجسيم، والتشبيه، والصفات، ومسألة تحمّل الإنسان مسئولية عمله، أو رفع المسئولية عنه كلاّ، وبراءته من كلّ إثم، إلى غير ذلك من المسائل التي شُغلت بها الأفكار، وأخذ طوفانها يُهدّد بانتزاع الدين الحنيف من قلوب السواد الأعظم من المسلمين من خلال شيوع نزعة التكفير بين أبناء الملّة الواحدة.

وقد كان للإمام الصادقعليه السلام، وتلاميذه الخُلّص قصب السبق في الردّ على جميع تلك المزاعم والترهات، ودفع جميع الشبهات بأدلّة دامغة، وحجج سابغة؛ حيث كانعليه السلام يؤجّه الخُلّص من تلاميذه على قدر كفايتهم، ومقدرتهم لخوض تلك المعارك الفكريّة، والوقوف بحزم لصد مختلف التيارات المنحرفة، مع معالجة تلك التي في دورها للإنحراف.

فكان لتلك النُخبة الصالحة من شيعته اليد الطولى في خوض تلك المعارك ـ

من خلال المجادلة بالّتي هي أحسن ـ مع أهل الإلحاد والزندقة، ومحاربة أهل العقائد الفاسدة، وتقطيع أوصال الفرق الشاذّة.

وعلى الرغم من ذلك فقد كان عليه السلام، وتحت وطأة النزاع الجدلي ينهى عن الكلام في ذات الله، مُحذّراً من الخوض فيه مع الخائضين، قائلاً عليه السلام لأصحابه: تكلّموا في خلق الله، ولا تتكلّموا في ذات الله؛ فإنّ الكلام في ذات الله لا يزيد صاحبه إلاّ تحيّراً.[1]

وقال عليه السلام لمحمّد بن مسلم: يا محمد، إنّ الناس لا يزال بهم المنطق حتّى يتكلّموا في الله، فإذا سمعتم ذلك؛ فقولوا: لا إله إلا الله.[2]

وقال عليه السلام: تكلّموا في كلّ شيء ولا تتكلّموا في ذات الله.[3]

وقال عليه السلام: إيّاكم والتفكّر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه.[4]

نعم، لقد كان الإمام الصادق عليه السلام محطّ آمال الأُمّة الإسلاميّة، ومعقد أمانيها. ومدرسته عليه السلام كانت جامعة يقصدها كبار العلماء، وأرباب الكلام، والحكمة، وطلاّب العلوم على اختلاف أنواعها.

فهو عليه السلام لم يختصّ بعلم دون آخر، ولم يقتصر على منهج متفرّد، فكلّ وارد كان ينهل عن مورده عليه السلام، وكلّ مفتقر كان يستغني بالأخذ عنه عليه السلام، لذلك كانت الوفود تنهال على أعتاب موفور علمه من جميع الأقطار، والأمصار؛ لما يجدوا فيه الإنسان الكامل، والمعلّم الصادق، الزكي، الطاهر.

---

١. التوحيد للصدوق: ص٤٥٤ ب٦٧ ح١.

٢. التوحيد: ص٤٥٦ ب٦٧ ح١٠.

٣. التوحيد: ص٤٥٥ ب٦٧ ح٢.

٤. التوحيد: ص٤٥٨ ب٦٧ ح٢٠.

ولا يخفى؛ فضيق المجال يحول دون ذكر جميع المتميّزين من تلامذة الإمام الصادق، ولكنّا سنذكر بعضاً منهم، غير قالين للبعض الآخر من أجلاء، وأعاظم أصحاب الإمام الصادق كداود الرقّي[١]، وداود بن فرقد[٢]، وزرارة بن أعين[٣]، وزيد الشحّام[٤]، وسُدير الصيرفي[٥]، ومئات أمثال هؤلاء.

لذا سنُشير ـ كنموذج ـ في هذه العجالة إلى نزر قليل من ترجمة بعض تلامذته ممّن اشتهر منهم في هذا المضمار.

١. أبان بن تغلب الكوفي

أبان بن تغلب، أبو سعد الكوفي: روى عن عليّ بن الحسين زين العابدين، والإمام الباقر، والإمام الصادق.

وقال أبو جعفر الشيخ الطوسي في الفهرست: أبان بن تغلب، رياح أبو سعد البكري الجريري... ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة في أصحابنا، لقي أبا محمد عليّ بن الحسين، وأبا جعفر محمد الباقر، وجعفر بن محمد الصادق، وروى

---

١. راجع إختيار معرفة الرجال للطوسي: ص٤٠٢، ورجال النجاشي: ص١٥٦، ومعالم العلماء للمازندراني: ص٤٢، وخلاصة الرجال للعلامة الحلّي: ص٣٣، وجامع الرواة للأردبيلي: ج١ ص٣٠٧، وتهذيب الكمال للمزّي: ج٨ ص٤٤٢ رقم١٧٨٣، وفي الهامش ذكر سبعة مصادر لترجمته.

٢. أُنظر رجال النجاشي: ص١٥٨ رقم٤١٨، ووسائل الشيعة للعاملي: ج٢٠ ص١٩٠ رقم٤٦١ وبهامشه ستّة مصادر للترجمة.

٣. أُنظر إختيار معرفة الرجال للطوسي: ص١٣٣ــ١٦٠، واحسن التراجم للشبستري: ج١ ص٢٥٤، وذكر ٧٥ مصدراً لترجمته، ووسائل الشيعة للعاملي: ج٢٠ ص١٩٦ رقم٤٨٩، وبهامشه مصادر للترجمة، وفهرست ابن النديم: ص٢٧٦.

٤. أُنظر أحسن التراجم للشبستري: ج١ ص٢٧١، وذكر ٥٥ مصدراً في ترجمته.

٥. أُنظر إختيار معرفة الرجال للطوسي: ص٢١٠، وخلاصة الأقوال للحلّي: ص٤٢، وجامع الرواة للأردبيلي: ج١ ص٣٥٠، ووسائل الشيعة للعاملي: ج٢٠ ص٢٠٤ رقم٥١٦.

عنهم، وكانت له عندهم حظوة وقدم، وقال له أبو جعفر الباقر عليه السلام: اجلس في مسجد المدينة، وأفت الناس؛ فإنّي أُحبّ أن يُرى في شيعتي مثلك. وكانت له حلقة في المسجد.[١]

وقال ياقوت الحموي: كان قارئاً لغوياً، فقيهاً إمامياً، ثقة، عظيم المنزلة، جليل القدر، روى عن عليّ بن الحسين، وأبي جعفر الباقر، وأبي عبد الله الصادق عليهم السلام. وسمع من العرب، وصنّف غريب القرآن وغيره.

وقال الذهبي: أبان بن تغلب؛ شيعي، جلد، صدوق، لكنّه مبتدع[٢]، فلنا صدقة

---

١. راجع الفهرست: ص٥٧ رقم١، باب أبان.

٢. أقول: هذا افتراء منه، وبهتان قد أظهره ما في صدره من حقد، وبغض على شيعة آل محمد عليهم السلام.

فإن كان التمسّك بالثقلين ـ كتاب الله، وعترة نبيّه صلى الله عليه وآله. أوالإعتماد بما جاء في الآية: ٣٣ من سورة الأحزاب، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. والإعتقاد بطهارة آل آية التطهير، آل رسول الله صلى الله عليه وآله عن كلّ دنس، صغر أم كبر في نفوس أُناس ما يؤمنون بالله إلا وهم مشركون. وإن كانت المودّة للقربى، عملاً بقوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾. سورة المائدة، الآية: ٢٣، أو ولايتهم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. سورة المائدة، الآية: ٥٥. أو الثبات على أنّ علي عليه السلام هو نفس النبي صلى الله عليه وآله، وفاطمة عليها السلام هي نساء أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، والحسن والحسين عليهما السلام هما أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله، بنصّ آية المباهلة من قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾. سورة آل عمران، الآية: ٦١. وسواها من نصوص الكتاب الكريم، والسنّة المُطهّرة الدالّة على أفضلية آل النبي عليهم السلام عموماً، وأميرالمؤمنين علي عليه السلام على وجه الخصوص. ولوكان التشيّع لكلام الوحي كلّ ذلك يُعدّ إبتداع، فلا مشّاحة بتحقّق مصداق قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾. سورة يوسف، الآية: ١٠٦. من حين رحيل النبي صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى، بل من حين ظهور أوّل بواكير الحسد، والبغض لأميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حياة نفسه، وأخيه، وصهره رسول الله صلى الله عليه وآله.

نعم، فالذهبي، وأمثاله ممّن لا يؤمنون بالله إلا وهم مشركون، يعتقدون بأنّ الإعتماد على الأفضلية من خلال الكتاب الكريم، والسنّة المُطهّرة، يُعد بُدعة!!

غير أنّا وبعد هذا نترك المجال لمن هو من أبناء جلدتهم، المُفكّر والباحث حامد حفني داود، الذي وفي

وعليه بدعته، وقد وثّقه أحمد بن حنبل، وابن معين، وأبو حاتم. وقال الحاكم: كان قاضي الشيعة، وهو ثقة، ومدحه ابن عُيينة بالفصاحة. وقال أبو نعيم في تاريخه: مات سنة ١٤٠هـ ، وكان غاية من الغايات. وقال العقيلي: سمعت أبا عبد الله يذكر عنه عقلاً، وأدباً، وصحّة حديث، إلاّ أنّه كان غالياً في التشيّع ـ يعني، كان يقول بافضليّة عليعليه‌السلام بعد رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله على الناس كلّهم، وإنّهعليه‌السلام بعدهصلى‌الله‌عليه‌وآله خير البريّة كلّها ـ . وقال ابن سعد: كان ثقة، وذكره ابن حبّان في الثقات. وقال الأزدي: كان غالياً في التشيع، وما أعلم به في الحديث بأساً، وخرّج حديثه مسلم في صحيحه، والترمذي، وأبو داود، والنسّائي، وابن ماجة.[١]

فبعد أن أجمعوا على صدق روايته، واعترفوا بعلوّ منزلته، فلا يضرّ زعم من زاغ عن الحقّ في طعنه.

معرض مناقشته لأحمد أمين صاحب فجر الإسلام، قال:

وآخر القضايا المهمّة غمس فيها أحمد أمين يده هي قضية الإمامة؛ وهي من أكبر القضايا التى تفصل المذهب الامامي الجعفري عن المذاهب الأُخرى، فإذا قال الإماميّة بأفضلية علي على أبي بكر، وعمر؛ فإنّ هذا القول لا يُعدّ ـ كما يعتقد جهلاء الأُمّة ـ فسقاً، أو ضلالاً، أو خروجاً على الشريعة. راجع نظرات في الكتب الخالدة: ص١٨٤.

ومهما كان؛ فإنّ أبان بن تغلب لا يُرتاب في جلالة قدره، وعظمة منزلته..

١. أُنظر ترجمته في تهذيب الكمال للمزّي: ج٢ ص٦ رقم١٣٥، والجرح والعديل للرازي: ج٢ ص٢٩٦ رقم١٠٩٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي: ج٦ص٣٠٨ رقم١٣١، وميزان الإعتدال للذهبي: ج١ ص٥ رقم٢. ومعجم الأُدباء للحموي: ج١ ص١٠٧، وبُغية الوعاء للسيوطي: ص١٧٦، ورجال البرقي: ص٩، والطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦ ص٣٦٠، ورجال النجاشي: ص١٠، وتهذيب التهذيب لابن حجر: ج١ ص٩٣ والفهرست لابن النديم: ص٣٠٨، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر: ج٢ ص٥٥، وغير هؤلاء كثيرون.

مؤلّفاته:

ولأبان بن تغلب مؤلّفات عدّة، منها:

ـ الغريب في القرآن. وهو أوّل تأليف في ذلك؛ فصار أساساً لعلم اللغة، وقد ذكر شواهده من الشعر، فجاء فيما بعد عبد الرحمن بن محمّد الأزدي الكوفي، فجمع من كتاب أبان، وكتاب محمّد بن السائب الكلبي، وأبي روق عطيّة بن الحرث؛ فجعلهما كتاباً واحداً، وبيّن فيه ما اختلفوا فيه، وما اتفقّوا عليه، فتارة يجيء كتاب أبان مفرداً، وتارة مشتركاً.

ـ كتاب صفّين.

ـ كتاب الفضائل.

ـ كتاب معاني القرآن.

ـ كتاب القراءات.

ـ كتاب الأُصول في الرواية على مذهب الشيعة.[1]

٢. أبان بن عثمان الكوفي

أبان بن عثمان بن يحيى بن زكريّا اللؤلؤي الكوفي، وكان في الكوفة تارة، ويسكن البصرة أُخرى. وقد أخذ عنه من أهل البصرة أبو عبيدة معمّر بن المثنّى، وأبو عبد الله محمد بن المثنّى، وأبو عبد الله محمد بن سلام الجمعي، وأكثروا الحكاية عنه في أخبار الشعراء، والنسب، والأيام. روى عن أبي عبد الله الصادقعليه السلام، وأبي الحسن موسى بن جعفرعليهما السلام.

وما عرف من مصنّفاته إلاّ كتاب جمع فيه المبدء والمبعث، والمغازي،

---

١. راجع الفهرست للطوسي: ص٥٧، باب أبان، رقم١. وتهذيب المقال للأبطحي: ج١ ص٢٢٤. ومعجم المؤلّفين لرضا كحّالة: ج١ ص١، باب الهمزة.

والوفاة، والسقيفة، والردّة، وله أصل يرويه الشيخ الطوسي عن عدّة من الأصحاب. وكان أبان من الستّة الذين أجمع العصابة على تصحيح ما يصحّ عنهم، والإقرار لهم بالفقه، وهم: جميل بن درّاج، وعبد الله مسكان، وعبد الله بن بكير، وحمّاد بن عيسى، وحمّاد بن عثمان، وأبان بن عثمان.[١]

وقد روى عنه خلق كثير، منهم: الحسن بن علي الوشا، وعلي بن الحكم الكوفي، وفضالة بن أيّوب، والحسين بن سعيد، وصفوان بن يحيى، وعيسى الفرّاء، وجعفر بن سماعة، وغيرهم.[٢]

٣. بُريد بن معاوية العجلي

بُريد بن معاوية العجلي أبو القاسم الكوفي. كان من أصحاب الإمام الباقر، وابنه الإمام الصادقعليهما السلام، وهو من حملة الحديث، ومن رجال الفقه، وله منزلة عند أهل البيتعليهم السلام من الوثاقة، وعلوّ القدر.

وورد مدحه في روايات صحيحة، كما أجمعت الشيعة على تصحيح ما صحّ عنه، والذي يظهر أنّ له منزلة سامية في نشر حديث أهل البيتعليهم السلام، وأنّ خصومهم قد وضعوا أحاديث في ذمّه ليحطّوا من قدره، ويصرفوا الناس عنه، ولكن الأحاديث الذامّة لم تقف في طريقه، أو تعرقل سيره المتواصل في نشر المذهب الحقّ، وبثّ الأحكام.

وهو من الستّة الذين عرفوا أنّهم أفقه الناس، وهم: زرارة بن أعين، ومعروف بن خربوذ، وبُريد العجلي، وأبو بصير الأسدي، والفضل بن يسار، ومحمّد بن مسلم الطائفي، وأفقه هؤلاء الستّة؛ زرارة بن أعين.

---

١. إختيار معرفة الرجال للطوسي: ص٣٧٥ رقم٧٠٥.
٢. أُنظر أحسن التراجم للشبستري: ج١ ص١٢٦، ترجمة أبان بن عثمان بن يحيى اللؤلؤي الكوفي.

وقال الصادق عليه السلام: زرارة بن أعين، ومحمّد بن مسلم، وبُريد العجلي، والأحول؛ أحبّ الناس إليّ، أحياءً وأمواتاً.[١]

وروى بُريد العجلي الحديث عن الإمام الباقر، والإمام الصادق عليه السلام. وروى عنه داود بن يزيد بن فرقد، والحكم وإسماعيل ابنا حبيب، والقاسم بن عروة، ومنصور بن يونس، وعبد الله بن المغيرة، وجماعة.[٢]

٤. بُكير بن أعين الشيباني

بُكير بن أعين الشيباني. وهو أخو زرارة بن أعين، روى عن الإمام الباقر، والإمام الصادق عليهما السلام، وتوفّي في أيام الإمام الصادق عليه السلام، ولمّا بلغه خبر وفاته، قال عليه السلام: أما والله، لقد أنزله الله تعالى بين رسول الله صلى الله عليه وآله، وأميرالمؤمنين عليه السلام.[٣]

٥. تليد بن سليمان المحاربي

تليد بن سليمان المحاربي، أبو سليمان الكوفي الأعرج. قال ابن عقدة: إنّ له كتاباً عن الصادق عليه السلام يرويه عنه جماعة. روى عنه أحمد بن حنبل، وإسحاق بن موسى. خرّج حديثه الترمذي.[٤]

٦. جرير بن عبد الحميد

جرير بن عبد الحميد بن قرط، أبو عبد الله الرازي. روى عنه ابن راهويه، وابنا أبي شيبة، ويحيى بن معين، وموسى القطّان، ومحمّد بن قُدامة، وغيرهم.

---

١. راجع إختيار معرفة الرجال للطوسي: ج١ ص٣٤٧ رقم٢١٥، ومجمع الرجال للقهباني: ج١ ص٢٧٩.
٢. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر: ج٢ ص٦١.
٣. راجع إختيار معرفة الرجال للطوسي: ج٢ ص٤١٩ رقم٣١٥.
٤. أنظر رجال النجاشي: ص١١٥ رقم٢٩٥، ورجال ابن داود: ص٢٦٨، والذهبي في سير أعلام النبلاء: ج٢ ص١٢٢، وتهذيب الكمال للمزّي: ج٤ ص٣٢٠ رقم٧٩٨، وغيرهم.

قال العجلي: هو كوفي ثقة، نزل الري، وهو من رجال الصحاح الستّة. وعدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الصادقعليه السلام.[1]

٧. جميل بن درّاج

جميل بن درّاج بن عبد الله، أبو علي النخعي الكوفي، من أصحاب الإمام الصادق وابنه موسى الكاظمعليهما السلام، وهو من الستّة الذين أجمعوا على تصحيح ما يصحّ عنهم، توفّي في أيام الإمام الرضاعليه السلام، وكان كثير الحديث، فقيهاً، زاهداً، متعبّداً، له مؤلّفات؛ منها: كتاب اشترك هو ومحمّد بن حمران فيه. وله كتاب اشترك هو ومرازم بن حكيم فيه. وله أصل يرويه أبو جعفر الشيخ الطوسي عن الحسين بن عبد الله.

روى عنه الحديث جماعة كالحسن بن محبوب، وصالح بن عقبة، وعبد الله بن جبّلة، وأبو مالك الحضري، ومحمّد بن عمرو، وغيرهم.

وكان له أخ يُقال له: نوح بن درّاج، وكان قاضياً في الدولة العباسيّة، وقد اشتدت الملامة عليه من قبل أصحاب الصادقعليه السلام؛ لأنّ القضاء من قبل الدولة يُعدّ مؤازرة لهم. وكان نوح من رواة حديث الصادقعليه السلام؛ فقيل له: لم دخلت في أعمالهم!؟ فقال: لم أدخل في أعمال هؤلاء حتّى سألت أخي جميلاً يوماً، فقلت: لم لا تحضر المسجد!؟ فقال: ليس لي إزارا![2]

---

١. راجع تهذيب الكمال للمزّي: ج٤ ص٥٤٠ رقم٩١٨،، وحلية الأولياء لأبي نعيم: ج٥ ص٤١، ورجال الطوسي: ص١٧٧ رقم٤٣. وتهذيب التهذيب لابن حجر: ج٢ ص٦٥ رقم١١٦، ترجمة جرير بن عبد الحميد بن قرط.

٢. أُنظر إختيار معرفة الرجال للطوسي: ج٢ ص٥٢٠ رقم٤٦٧ـ٤٦٩. وأحسن التراجم للشبستري: ج١ ص١٢٤. والتحرير الطاووسي للشيخ حسن، صاحب المعالم: ص٥٧٨ رقم٤٣٣.

٨. جميل بن صالح

جميل بن صالح الأسدي الكوفي، من أصحاب الإمام الصادق، وابنه الإمام الكاظمعليهما السلام. ثقة، له أصل، وروى عنه جماعة كالحسن بن محبوب، وسعد بن عبد الله، وعمّار بن موسى الساباطي، ومحمّد بن عمر، وغيرهم.[1]

٩. حمّاد بن عثمان

حمّاد بن عثمان بن زياد الرواسي الكوفي، المعروف بـ«الناب» أو بـ«ذي الناب» هو من الستّة الذين أقرّت الطائفة لهم، وتصحيح ما صحّ عنهم، وروى عن الإمام الصادق، وابنه الإمام الكاظمعليهما السلام، وعن جماعة من أصحابهماعليهما السلام، وروى عنه جماعة، منهم: محمد بن الوليد، وعلي بن مهزيار، وصفوان بن يحيى وغيرهم.[2]

١٠. حمّاد بن عيسى

حمّاد بن عيسى بن عبيدة الجُهني الواسطي ثمّ البصري «غريق الجحفة» من أصحاب الإمام الصادق، والإمام الكاظمعليهما السلام. وهو أيضاً من الستّة الذين أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عنهم.[3]

١١. حبيب بن أبي ثابت

حبيب بن أبي ثابت الكاهلي أو الكوفي، من التابعين، ومن رجال الصحاح

---

١. راجع أحسن التراجم للشبستري: ج١ ص١٢٦.

٢. راجع إختيار معرفة الرجال للطوسي: ج٢ ص٦٧٠ رقم٦٩٤. وأحسن التراجم للشبستري: ج١ ص١٩٦.

٣. راجع إختيار معرفة الرجال للطوسي: ج٢ ص٦٠٤ رقم٥٧١، ٥٧٢، ٧٠٥. وأحسن التراجم للشبستري: ج١ ص١٩٧.

الستّة، يروي عن الإمام زين العابدين، والإمام الباقر، والإمام الصداق عليهم السلام. روى عنه مسعد، والثوري، وشعبة، وأبو بكر النهشلي وجماعة أُخرى، وثّقه العجلي، وأبو زرعة، وجماعة، وقال ابن معين: له نحو مائتي حديث.[1]

١٢. حمزة بن محمّد الطيّار

حمزة بن محمد الطيّار. كان من رجال الفقه، والمتفوقين في علم الكلام، وله مناظرات مع خصوم أهل البيت عليهم السلام كما تدلّ على ذلك آثاره، ووردت أحاديث من أهل البيت عليهم السلام في مدحه، منها ما رواه أبان الأحمر، عن الطيّار، قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: بلغني أنّك كرهت منّا مناظرة الناس، وكرهت الخصومة، فقال عليه السلام: أمّا كلام مثلك للناس؛ فلا نكرهه من إذا طار؛ أحسن أن يقع، وإن وقع؛ يحسن أن يطير. فمن كان هكذا فلا نكره كلامه.[2]

١٣. مؤمن الطاق[3]

محمد بن علي بن النعمان البجلي الكوفي، الملقّب بـ«مؤمن الطاق». كان معروفاً بالتشيّع، والإخلاص لأهل البيت عليهم السلام، وكان جمّ العلم، متفوقاً في معارفه، قويّاً في احتجاجاته، تعدّدت فيه نواحي العبقريّة والنبوغ، فكان عالماً في الفقه، عارفاً بالكلامِ، خبيراً في الحديث والشعر، قويّ العارضة، سريع الجواب، واضح الحجّة، وكان يتمتّع بشخصيّة فذّة، يعترف له الناس بالفضل، والعلم، والنبوغ، والتفوّق، كما كان مشتغلاً بالتجارة.

---

١. راجع تهذيب الكمال للمزّي: ج٥ ص٣٥٨ رقم١٠٧٩. وسير أعلام النبلاء للذهبي: ج٥ ص٢٨٨ رقم١٣٧.

٢. راجع إختيار معرفة الرجال للطوسي: ج٢ ص٦٣٨رقم ٦٥٠، و٦٥١.

٣. أُنظر إختيار معرفة الرجال للطوسي: ج٢ ص٤٢٢، رجال النجاشي: ص٣٩٩ رقم٦٧، وفهرست ابن النديم: ص٢٢٤.

وقد كان عصره يقضي على أمثاله من مفكّري الشيعة بكبت الشعور والضغط، وكم الأفواه وتمويه الحقائق، ولكنّه لم يخضع لذلك الحكم الجائر فكان لا يزال يجهر بالحقّ، ويُعلن بفضل عليّ عليه السلام، ويُظهر تمسّكه بأبنائه الطاهرين عليهم السلام.

وكان مؤمن الطاق من مُبرّزي أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، ويُقال: إنّ أوّل من لقّبه بـ«شيطان الطاق» هو أبو حنيفة؛ لمناظرة جرت بين الخوارج وبينه أمام أبي حنيفة. والراجح أنّ خصومه سمّوه بذلك لعبقريته.[1]

وقد ذكره المرزباني في شعراء الشيعة، قال: أبو جعفر، محمّد بن عليّ بن النعمان... كان من الفصحاء البلغاء، ومن لا يُطاول في النظر والجدال في الإمامة، وكان حاضر الجواب...

وقيل: إنّ المنصور ـ الدوانيقي ـ كان إذا ذكر مدح ابن قيس الرقيات لعبد الملك بن مروان تغيّظ منه وشقّ عليه، فقال عمارة: يا أمير، فيكم رجل من أهل الكوفة أجود ممّا قال ابن قيس. قال: ومَن هو!؟

قال: مؤمن الطاق. وأنشده:

يا مَن لقلب قد شفّه الوجع	يكاد ممّا عناه ينصدع
أمسى كثيباً معذّباً كمداً	تظلّ فيه الهموم تصطرع
عن ذكر آل النبي إذ قهروا	واللون منّي مع ذلك ملتمع
قالت قريش: ونحن أسرته	والناس ما عمروا لنا تبع
قالت قريش: منا الرسول فما	للناس في الملك دوننا طمع
قد علمت ذلك العريب فما	تصلح إلا بنا وتجتمع
فإن يكونوا في القول قد صدقوا	فقد أقروا ببعض ما صنعوا

---

١. راجع الإمام جعفر الصادق عليه السلام للجندي: ص٢٢٠. وفهرست ابن النديم: ص٢٢٤.

لأنّ آل الرســـــول دونهمـــــوا أولى بهــا منهمــوا إذا اجتمعــوا
وإنهـــم بالكتـــاب أعلمهـــم والقــب منــه والـسبق قــد جمعـوا
مـــا راقبـــوا الله في نبـــيّهم إذ بعــد وصــل أهلــه قطعــوا

فأُعجب بذلك، وزال همّه.[1]

وقال أبو خالد الكابلي:

رأيت أبا جعفر، صاحب الطاق وهو قاعد في الروضة، وقد قطع أهل المدينة أزراره، وهو دائب يُجيبهم، ويسألونه؛ فدنوت منه، وقلت: إنّ أبا عبـد الله نهانـا عن الكلام.

فقال: أو أمرك أن تقول لي؟

فقال: لا والله، ولكنّه عليه السلام أمرني أن لا أُكلّم أحداً.

قال: فاذهب وأطعه فيما أمرك.

فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فأخبرته بقصّة صاحب الطاق.

فتبسّم أبو عبد الله عليه السلام، وقال: يا أبا خالد، إنّ صـاحب الطـاق يُكلّـم النـاس؛ فيطير، وينقضّ، وأنت إن قصّوك؛ لن تطير.[2]

مناظراته واحتجاجاته

كان مؤمن الطاق يمتاز بقدرة فائقة على الجدل، وقوّة في التفكير، ومهارة في الإستنباط. وقد كاد المؤرّخون أن يُجمعوا على تفوّقه في سرعة الجواب، وقـوّة العارضة. ولا بأس هنا بذكر بعض احتجاجاته.

---

١. مختصر أخبار شعراء الشيعة: ص٨٧ رقم ٢٠، ترجمة مؤمن الطاق.

٢. راجع إختيار معرفة الرجال للطوسي: ج٢ ص٤٢٤ رقم٣٢٧.

الأفضل بعد الرسولﷺ

روي: إنّه ـ مؤمن الطاق ـ دخل يوماً مسجد الكوفة وفيه جماعة من المرجئة[1]، منهم: أبو حنيفة، وسفيان، ورجل من الحروريّة جيّد المناظرة فيهم، فلمّا رآه أبو حنيفة؛ قال للحروري: هذا رأس الشيعة، وعالمها؛ فهل لك في مناظرته؟

فقال ـ الحروري ـ : إذا شئت. فنهضا والجماعة وأتوا إليه، وهو قائم يُصلّي، فلم يزالوا حتّى فرغ، فسلّموا عليه، ثمّ قال له أبو حنيفة: قد أتينا للمناظرة.

فقال ـ مؤمن الطاق ـ : أظللتم دينكم فأنتم تطلبونه، ولولا ذلك لقلّت مناظرتكم فيه، ولاشتغلتم بالعمل، وإنّما يعمل المتّقون؛ إنّما العمل مع التقوى لسبيل، وقليله ينفع، وإنّه لقليل؛ قال الله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[2].

فقال الحروري: كلّ يدّعي التي تدّعي، لكن من إمامك؟

قال ـ مؤمن الطاق ـ : مَن نصّبه الله، ورسولهﷺ يوم الغدير.

قال ـ الحروري ـ : ما اسمه!؟

قال ـ مؤمن الطاق ـ : بيّنت!!

قال ـ الحروري ـ : فهو أبو بكر؟!

---

١. الإرجاء على معنيين: أحدهما: بمعنى التأخير، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ﴾. سورة الأعراف، الآية: ١١١. أي، أمهله وأخّره. والثاني: إعطاء الرجاء.

أمّا إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأوّل، فصحيح؛ لأنّهم كانوا يؤخّرون العمل عن النيّة، والعقد. وأمّا بالمعنى الثاني، فظاهر؛ فإنّهم كانوا يقولون: لا تضرّ مع الإيمان معصيّة كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

وقيل: الإرجاء: تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة؛ فلا يُقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنّة أو من أهل النار. الملل والنحل للشهرستاني: ج١ ص١٣٨، الفصل الخامس: المرجئة.

٢. سورة المائدة، الآية: ٢٧.

قال ـ مؤمن الطاق ـ: ذاك المردود يوم سورة براءة، وصاحبي المؤدّي عن الله، وعن رسوله صلى الله عليه وآله إلى أهل مكّة!؟

قال ـ الحروري ـ: ذاك أبو بكر!!

قال ـ مؤمن الطاق ـ: دعوى، أقم عليها بيّنة؟

قال ـ الحروري ـ: أنت المدّعي.

قال ـ مؤمن الطاق ـ: كيف أكون أنا المدّعي، وأنا المنكر لذلك! أنت تقول: هو ذاك، وأنا أقول: هو رجل قد اجتمعت عليه الأُمّة؛ وإنّه صاحب يوم الغدير. فكيف يكون الإجماع دعوى!؟ بل أنت المدّعي: إنّه أبو بكر.

قال الحروري: دعنا من هذا.

قال ـ مؤمن الطاق ـ: هذه واحدة لم تخرج منها؛ والحقّ بيدي حتّى تُقيم البيّنة.

قال الحروري: إنّ في أبي بكر أربع خصال، بان بها من العالم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ استحقّ بها الإمامة.

قال ـ مؤمن الطاق ـ: ما هي!؟

قال ـ الحروري ـ: الصدّيق. وصاحبه في الغار. والمتولّي للصلاة. وضجيعه في القبر.

قال ـ مؤمن الطاق ـ: أخبرني عن هذه المناقب؛ بان بها من جميع العالم!؟

قال ـ الحروري ـ: نعم.

قال ـ مؤمن الطاق ـ: فإنّ هذه مثالب.

قال ـ الحروري ـ: بقولك؟

قال ـ مؤمن الطاق ـ: بل بإقرارك!

قال ـ الحروري ـ: فهات إذن!؟

قال ـ مؤمن الطاق ـ: حتّى يحضر من يحكم بيننا.

قالت الجماعة: نحن الحكّام إذا ظهر الحقّ.

قال ـ مؤمن الطاق ـ: فالدليل على أنّها مثالب؛ هو أن تدلّ على مَن سمّاه صدّيقاً!؟

قال ـ الحروري ـ: رسول اللهﷺ!

قال ـ مؤمن الطاق ـ: فما العلّة، والمعنى الذي سُمّي به!؟

قال ـ الحروري ـ: لأنّه أوّل المسلمين.

قال ـ مؤمن الطاق ـ: هذا ما لم يقل به أحد على أنّه أوّل المسلمين؛ إنّما الإجماع على أنّ أوّل المسلمين، علي بن أبي طالبعليه السلام، وأوّل من آمن.[1] فما

---

١. أقول: لم يختلف المسلمون على أنّ علي بن أبي طالبعليه السلام أوّل الناس إسلاماً، بل اختلفوا في أهلية سنّه، وهل يمكن إعتماده في الأولويّة أم لا؟

وقد أغنى وسعنا ما روي: إنّ المأمون العبّاسي جمع عُصبة من علماء القوم، يقدمهم يحيى بن أكثم القاضي...

قال المأمون: فإنّي أسألكم: خبّروني أي الأعمال كان أفضل يوم بعث الله نبيّهﷺ؟

قالوا: السبق إلى الاسلام؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾. سورة الواقعة، الآية: ١٠و١١. قال: فهل علمتم أحداً أسبق من عليعليه السلام إلى الإسلام؟

قالوا: إنّه سبق حدثاً لم يجر عليه حكم، وأبو بكر أسلم كهلاً قد جرى عليه الحكم، وبين هاتين الحالتين فرق.

قال المأمون: فخبّروني عن إسلام عليعليه السلام بإلهام من قبل الله تعالى، أم بدُعاء النبيﷺ؟ فإن قُلتم: بإلهام. فضلتموه على النبيﷺ؛ لأنّ النبيﷺ لم يُلهم، بل أتاه جبرئيل عن الله تعالى داعياً، ومُعرّفاً. فإن قُلتم: بدعاء النبيﷺ. فهل دعاه من قبل نفسه، أو بأمر الله تعالى؟ فإن قلتم: من قبل نفسه. فهذا خلاف ما وصف الله تعالى به نبيّهﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾. سورة ص، الآية: ٨٦. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾. سورة النجم: الآية: ٣و٤. وإن كان من

تقولون أيّها الحكّام؟

قالوا: أجل، هو كما ذكرت.

قال الحروري: قد زعمتم: إنّه ما أشرك بالله قطّ.

قال ـ مؤمن الطاق ـ : ليس اتّباعه للرسولﷺ في وقت من الأوقات، وإن لم يكن مشركاً حدثاً يستحقّ به الإسلام.

قالت الجماعة: أجل.

فقال الحروري: أنا لا أقبل قول هؤلاء!!

قبل الله تعالى؛ فقد أمر الله تعالى نبيّهﷺ بدعاء عليّ عليه السلام من بين صبيان الناس، وإيثاره عليهم، فدعاه ثقة به، وعلماً بتأييد الله تعالى. وعلّة أُخرى: خبّروني عن الحكيم هل يجوز أن يُكلّف خلقه ما لا يطيقون؟ فإن قُلتم: نعم. فقد كفرتم. وإن قُلتم: لا. فكيف يجوز أن يأمر نبيّهﷺ بدعاء من لا يمكنه قبول ما يؤمر به؛ لصغره، وحداثة سنّه، وضعفه عن القبول!؟ راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج١ ص١٩٩، باب٤٥ ح١.

أقول: من المسلّم أنّ القوم حين يتعرّضون لذكر أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام يصفونه من بين الصحابة وحده بـ«كرّم الله وجهه»؛ لاعتبارهم بعدم كرامة من باشر الشرك بأي وجهٍ من وجوهه، دون الإلتفات إلى عُمُره؛ إمعاناً منهم إلى عظم ظُلم الشرك، وشديد تأثيره على روح الإنسان، ونفسه.

وعليه؛ فجميع المُحاججات، والمساجلات التي دارت حول إسلام عليّ عليه السلام: لا طائل من ورائها سوى إقناع المُغرّر بهم ممّن لم يتدبّروا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾. سورة الإسراء، الآية: ٣٦. وإلا ـ وبحسب وصفهم ـ متى أشرك عليّ عليه السلام حتّى يكون أوّل الناس إسلاماً!؟

لذلك جاء ردّ مؤمن الطاق على كلام الحروري من قوله: قد زعمتم: إنّه ما أشرك بالله قطّ.

قال مؤمن الطاق: ليس اتّباعه للرسولﷺ في وقت من الأوقات وإن لم يكن مشركاً حدثاً يستحق به الإسلام.

لله درّ الشاعر عبد الباقي العمري الفاروقي، وهو يصف أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام، قائلاً:

لقد ترعرعت في حجر عليه لذى	حجر براهين تعظيم بها قطعا
ربيب طه حبيب الله أنت ومن	كان المربّي له طه فقد برعا

قال ـ مؤمن الطاق ـ: فأنا أُساعدك! أمّا ما ذكرت: إنّه صدّيق. أليس زعمت: إنّ الله، ورسوله ﷺ سمّياه صدّيقاً، وإنّه ليس له في هذا الإسم مساوي؟

قال ـ الحروري ـ: نعم.

قال ـ مؤمن الطاق ـ للجماعة: اشهدوا عليه متى وجدنا في أصحاب الرسول ﷺ من اسمه صدّيق؛ سقطت حجّته عنّا.

قالوا: نعم.

قال ـ مؤمن الطاق ـ: هل تعلم أنّ رسول الله ﷺ، قال: «ما أقلّت الغبراء، ولا أظلّت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر»[1].

قال القوم: واحدة؛ خُصمت يا حروري.

قال الحروري: أنا لا أعرف هذه الرواية، فظلمه القوم!!

قال ـ مؤمن الطاق ـ: يا حروري! فهل تعرف القرآن!؟

قال ـ الحروري ـ: نعم.

قال ـ مؤمن الطاق ـ: فيلزمك ما فيه من الحجّة.

قال ـ الحروري ـ: نعم.

قال ـ مؤمن الطاق ـ: فقد شارك صاحبك في هذا الإسم المؤمنون جميعاً؛ قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[2].

قالت الجماعة: خُصمت يا حروري.

قال ـ مؤمن الطاق ـ: وأمّا ما ذكرت من أنّه صاحبه في الغار؛ فما رأيت الصاحب محموداً في القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي

---

١. مسند أحمد: ج٥ ص١٩٧، حديث أبي ذر.

٢. سورة الحديد، الآية: ١٩.

خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾[1]. وقال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾[2]. وقال العالم لصاحبه وهما في فضلهما ما هما إن سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني.

قال الحروي: ما هذا مثل ذاك.

قال ـ مؤمن الطاق ـ : أجل، إنّ ذاك نبي معصوم، وذا حكيم عليم قد علّمه الله علماً، ولم يعرفه موسى، ثمّ عرفه، فأقرّ له موسى، واستيقن أنّه ابن عمران ولكن لعلّك ـ صاحبك ـ يستحق المثل الأوّل، وهو قوله: إذ قال لصاحبه وهو يحاوره.

فقالت الجماعة: أعلنت أبا جعفر بما في نفسك.

قال ـ مؤمن الطاق ـ : ما قلت بأساً إنّما ذكرت الصحبة، فأحببت أن لا يحتجَّ بها للذي بيّن الله في كتابه عن الصاحب.

قال الحروي: هذا صاحبه في الغار؛ يلقى الأذى، ويصبر على الخوف.

قال ـ مؤمن الطاق ـ : هل كان صابراً وراجياً على ذلك ثواباً؟

قال ـ الحروري ـ : نعم.

قال ـ مؤمن الطاق ـ : أمّا السكينة فقد نزلت على غيره، وأمّا الحزن؛ فقد تعجّله، والأمر كما قال الله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[3]. ورسول الله صلى الله عليه وآله لا ينهي عن طاعة، وإنّما ينهي عن معصية. فقد عصى الله في حزنه وهو مع رسول الله صلى الله عليه وآله، واكتسب ذنباً، فهذا ممّا ينبغي لصاحبك أن تستغفر الله منه، ولو كان ثبت في كينونته في الغار؛ لقد كان الله أبان له ذلك فيه، إنّما كانت السكينة

---

١. سورة الكهف، الآية: ٣٧.

٢. سورة التكوير، الآية: ٢٢.

٣. سورة التوبة، الآية: ٤٠.

للرسولﷺ بصريح القول وبقوله: ﴿وَأَيَّدَهُ﴾[1]، فهل تقول بأنّه شارك أيضاً!؟

قال ـ الحروري ـ : نعم.

قال ـ مؤمن الطاق ـ : فهل أبان الله ذلك إذ كانت السكينة وكان المشارك فيها واحد كما أُنزلت على رسول اللهﷺ وهو في جماعة، فخصّت الرسولﷺ، وعمّتهم، حيث قال: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]. فأبانها له كما أبانها لهؤلاء، وإنّما قال الله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُ﴾.

قال الحروري: قوموا قد أخرجه ـ يعني، أخرج أبا بكر ـ عن الإيمان!

قال ـ مؤمن الطاق ـ : أنا لم أُخرجه؛ ولكنّك أنت أخرجته.

قال ـ الحروري ـ : أنت تقول أنا أخرجته!

قال ـ مؤمن الطاق ـ : يا حروري! بل أخرجته؛ وهذا كتابنا ينطق.

قالت الجماعة: اثنين يا حروري.

قال أبو جعفر ـ مؤمن الطاق ـ : وأمّا الصلاة؛ فلعمري، إنّكم تقولون ما استتمّها حتّى خرج النبيﷺ وأخرجه، وتقدّم فصلّى بالناس. فإن كان قدّمه ـ أي، النبيﷺ ـ للصلاة، وعددتم ذلك له فضلاً، فقد كان خروجه ـ أي، النبيﷺ ـ إلى الصلاة، وإخراجه من المحراب له؛ نقصاً. ولعمري، لقد كان فضلاً لو كان هو ـ أي، النبيﷺ ـ الذي أمره بالصلاة، وتركه على حاله، ولم يُخرجه منها.

قال الحروري: فلم يُخرجه، بل صلّى بالناس.

قال ـ مؤمن الطاق ـ : فهل كان النبيﷺ خلفه أم أمامه!؟

---

١. سورة التوبة، الآية: ٤٠.

٢. سورة الفتح، الآية: ٢٦.

قال ـ الحروري ـ: بل أمامه، ولكن كان هو المكبّر خلفه.

قال ـ مؤمن الطاق ـ: فمن كان إمام الناس في تلك الحال!؟

قال ـ الحروري ـ: رسول اللهﷺ إمام لأبي بكر وللناس جميعاً.

قال ـ مؤمن الطاق ـ: فإنّما منزلة أبي بكر بمنزلة الصفّ الأوّل على سائر الصفوف، مع أنّ هذه دعوى لم تُدعم. ثمّ أيضاً ما المعنى الذي أوقف أبا بكر في ذلك الموقف!؟

قال ـ الحروري ـ: يرفع صوته بالتكبير؛ ليُسمع الناس.

قال ـ مؤمن الطاق ـ: لا تفعل! تقع في صاحبك، وتُكذّب على رسول اللهﷺ.

قالت الجماعة: وكيف ذلك؟

قال ـ مؤمن الطاق ـ: لأنّ الله تعالى يقول: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾[1]. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[2]. فهي أن تُرفع الأصوات فوق صوتهﷺ، وأمره أن يرفع صوته، فقد نهى عنه، ووعد من غضّ صوته مغفرة، وأجراً، عظيماً؛ فهل تُجيز لصاحبك فعل ذلك؟

قال الحروري: ليس هذا من ذاك، إنّما أوقف أبا بكر ليُسمع الناس التكبير.

قال ـ مؤمن الطاق ـ: هذه حدود مسجد رسول اللهﷺ معروفة الطول والعرض، فهل نحتاج إلى مُسمِع!؟ وأيضاً فإنّ النبيﷺ كان في حال ضعفه أقوى من قويّهم في حال شبابه.

---

١. سورة الحجرات، الآية: ٢.

٢. سورة الحجرات، الآية: ٣.

قالت الجماعة: هذه ثلاثة يا حروري.

قال ـ مؤمن الطاق ـ : وأمّا ما زعمت: إنّه ضجيعه في قبره. فخبّرني أين قبره؟

قال ـ الحروري ـ : في بيته.

قال ـ مؤمن الطاق ـ : لعلّه في بيت عمر!؟

قال ـ الحروري ـ : بل في بيته صلى الله عليه وآله.

قال ـ مؤمن الطاق ـ له: أوليس قد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[١]؟ فهل استأذناه؛ فأذن لهما؟ ثمّ الخاصّ والعامّ يعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سدّ أبوابهما في حال حياته حتّى أنّ أحدهما قال: أترك لي كوّة أو خوخة؛ أنظر إليك منها. قال صلى الله عليه وآله: لا، ولا مثل الإصبع. فأخرجهما، وسدّ أبوابهما. فأقم أنت البيّنة على أنّه أذن لهما.

قال الحروري: ذلك بفرض من الله.

قال ـ مؤمن الطاق ـ له: بأي وصي أو بأي حجّة!؟

قال ـ الحروري ـ : بما لا يُدفع؛ وهو ميراث ابنتيهما من البيت.

قال ـ مؤمن الطاق ـ له: قد استحقّا ثُمناً من بين تسع حشايا كُنّ لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ فقد ظلمت صاحبك وهو يُجحد فاطمة عليها السلام ميراث أبيها صلى الله عليه وآله، وأنت تزعم: إنّ ميراث النساء قد أوجبه لابنتيهما، وأسقط الكثير من ميراث فاطمة عليها السلام. وإن أحببت أجبتك إلى ما ادّعيت من الميراث، فنظرنا هل يصير لابنتيهما على قدر الحصّة من الحصص التسع؛ فعلنا.

فقال أبو حنيفة والثوري: قُم ويلك! كم تُزري عليهما، وتُلزمهما الحجّة؟ إذا

---

١. سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

كان هكذا من أنّ النبيﷺ لا يورّث، وقد احتمل لك أبو جعفر الحجّة، وطلبت المقاسمة؛ والله، ما يصير لهما قدر ذراعين في البيت.

فالتفت أبو جعفر ـ مؤمن الطاق ـ إلى الجماعة، وقال: قد أبصرتم، وسمعتم مع أنّي لم أذكر أشياء أُخر؛ إدّخرتها. ثمّ التفت إلى الحروي، وقال: إذا كنّا نعلم أنّ حرمة رسول اللهﷺ وهو ميّت كحرمته وهو حي، وقد أمر الله أن تُغض الأصوات عنده، وأثاب فاعل ذلك، ومعتمده؛ فمَن جعل لأبي بكر، وعمر أن يُضرب بالمعاول عندهﷺ؛ لدفنهما؟! فانقطع، وكأنّما أُخرس لسانه. فالتفت إليه الجماعة، وقالوا: يا أبا جعفر، أنت الذي لا يقوم لك مناظر، ولا تُؤخذ عليك حجّة. وقاموا وعليهم الخزية؛ وسمّوه من ذلك الوقت: شيطان الطاق.[1]

لم تبرّأتم من عليعليه السلام

عن أبي مالك الأحمس، قال: خرج الضحّاك الشاري بالكوفة، فحكم وتسمّى بإمرة المؤمنين، ودعى الناس إلى نفسه، فأتاه مؤمن الطاق، فلمّا رأته الشُراة[2]؛ وثبوا في وجهه! فقال لهم: جائح[3]. فأتوا به صاحبهم، فقال له مؤمن الطاق: أنا رجل على بصيرة من ديني، فأحببت الدخول معكم.

فقال الضحّاك لأصحابه: إن دخل هذا معكم؛ نفعكم.

ثمّ أقبل مؤمن الطاق على الضحّاك، فقال: لم تبرّأتم من عليّ بن أبي طالب، واستحللتم قتله وقتاله؟!

قال الضحّاك: لأنّه حكّم في دين الله.

---

١. مختصر أخبار شعراء الشيعة للمرزباني: ص٩٠.

٢. الشراة ـ بضمّ المعجمة، وتخفيف الراء ـ: وهم الخوارج. سُمّوا بذلك لقولهم: إنّا شرينا أنفسنا في طاعة الله. أي، بعناها بالجنّة!!

٣. أي، أنا مائل إليكم. من قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَاجۡنَحۡ لَهَا﴾. سورة الأنفال، الآية: ٦١.

قال مؤمن الطاق: وكلّ مَن حكّم في دين الله، استحللتم دمه، وقتاله، والبراءة منه!؟

قال: نعم.

قال مؤمن الطاق: فأخبرني عن الدين الذي جئت أناظرك عليه؛ لأدخل معك، إن غلبت حجتي حجتك أو حجتك حجتي؛ مَن يوقف المخطي على خطأه، ويحكم للمصيب بصوابه؟ فلا بدّ لنا من إنسان يحكم بيننا، فأشار الضحّاك إلى رجل من أصحابه، وقال: هذا الحكم بيننا، فهو عالم بالدين.

قال مؤمن الطاق: وقد حكّمت هذا في الدين الذي جئت أُناظرك فيه؟

قال: نعم.

فأقبل مؤمن الطاق على أصحاب الضحّاك، فقال: إنّ صاحبكم قد حكّم في دين الله؛ فشأنكم به. فضربوا الضحّاك بأسيافهم حتّى سكت.[١]

مع أبي حنيفة

كثيرة هي المناظرات بين مؤمن الطاق وأبي حنيفة، منها:

روى ابن حجر في لسان الميزان، قال: وقعت له مناظرة مع أبي حنيفة في شيء يتعلّق بفضائل عليعليه السلام؛ فقال أبو حنيفة كالمنكِر عليه: عمّن رويت حديث ردّ الشمس لعليعليه السلام.[٢]

---

١. راجع إختيار معرفة الرجال للطوسي: ج٢ ص٤٢٦ رقم٣٣٠، ترجمة أبي جعفر الأحول.

٢. راجع كشف الخفاء للعجلوني: ج١ ص٢٥٤ رقم٦٧٠. وفيه: إنّ الشمس رُدّت على علي بن أبي طالب. قال الإمام أحمد: لا أصل له. وقال ابن الجوزي: موضوع. لكن خطّؤوه. ومن ثمّ قال السيوطي: أخرجه ابن مندة، وابن شاهين عن أسماء بنت عميس، وابن مردويه عن أبي هريرة، وإسنادهما حسن.

وصحّحه الطحاوي، والقاضي عياض. قال القاري: ولعلّ المنفي ردّها بأمر علي، والمُثبت بدعاء النبيصلى الله عليه وآله.

وأقول: في عمدة القاري للعيني كفتح الباري للحافظ ابن حجر: إنّ الطبراني، والحاكم، والبيهقي في

فقال مؤمن الطاق: عمّن رويت أنت عنه: يا سارية، الجبل.[١]

وروى الخطيب البغدادي في تاريخه، قال: كان أبو حنيفة يتّهم شيطان الطاق بالرجعة، وكان شيطان الطاق يتّهم أبا حنيفة بالتناسخ، فخرج أبو حنيفة يوماً إلى السوق، فاستقبله شيطان الطاق ـ مؤمن الطاق ـ ومعه ثوب يريد بيعه، فقال له أبو حنيفة: أتبيع هذا الثوب إلى رجوع علي؟! فقال: إن أعطيتني كفيلاً أن لا تُمسخ قرداً؛ بعتك. فبهُت أبو حنيفة.

وفيه أيضاً: لمّا مات جعفر بن محمدعليهما السلام إلتقى هو ـ يعني، مؤمن الطاق ـ وأبو حنيفة، فقال له أبو حنيفة: أمّا إمامك فقد مات.

فقال له... الطاق: أمّا إمامك فمن المنظرين[٢] إلى يوم الوقت المعلوم.[٣]

الدلائل، أخرجوا عن أسماء بنت عميس: إنّ النبيصلى الله عليه وآله نام على فخذ علي حتّى غابت الشمس، فلمّا استيقظ رسول اللهصلى الله عليه وآله، قال عليعليه السلام: يا رسول الله، إنّي لم أُصلّ العصر. فقال النبيصلى الله عليه وآله: اللهمّ، إنّ عبدك علياً احتسب بنفسه على نبيّك، فردّها عليه. قالت أسماء: فطلعت الشمس حتّى وقعت على الجبال، وعلى الأرض، ثمّ قام علي فتوضّأ وصلّى العصر، وذلك بالصهباء.

قال الطحاوي: وكان أحمد بن صالح يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم أن يتخلّف عن حفظ حديث أسماء؛ لأنّه من أجلّ علامات النبوّة. قال: وهو حديث متّصل، ورواته ثقات، وإعلال ابن الجوزي له لا يُلتفت إليه. إنتهى.

وأقول: قد ذكرنا في الفيض الجاري، في باب قول النبيصلى الله عليه وآله: «أحلّت لكم الغنائم »: إنّ قصّة علي في ردّ الشمس بعد مغيبها، وإنّها رُدّت لنبيّناصلى الله عليه وآله أيضاً في وقعة الخندق، حين شُغل عن صلاة العصر حتّى صلاها، وكذا رُدّت لسليمان بن داودعليهما السلام على قول بعضهم. وأمّا حبسها عن المغيب؛ فقد وقع ليوشع بن نون، وقبله لموسى بن عمران، ووقع بعدهما لسليمان بن داود، وأيضاً لنبيّناصلى الله عليه وآله عن الطلوع ليلة الإسراء.

١. لسان الميزان: ج٥ ص٣٠٠ رقم١٠١٧، ترجمة أبي جعفر الأحول.

٢. أي، إنّ إمامك ـ إبليس ـ حيث قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾. سورة الأعراف، الآية: ١٥.

٣. تاريخ بغداد: ج١٣ ص٤٣٦ رقم٧٢٩٧، ضمن ترجمة النعمان بن ثابت.

مؤلّفات مؤمن الطاق

لا شك أنّ مؤمن الطاق يُعدّ من الذين لا يُشقّ لهم غبار في ميدان علم الكلام، ومن الفرسان الذين حملوا لواء التشيّع، ونصروه بالأموال، والأنفس، واللسان، والقلم. قد آثر الأذى في جنب الله. وله مواقف مُشرّفة في الدفاع عن مظلوميّة آل بيت رسول الله ﷺ، كما أنّه ألّف كُتباً قيّمة في مختلف المواضيع، نذكر منها:

١. كتاب الإمامة.

٢. كتابة المعرفة.

٣. كتاب الردّ على المعتزلة في إمامة المفضول.

٤. كتاب في أمر طلحة، والزبير، وعائشة.

٥. كتاب إثبات الوصيّة.

٦. كتاب افعل، لا تفعل.

وله كتاب المناظرة مع أبي حنيفة.[١]

وقفة مع الإسقاطيّة[٢]

تشعّبت مفتريات الإسقاطيّة على مؤمن الطاق بوجه الخصوص، حتّى تحدّرت بمهاوي خطرة، باعثهم لذلك ما كانوا يُشكّلونه من خصومة غير نبيلة بحقّه، وملاحّات دنيئة موروثة قد ناصبوها لآل محمد ﷺ. وبقصد الحطّ من

---

١. معالم العلماء لابن شهرآشوب: ص١٣٠ رقم٦٥٨. وفهرست ابن النديم: ص٢٢٤، ترجمة شيطان الطاق ـ مؤمن الطاق ـ. والإمام جعفر الصادق عليه السلام للجندي: ص٢٢١.

٢. الإسقاط: في اللغة: الملصق. يُقال: وضع فلان على فلان كذا. أي، ألصق به. وهو أيضاً: الحطّ. توضيح الأفكار للصنعاني: ج٢ ص٦٨، مسأل في الموضوع وحكمه.

مؤمن الطاق وجدناهم قد ألصقوا به في التشبيه[1] ما ألفوا عليه أئمّتهم فيه، وإلى

---

١. كما ورد عن البخاري، قوله: حدّثنا آدم، حدّثنا شيبان، حدّثنا قتادة، عن أنس بن مالك: قال النبيّ ﷺ: لا تزال جهنم تقول هل من مزيد. حتّى يضع ربّ العزّة فيها قدمه؛ فتقول: قطّ قطّ، وعزّتك. ويزوي بعضها إلى بعض. رواه شعبة، عن قتادة. صحيح البخاري: ج٦ ص٢٤٥٣، باب الحلف بعزّة الله، وصفاته، وكلماته، رقم٦٢٨٤.

وفيه أيضاً: حدّثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأغر، عن أبي هريرة: إنّ رسول الله ﷺ، قال: ينزل ربّنا تبارك وتعالى كُلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني؛ فأستجيب له. من يسألني؛ فأعطيه. من يستغفرني؛ فأغفر له. صحيح البخاري: ج١ ص٣٨٤، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، رقم١٠٩٤.

والسيوطي، والألكائي، والسيوطي، بسندهم: عن القاسم بن محمد بن أبي بكر، عن أبيه، عن عمّه، عن جدّه ـ أبو بكر الصدّيق ـ : عن النبيّ ﷺ، قال:

ينزل الله إلى السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان؛ فيغفر لكلّ شيء إلا رجل مشرك أو رجل في قلبه شحناء. شُعب الإيمان: ج٣ ص٣٨٠ رقم٣٨٢٧. اعتقاد أهل السنّة: ج٣ ص٤٣٨ رقم٧٥٠، أبو بكر الصدّيق. الدرّ المنثور: ج٧ ص٤٠٣، مورد تفسير سورة الدخان، الآية: ٤.

وروى عبد بن حميد، بسنده: عن عائشة، قالت: فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة، فخرجت؛ فإذا هو بالبقيع، رافع رأسه إلى السماء، فقال: يا عائشة، أكنت تخافين أن يحيف الله عليك، ورسوله!؟

قالت: قلت: ما بي ذاك يا رسول الله، ولكنّي ظننت أنّك أتيت بعض نسائك. فقال: إنّ الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان؛ فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب. مسند عبد بن حميد: ج١ ص٤٣٧ رقم١٥٠٩. ورواه السيوطي في الدرّ المنثور: ج٧ ص٤٠٤، مورد تفسير سورة الدخان، الآية: ٤.

والنسّائي بهذا المعنى عن أبي هريرة رواه في السنن الكبرى: ج٦ ص١٢٥ رقم١٠٣١٨ و١٠٣١٩. وابن حبّان عن ابن عمر رواه في صحيحه: ج٥ ص٢٠٦ـ٢٠٧. وغيرهما عن جملة من الصحابة بالمعنى نفسه. فراجع.

وروى الطبري، قال: ولكلّ قول من هذه الأقوال وجه، ومذهب، غير أنّ الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله ﷺ، وهو ماحدّثني به عبد الله بن أبي زياد القطواني، قال: حدّثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن خليفة، قال: أتت امرأة النبيّ ﷺ، فقالت: ادع الله أن يُدخلني الجنّة!

فعظّم الربّ تعالى ذكره، ثمّ قال: إنّ كرسيه وسع السماوات والأرض، وإنّه ليقعد عليه، فما يفضل منه

غير ذلك من الأقاويل.

ولاشكّ فإنّ إطلاق الإدّعات عموماً إنّما قد ساعد عليه أسباب، منها:

ما قام على بيّنة؛ كتلك التي لم يبرأ منها أحد من عِلية القوم، بل ولا حتّى من أئمّتهم[١]. وأُخرى لا تعدوا كونها مجرّد خلطاً للأوراق، علّهم يلتمسوا بعد ذلك خيطاً يُنقذوا به أنفسهم، فضلاً عن أئمّتهم.

وعليه، فإنّ الذي ألصقوه بمن أفنى عمره تحت أيدي أئمّة الهدى من آل النبي عليهم السلام، إنّما هو لعمر الحقّ فرية، وتقوّل بالباطل لم ينهض ببيّنة. وليس اتّهام مؤمن الطاق ـ وأمثاله من الموحّدين، المؤمنين الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله، وتمسّكوا بعده صلى الله عليه وآله بالثقلين: كتاب الله، وعترت النبي عليهم السلام؛ أهل بيته ـ سوى لما كان يُشكّله من خطر حقيقي على ذوي الآراء الفاسدة، والعقائد الباطلة في إرغامهم بالدليل القاطع، والبرهان الساطع على الإعتراف بفساد رأيهم، وبطلان مذهبهم.

مقدار أربع أصابع ـ ثمّ قال بأصابعه فجمعها ـ وإنّ له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد إذا ركب من ثقله. تفسير الطبري: ج٣ ص٦، مورد تفسير سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

إلى غير ذلك من الزور، والتجديف على الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله قد شُحنت بهما كُتُبهم، وفاضت عنهما عقائدهم. فليس على من توخّى الإنصاف سوى مراجعة الصحاح الستّة عندهم، ناهيك عن غيرها.

١. راجع كتاب: دفع شبهة التشبيه لابن الجوزي. والسيف الصقيل للسبكي، ومقالات الإسلاميين للأشعري، وإيضاح الدليل لإبن جُماعة، ورؤية الله للدارقطني، وغيرها.

أقول: وروى ابن بطوطة، قال: وكان بدمشق من كبار فقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيميّة، كبير الشام، يتكلّم في الفنون... وكنت إذ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع، ويُذكّرهم، فكان من جملة كلامه، أن قال: إنّ الله ينزل من سماء الدنيا كنزولي هذا. ونزل درجة من درج المنبر؛ فعارضه فقيه مالكي يُعرف بـ«ابن الزهراء» وأنكر ما تكلّم به؛ فقامت العامّة إلى هذا الفقيه، وضربوه بالأيدي، والنعال.... رحلة ابن بطوطة: ج١ ص١٠٩.

وفي رواية ابن حجر، قال: فذكروا: إنّه ذكر حديث النزول؛ فنزل عن المنبر درجتين، فقال: كنزولي. أنظر الدرر الكامنة: ج١ ص١٨٠.

حتّى كان لمؤمن الطاق ـ وساير خواصّ آل محمّدﷺ ـ أن بذل جهده في مقاومة أولئك الخصوم الذين كان مرامهم، وغرضهم الفتك بالإسلام وأهله.

ويكفي ببراءة مؤمن الطاق ما ورد فيه من المدح، والثناء عليه من قبل الأئمّة الهداة المهديّين عليهم السلام، كتأكيد منهم عليهم السلام على سموّ منزلته، وحسن اعتقاده، وصحّة عرفانه بالله سبحانه وتعالى.

لقد صحّ عن الإمام الصادق عليه السلام، قوله: أربعة أحبّ الناس إليّ أحياءً وأمواتاً: يزيد بن معاوية العجلي، وزرارة بن أعين، ومحمّد بن مسلم، وأبو جعفر الأحول.[1]

وعليه، فلا تضرّه بعد ذلك سفاسف أولئك الذين ألقوا مقاليد دينهم لأهوائهم، حتّى رموه بما لا يليق بسواهم؛ فضلّوا وأضلّوا.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[2].

١٤. هشام بن الحكم[3]

هشام بن الحكم الكندي، أبو محمّد البغدادي، كانت نشأته بالكوفة وواسط، وكان يدخل بغداد للتجارة، فاستقرّ بها بعد حين، ونزل قصر وضّاح بالكرخ من مدينة السلام.

وبحكم عمل هشام كتاجر، وأثناء رحلاته، وانتقاله من بلد إلى آخر، تجده كان شديد الحرص على إرشاد الناس لمذهب أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله

---

١. إختيار معرفة الرجال للطوسي: ج٢ ص٤٢٣ رقم٣٢٦.

٢. سورة النساء، الآية: ١١٢.

٣. أنظر ترجمته في: إختيار معرفة الرجال للطوسي: ج٢ ص٥٢٧، رجال النجاشي: ص٤٣٣ رقم١١٦٤، رجال ابن داود: ص٢٠٠رقم١٦٧٤.

عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وكان أشرس مدافع عن التوحيد كما أبرزته مساجلاته، ومناظراته التي كافح فيها عن معتقده الحقّ أمام الزنادقة، والملحدين بما كان منه إفحامهم بإسقاط حججهم؛ حتّى رجع كثير منهم إلى التوحيد الصحيح، تسليماً لقوّة حُجّته، وخضوعاً لصواب إحقاقه.

ويُعدّ هشاماً أحد تلامذة الإمام الصادق عليه السلام، ومن خواصّ الإمام الكاظم عليه السلام. وقد استوطن الكوفة في الوقت الذي نشط فيها الكلام، وصارت جامعة لآراء المذاهب، وموطناً لاختلافهم، حتّى ازدهرت أرجاؤها بحلقات، العلم ورجال الفكر، فكانت هناك المساجلات، والجدل، والخصومات، والنزاع بين أصحاب المذاهب المختلفة، والآراء المتفرّقة، والفرق المتعدّدة التي اتّخذت من علم الكلام وسيلة للمحاججة على الخصوم، وذراع تأييد في الدفاع، والهجوم.

ومن بين تلك الخطوط العميقة كان هشام بن الحكم من الشخصيّات التي تمتاز بقوّة الشخصيّة، وقدرة التفوّق والمهارة، وشدّة الخصومة، وقوّة المحاججة؛ ممّا جعلته مطمحاً لأنظار علماء عصره.

ويصفه ابن النديم بقوله: هشام بن الحكم من متكلّمي الشيعة، ممّن فتق الكلام في الإمامة، هذّب المذهب والنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام، حاضر الجواب، سُئل هشام عن معاوية: أشهد بدراً؟ قال: نعم، من ذلك الجانب.[1] أي، من جانب المشركين.

ويقول الشهرستاني: هشام بن الحكم صاحب غور في الأُصول، لا يجوز أن يغفل عن إلزاماته على المعتزلة، فإنّ الرجل وراء ما يلزمه الخصم، ودون ما يظهره من التشبيه؛ وذلك أنّه ألزم العلاف، فقال: إنّك تقول: الباري تعالى عالم

---

١. الفهرست: ص٢٢٣.

بعلم، وعلمه ذاته فيشارك المحدثات في أنّه عالم بعلم، ويباينها في أنّ علمه ذاته، فيكون عالماً لا كالعالمين. فلم لا تقول أنّه جسم لا كالأجسام، وصورة لا كالصور، وله قدر لا كالأقدار، إلى غير ذلك!؟[1]

وقال الزركلي: هشام بن الحكم، الشيباني بالولاء، الكوفي، أبو محمد، متكلّم، مناظر، كان شيخ الإماميّة في وقته.[2]

ويقول الدكتور أحمد أمين المصري: أمّا هشام بن الحكم؛ فيظهر أنّه أكبر شخصيّة شيعية في علم الكلام، وكان من تلاميذ جعفر الصادقعليه السلام، وكان جدلاً، قوي الحجّة، ناظر المعتزلة وناظروه، ونقلت في كتب الأدب له مناظرات كثيرة تدلّ على حضور بديهته، وقوّة حجّته.[3]

عصر هشام

إمتاز عصر هشام بكثرة التيارات، والفرق، والمذاهب المبتنية على أُسس عقائدية قد أرست في أذهان معتنقيها أفكاراً من الصعوبة بمكان أن يتخلّوا عنها، أوإقناعهم على تغييرها؛ الأمر الذي ساعد بدوره على وفرة أرباب الكلام بجميع أُصوله، وازدياد مرابع أهل المناظرة، والجدل بمختلف الفنون.

والرغبة المُلحّة في النظر والجدال قد جعلت من تلك الأُصول الكلاميّة أن تستقيم في بنائها على قواعد منطقيّة ليس من السهل على أحد الوقوف أمام تفنيدها، فكانت تُعقد مجالس المناظرة والجدل، وتُشدّ الرحال للإحتكام والمحاججة في شتّى مجالات الإعتقاد، لا سيّما فيما يخصّ الإمامة؛ لأنّها الأصل

---

١. الملل والنحل: ج١ ص١٧٢.

٢. الأعلام: ج٨ ص٨٥، ترجمة هشام بن الحكم.

٣. الإمام الصادقعليه السلام والمذاهب الأربعة لأسد حيدر: ج٢ ص٨٠.

الأصيل الذي عليه مدار الخلاف بين المسلمين؛ لما يكتنفها من تسويغ الإمام إستيلاءه على العباد والبلاد بما يستحقّه من وجوب الطاعة كولي على الأمّة الإسلاميّة شرعاً، ولا يمنعه عن التصرّف مطلقاً؛ لدليل قول رسول الله صلى الله عليه وآله: ألستم تعلمون أنّي أولى بكم من أنفسكم؟[١] والذي يقتضي أن يكون حجّة من الله إلى عباده.

فالملوك والسلاطين الأمويّة، ومن بعدها العبّاسيّة، حاولوا أن يلجموا الأفواه، ويحجروا على العقول من خلال سلب حريّة القول في الرأي والعقيدة، ولكن من دون طائل، فسار الناس سيرتهم بما يرون رغم الإرهاب والتهديد، ولم يقدر الحكّام البائدة أن يوقفوا سيل الكلام في الإمامة، ولا لغمائمهم أن تحول من انتشار نورها، حتّى خطف سنا برقها الأبصار، مؤيّدة بالحقّ من الكتاب والسنّة.

نعم، إنّ إثبات الإمامة في الأئمّة الإثنى عشر، وإثبات الخلافة لهم قد أتى على الملوك الغاصبين، وهدّم عروشهم.

وفي هذا الأمر قد شدّ هشام حيازيمه في سوح الوغى خدمةً للحقّ وأهله، ونشراً لمبادئ الإسلام وشرعه، حتّى غدى مفخرة من مفاخر الأُمّة الإسلاميّة لما جنّد نفسه للتصدّي في الردّ على أعداء الدين، ورفع الغشاوة عن عقول بعض المغرّر بهم من أهل المسلمين.

ولمّا كان من هشام ما قد عرفت من التفوق والغلبة، وقوّة الحجّة، وسرعة البديهة في الجواب؛ نسبه الإسقاطيّة إلى ما لا يليق بشأنه، ولا يتّسق مع اعتقاده،

---

١. راجع سنن النسّائي: ج٥ ص١٣٤ رقم ٨٤٨٠.

أقول: وابن حجر روى حديث الغدير، قائلاً: حديث صحيح لا مريّة فيه، وقد أخرجه جماعة كالترمذي، والنسّائي، وأحمد، وطرقه كثيرة جداً. ومن ثمّ رواه ستّة عشر صحابياً. وفي رواية لأحمد: إنّه سمعه من النبي صلى الله عليه وآله ثلاثون صحابياً، وشهدوا به لعلي عليه السلام لمّا نوزع أيام خلافته.

فأجروا عليه نفس الحكم الذي أجروه على صنوه مؤمن الطاق، فألصقوا به من صنوف المفتريات، والطعون الشائنة ما هم أهلاً له، وأليق.

صلته بالإمام الصادق عليه السلام

اتّصل هشام بمدرسة الإمام الصادق عليه السلام، وأصبح من أبرز رجالها في الحكمة والكلام، والدراية والعرفان، والحديث، والفقه. وله أصل يرويه الشيخ الطوسي عن جماعة من الأصحاب.

ويقال: إنّه كان على رأي الجهميّة قبل اتّصاله بالإمام الصادق عليه السلام، ولمّا رأى من هيبة الإمام عليه السلام، وسمو روحانيّته، وما سمعه من أجوبته عليه السلام لسائليه وقد اكتظّ المجلس بوفود الأمصار وطلاّب العلوم، حتّى أوقع في قلبه من حسن بيانه، وعذوبة ألفاظه ما أفقده الإعتزاز بنفسه، وعرف مقدار عجزه عن مقابلته في المسائلة؛ فعرف الحقّ حينها؛ فأتبعه.

حتّى أصبح فيما بعد من خواصّ الإمام الصادق عليه السلام، وراويّ للأحاديث عنه عليه السلام في مختلف الأحكام، حتّى كان الإمام عليه السلام يُكرمه، ويرفع من مقامه. وكان أيضاً من أبرز رجال المدرسة الجعفريّة، ومن أشهر رجال الحكمة والكلام، لما كان يُمثّله من مواقف بطولية، وجرأة أدبيّة، ساعدت في تفوّقه على مناوئيه بوضوح الحجّة، وسطوع البرهان، الأمر الذي عُزي لاستجابة الله عزّ وجلّ دعاء الإمام الصادق عليه السلام بحقّه، في قوله: يا هشام، لا زلت مؤيّداً بروح القدس.[1]

ولطالما جرى بحث الإمامة بين هشام وخصومه؛ حتّى أنّ في واحدة من المناظرات قد اشتدّ الجدال قبل أن تكون الغلبة لهشام في مجلس البرمكي،

---

١. أُنظر معالم العلماء لابن شهرآشوب: ص٨٦٢. ومعجم رجال الحديث للخوئي: ج١٩ ص٢٧١ رقم١٣٣٢٩، ترجمة هشام بن الحكم. والإمام جعفر الصادق عليه السلام للجندي: ص٢٢٢.

والرشيد يسمع من وراء الستر، فغضب الرشيد؛ وقال: إنّ لسان هشام أوقع في نفوس الناس من ألف سيف.[١]

وبعدأن تزايد اتّساع نشاط هشام، وأشتهر تفوّقه على خصومه، إزداد تخوّف هارون العبّاسي؛ فحاول الفتك به، والقضاء عليه، غير أنّ العناية الإلهيّة أبعدت سوء فعله؛ فما قدر عليه.

نعم، إنّ هشاماً كان شديد الإخلاص، قوي الإيمان، راسخ العقيدة، مادام مدافعاً عن مذهب الحقّ، يتشدّد في مناقشاته للخلافات المذهبيّة مع سائر الفرق الإسلاميّة، ويُفنّد آراء المتكلّمين ممّن تأثّروا بانتقال الفلسفة اليونانيّة، حتّى يخرج منتصراً في جميع مواقفه. فضلاً عمّا عُرف عن شدّة مناظراته ومحاورته في الإمامة، وانتصاره لأرومة مذهب الحقّ، مذهب أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً؛ أصحاب الحقّ الشرعي في خلافة الرسولﷺ.

وقبل أن يلتحق الإمام الصادقعليه السلام إلى جوار ربّهعزّ وجلّ، كان هشام قد اغترف عنهعليه السلام غرفةً من العلم، والفقه، والحديث، والتفسير وغيرها، ثمّ مضى ليتزود عن خليفته من بعده، الإمام موسى بن جعفرعليهما السلام، وأصبح من خواصّه أيضاً، آخذاً عنهعليه السلام علماً جمّاً، فضلاً عن الحديث.

ومن بين عصري الإمامين الهمامينعليهما السلام صارت لهشام مدرسة متفرّعة عن أصل ما أخذ عنه، ترعرع فيها جمّ غفير من الطلبة الأوفياء الذين أخذوا مروياتهم عنه، ونضّدوها في كتب الفقه، والحديث. منهم:

النضر بن سدير الصيرفي الكوفي من تلامذة الإمام الكاظمعليه السلام وكان من الثقاة

---

١. الإمام جعفر الصادقعليه السلام للجندي: ص٢٢٢. والإمام الصادقعليه السلام والمذاهب الأربعة لأسد حيدر: ج٢ ص٨١.

المشهورين بالعدالة، وصحّة الحديث.[١]

ونشيط بن صالح العجلي الكوفي، عدّه الشيخ الطوسيِ في رجاله من تلامذة الصادق والكاظم عليهما السلام.[٢]

ويونس بن عبد الرحمن، مولى آل يقطين، كان من أصحاب الكاظم والرضا عليهما السلام، وله مؤلّفات كثيرة، وكان ثقة عظيم المنزلة.[٣]

وغير هؤلاء ممّن لا مجال لذكرهم.

مؤلّفات هشام

ولهشام مؤلّفات كثيرة، منها:

١. كتاب الإمامة.
٢. كتاب الدلالات على حدوث الأشياء.
٣. كتاب الردّ على الزنادقة.
٤. كتاب الردّ على أصحاب الإثنين.
٥. كتاب الردّ على هشام الجواليقي.
٦. كتاب الردّ على أصحاب الطبائع.
٧. كتاب الشيخ والغلام.

---

١. أنظر أحسن التراجم للشبستري: ج٢ ص١٧٤.

٢. رجال الشيخ الطوسي: ص٣٢. ورجال النجاشي: ص٤٢٩ رقم١١٥٣، وخلاصة الأقوال للحلّي: ص٢٨٦. وجامع الرواة للأردبيلي: ج٢ ص٢٩٠.

٣. أنظر رجال النجاشي: ص٤٤٦ رقم١٢٠٨، ورجال الكشّي: ص٤٨٢ ح٩١٠ وخلاصة الأقوال للحلّي: ص٢٩٦. والفهرست للطوسي: ص٢٦٦، باب يونس. ورجال الشيخ الطوسي: ص٣٦٤ و٣٩٤، وجامع الرواة للأردبيلي: ج٢ ص٣٠٦. والفهرست لابن النديم: ص٢٧٦.

٨. كتاب التدبير.

٩. كتاب الميزان.

١٠. كتاب الردّ على من قال بإمامة المفضول.

١١. كتاب اختلاف الناس في الإمامة.

١٢. كتاب الوصيّة والردّ على مَن أنكرها.

١٣. كتاب في الجبر والقدر.

١٤. كتاب الحكمين.

١٥. كتاب الردّ على المعتزلة في طلحة والزبير.

١٦. كتاب القدر.

١٧. كتاب الألفاظ.[1]

نماذج من مناظرات هشام

كان هشام بن الحكم يناظر أهل الكلام، ويردّ على الملاحدة والزنادقة، ويكاد المؤرّخون يُجمعون على تفوّقه في المناظرة. دونك نماذج من مناظراته:

مناظرته في التوحيد

جاء إليه رجل ملحد، فقال له: يا هشام، أنا أقول بالإثنين، وقد عرفت إنصافك، ولست أخاف مشاغبتك.

فقام هشام ـ وهو مشغول بثوب ينشره ـ وقال: حفظك الله، هل يقدر أحدهما أن يخلق شيئاً لا يستعين بصاحبه عليه؟

قال: نعم.

---

١. الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة لأسد حيدر: ج٢ ص٨٣.

قال هشام: فما ترجو من اثنين؟ واحد خلق كلّ شيء أصح لك.

فقال الرجل: لم يكلمني أحد بهذا قبلك.[1]

مناظرته في الإمامة

اجتمع هشام في إحدى رحلاته إلى البصرة بعمرو بن عبيد؛ وتناظرا في الإمامة. وكان عمرو يذهب إلى أنّ الإمامة اختيار من الأُمّة في سائر الأعصار، وهشام يذهب إلى أنّها نصّ من الله ورسوله ﷺ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وعلى مَن يلي عصره من ولده الطاهرين عليهم السلام.

فقال هشام لعمرو بن عبيد: أليس قد جعل الله لك عينين؟

قال: بلى.

قال هشام: ولِمَ؟

قال: لأنظر بهما في ملكوت السماوات والأرض؛ فأعتبر.

قال هشام: فلِمَ جعل لك سمعاً؟

قال: لأسمع به التحليل والتحريم، والأمر والنهي.

قال: فلِمَ جعل لك فماً؟

قال عمرو: لأذوق المطعوم، وأُجيب الداعي. ثمّ عدّد الحواس كلّها، وأجابه عمرو عن خواصّها.

فقال له هشام: ولم جعل لك قلباً؟

قال: لتؤدّي إليه الحواس ما أدركته؛ فيميّز بين مضارّها ومنافعها.

قال هشام: فكان يجوز أن يخلق الله سائر حواسك ولا يخلق لك قلباً تؤدّي

---

١. ضحى الإسلام لأحمد أمين: ج٣ ص٢٦٨.

هذه الحواس إليه؟

قال عمرو: لا.

قال هشام: ولم؟

قال عمرو: لأنّ القلب باعث لهذه الحواس على ما يصلح لها.

فقال هشام: يا أبا مروان ـ كُنية عمرو بن عبيد ـ إنّ الله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح، ويترك هذا الخلق كلّه لا يقيم لهم إماماً يرجعون إليه!؟

قال المسعودي: فتحيّر عمرو، ولم يأت بفرق يعرف.[1]

مع موبذ المجوس[2]

ودخل الموبذ عليه، فقال له: يا هشام، حول الدنيا شيء؟

قال: لا.

قال الموبذ: فإن أخرجت يدي منها، ثمّ شيء يردّها؟

قال هشام: ليس ثمّ شيء يردّك، ولا شيء تخرج يدك فيه.

قال الموبذ: فكيف أعرف هذا!؟

قال هشام: يا موبذ! أنا وأنت على طرف الدنيا؛ فقلت لك: يا موبذ، إنّي لا أرى شيئاً.

فقلت لي: ولم لا ترى!؟

فقلت لك: ليس ههنا ظلام يمنعني.

---

١. أنظر مروج الذهب للمسعودي: ج٤ ص١٠٥.

٢. المُوبَذانِ المُوبَذانُ للمجوس كقاضي القضاة للمسلمين. والمُوبَذ القاضي. لسان العرب لابن منظور: ج٣ ص٥١١ «مادّة موبذ».

قلت لي: يا هشام، إنّي لا أرى شيئاً.

فقلت لك: ولم لا ترى!؟

قلت: ليس ضياءٌ أنظر فيه.

فهل تكافأت الملّتان في التناقض؟

قال: نعم.

قال هشام: فإن تكافأتا في التناقض، لم تتكافآ في الإبطال أن ليس شيء. فأشار الموبذ بيده؛ أن أصبت.

ودخل ـ الموبذ ـ عليه يوماً آخر، فقال: هما في القوّة سواء؟

قال هشام: نعم.

قال ـ هشام ـ : فجوهرهما واحد!؟

فقال الموبذ لنفسه ـ ومَن حضر يسمع ـ : إن قلت: إن جوهرهما واحد. عادا في نعت واحد، وإن قلت: مختلف. اختلفا أيضاً في الهمم والإرادات، ولم يتّفقا في الخلق، فإن أراد هذا قصيراً، أراد هذا طويلاً.

قال هشام: كيف لا تُسلم؟

قال: هيهات!![1]

مع شيخ المعتزلة

قال هشام لأبي الهذيل ـ وهو شيخ المعتزلة ـ : إذا زعمت أنّ الحركة ترى، فلم لا زعمت أنّها تُلمس!؟

قال: لأنّها ليست بجسم فيُلمس، لأنّ اللمس إنّما يقع على الأجسام.

---

١. عيون الأخبار لابن قتيبة: ج٥ ص١٥٣.

فقال له هشام: فقل: إنّها لا ترى؛ لأنّ الرؤية إنّما تقع على الأجسام.

فرجع أبو الهذيل سائلاً، فقال: من أين قلت: إنّ الصفة ليست الموصوف، ولا غيره!؟

قال هشام: من قبل أنّه يستحيل فعلي أنا، ويستحيل أن يكون غيري؛ لأنّ التغاير إنّما أوقعه على الأجسام، والأعيان القائمة بأنفسها؛ فلمّا لم يكن فعلي قائماً بنفسه، ولم يجز أن يكون فعلي أنا؛ وجب إنّه لا أنا، ولا غيري.

وعلّة أُخرى أنت قائل بها؛ زعمت يا أبا الهذيل: إنّ الحركة ليست مُماسّة، ولا مباينة، لأنّها عندك ممّا لا يجوز عليه المُماسّة، ولا المباينة؛ فلذلك قلت أنا: إنّ الصفة ليست أنا، ولا غيري؛ وعلّتي في أنّها ليست أنا، ولا غيري، علّتك في أنّها لا تُماس، ولا تُباين.

قال المسعودي: فانقطع أبو الهذيل لم يردّ جواباً.[1]

صفوة القول

إنّ هشام بن الحكم كان عظيم المنزلة، رفيع المكانة، ثقة في الحديث، مُبرّزاً في الفقه، والتفسير، وسائر العلوم والفنون.

وإنّه كان من المعذّبين في الله، وهو أجلّ من أن تنسب إليه تلك الأمور، وأعظم منزلة وشأناً من كلّ ما يرمونه به، فلا يلتفت إلى تلك الخرافات والأوهام والدسائس التي حيكت حول شخصيته العظيمة.

نعم، أعداء آل محمد ﷺ ومبغضي عترته الطاهرة، وشيعتهم، ومحبّيهم، ومواليهم، لم يكتفوا بالإفتراء على مؤمن الطاق، وهشام بن الحكم ـ وغيرهما ـ

---

١. مروج الذهب للمسعودي: ج٤ ص١٠٤.

بل جعلوا ذلك لمجموع الشيعة، إفكاً منهم، وزوراً! فقد قال الخيّاط المعتزلي في كتابه «الإنتصار»:

الرافضة تعتقد أنّ ربّها ذو هيئة وصورة، يتحرّك ويسكن، ويزول وينتقل، وأنّه غير عالم، فعلم. إلى أن يقول: هذا توحيد الرافضة بأسرها إلاّ نفر منهم يسير صحبوا المعتزلة، واعتقدوا التوحيد... إلخ.[1]

ومن يراجع كتب الشيعة خصوصاً منها لإعتقاديّة، والحديثيّة، والاخلاقيّة، وغيرها يرى أنّهم معتقدون بكلّ ما جاء به رسول الإنسانيّة محمد بن عبد الله ﷺ الذي ختم الله به النبوّة والرسالة، واختار دينه ـ الإسلام ـ ليكون خير الأديان كلّها، واختزل بشريعته جميع الشرايع السماويّة، وحفظ له كتابه ـ القرآن الكريم ـ الذي أُنزل عليه، فجعله مهيمناً على كتب السماء.

ومن تتبّع وتصفّح كتب الشيعة يعلم أنّهم لا يقولون في أُصول دينهم وفي فروعه، إلاّ بما نطق به كتاب الله ﷻ، وجاء على سنّه رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام: عليّ عليه السلام، وفاطمة عليها السلام، والحسن والحسين عليهما السلام، وذرّيتهم الأخيار، الأبرار، الطيبون عليهم السلام، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

وهل الدين الحنيف، والإسلام الصحيح، إلاّ ما كان عليه أُولئك الأطهار الأكرمون؟

وهل سبيل الحقّ، والصراط المستقيم، إلاّ سبيل المهديّين، الراشدين من آل بيت النبي عليهم السلام؟

فما لخصوم الحقّ كيف يحكمون!؟

---

١. راجع الإنتصار: ص٥.

مندوحة

ليس فيما يعتقد به الشيعة الإماميّة الإثني عشريّة ما يستوجب خروجها عن حضيرة الإسلام، ويستحلّ به تكفيرها؛ فعندما تتدبّر اعتقادات الشيعة الإماميّة تجدها مأخوذة عن أصحّ، وأصدق المنابع الإعتقاديّة التي أرسى قواعدها النبي ﷺ، وصان سنا مجدها آل بيته المعصومين ﷺ. فدونك خلاصة عنها:

التوحيد

التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

الأوّل بلا أوّل كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده، الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين.[1]

النبوّة

النبوّة: شهادة أنّ محمّداً ﷺ عبد الله ورسوله، خاتم النبيّين والمرسلين، ودينه خاتم الأديان، وشريعته الغرّاء خاتمة الشرايع، والكتاب المُنزل عليه خاتم الكتب السماويّة. خُتمت بنبوّته ورسالته جميع النبوّات والرسالات، أرسله الله ﷻ بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون[2].

الإمامة

الإمامة أصل أصيل من أصول الدين الإسلامي، والشيعة الإماميّة منفردة في

---

١. راجع الصحيفة السجّاديّة: ص٢٢.

٢. إقتباس لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. سورة التوبة، الآية: ٣٣.

إعتقادها به كالنبوّة، ويخالفهم فيه أهل السنّة مطلقاً[١]، بقولهم: ليست الإمامة من أُصول الدين، وإنّما هي من فروع الدين المتعلّقة بأفعال المكلّفين.

والإمامة عند الشيعة خلافة عن النبوّة، قائمة مقامها، ولذلك يجب أن يكون الإمام الذي يخلف النبي صلى الله عليه وآله ويقوم مقامه، معصوماً عن جميع القبائح والفواحش ما ظهر منها وما بطن، عمداً وسهواً؛ لأنّه حافظاً للشرع، قيّوماً عليه، حاله في ذلك حال النبي صلى الله عليه وآله.

لأنّ الغاية من وجود الإمام إنّما تتمحور حول حاجة الناس لبيان أحكام الله، وتفسير كتابه، وتطبيق سنّة رسوله صلى الله عليه وآله، وللإنتصاف من الظالم للمظلوم، ورفع الفساد، وحسم مادّة الفتن، فضلاً عنه لطف من الله على عباده كالنبي صلى الله عليه وآله؛ يمنع القاهر من التعدّي، ويُقرب الناس إلى طاعة الله، ويُبعدهم عن معصيته، ويُقيم الحدود والفرائض. فلو لم يكن الإمام معصوماً؛ جازت عليه المعصية، ولو صدرت عنه المعصية؛ لا يأمنه الناس، ولا يطمئنون به، فلا يسمعون كلامه، ولا يطيعونه فيما يأمرهم وينهاهم؛ لقبح إمكان الأخذ بما يصدر عنه، ولو بالإحتمال، فضلاً عن توقّفه في إلزام الحدود، المُفضي بدوره إلى تعطيل الشريعة.

ولذا ذهب الفخر الرازي ـ وهو من كبار مفسّري الأشاعرة، وفلاسفتهم ـ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾. إلى القول:

بأنّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر، على سبيل الجزم في هذه الآية، ومَن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لابدّ وأن يكون معصوماً على الخطأ، وإلاّ

---

١. غير أنّ العلامة الآلوسي في تفسيره، قال: وأولى هذه الأقوال: إنّ السؤال عن العقائد والأعمال، ورأس ذلك: لا إله إلا الله، ومن أجمله ولاية علي (كرّم الله وجهه)، وكذا ولاية إخوانه الخلفاء الراشدين. راجع روح المعاني: ج٢٣ ص٨٠، مورد تفسير سورة الصافّات، الآية: ٢٤.

أقول: لقد رضينا بما شهد به في صدر كلامه، ورمينا بذيله.

يكون قد أمر الله بمتابعته؛ فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهي عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالإعتبار الواحد، وإنّه محال.

فثبت أنّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر، على سبيل الجزم، وثبت أنّ كل مَن أمر الله بطاعته على الجزم، وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أنّ أولي الأمر المذكور في هذه الآية لابدّ وأن يكون معصوماً. إنتهى.[1]

وأمّا أهل السنّة ـ باستثناء قلّة[2] ـ فلا يشترطون العصمة في الإمام، فضلاً عن عدم اشتراطها في الصغائر للنبيﷺ.

والإمام لدى الشيعة يجب أن يكون بعد رسول اللهﷺ أفضل الناس إطلاقاً. وخالفهم في ذلك جمهور أهل السنّة؛ فجوّزوا تقديم المفضول على الفاضل، وخالفوا بذلك مقتضى العقل، ونصّ الكتاب في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[4].

كما أنّ العقل السليم يُقبّح تعظيم المفضول بإزراء الفاضل، وخفض رتبته أمام رتبة المفضول.

---

١. التفسير الكبير: ج١٠ ص١٤٤، مورد تفسير سورة النساء، الآية: ٥٩.

٢. قال النووي: واختلفوا في وقوع غيرها من الصغائر منهم؛ فذهب معظم الفقهاء، والمحدّثين، والمتكلّمين من السلف والخلف إلى جواز وقوعها منهم، وحجّتهم ظواهر القرآن، والأخبار. وذهب جماعة من أهل التحقيق، والنظر من الفقهاء، والمتكلّمين من أئمّتنا إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر. صحيح مسلم بشرح النووي: ج٣ ص٥٤، باب ما جاء في عصمة الأنبياءعليهم السلام.

٣. سورة يونس، الآية: ٣٥.

٤. سورة الزمر، الآية: ٩.

فيا أهل السنّة والجماعة! كيف حكّمتم عقولكم بانقياد الفاضل للمفضول!؟ وهل يبقى مقال لقولكم هذا لو لم تعلموا بأنّ علياًعليه السلام أفضل الناس بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله!؟

لكنّكم وبعدما ذهبتم إلى ما ذهبتم إليه، جرياً على ما أُشربت عليه نفوسكم من أمر السقيفة، وكنتم فيه أروغ من ثعالة؛ ظنّاً منكم تصحيح أمر قد فسد؛ فلم تلتفتوا بترجيحكم للمفضول على الفاضل حتّى قضيتم على أوّلكم بأفضلية عليعليه السلام، بل على الناس ـ ما خلا المصطفىصلى الله عليه وآله ـ كلّهم.

المعاد

الإقرار بيوم القيامة، والمعاد، والجزاء. وبشهادة أنّ الموت حقّ، وسؤال منكر ونكير في القبر، وأنّ الساعة ـ أي، القيامة ـ آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث مَن في القبور؛ ليجزيهم أجر ما عملوا في دار الدنيا؛ إن خيراً، فخيراً، وإن شرّاً، فشرّاً، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۞ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[١].

العدل

العدل عند الشيعة من أُصول الدين الإسلامي، وهو أصل عظيم تبتني عليه القواعد الإسلاميّة، بل الأحكام الدينية مطلقاً، وبدونه لا يتمّ شيء من الدين، ولا يمكن أن يعلم صدق نبيّ من الأنبياء على الإطلاق إلاّ به، وهذا يُعلم بوضوح من قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ

---

١. سورة الزلزلة، الآية: ٦ـ٨.

﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١]. وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾[٢].

وفي ختام الفصل نتساءل ذوي النهى، وأُولي الألباب، ونقول:

نظرة منصفة لأصحاب الإمام جعفر بن محمد الصادقعليه السلام تفي بإعطاء ميزان الحقّ نصابه، وتستجلي العمى عمّن أصابه. فالمكانة العلمية الحكيمة، والمهابة الجليلة العظيمة للإمام الصادقعليه السلام تكفل للمسلم تمسّكه بالثقلين؛ كتاب الله تعالى، وعترة رسول اللهصلى الله عليه وآله، ولا يرتاب في أنّ آل النبيعليهم السلام أحقّ، وأجدر أن يكونوا خلفائهصلى الله عليه وآله، والإمام الصادقعليه السلام ـ وهو أحد العترة الهادية المهديّة ـ خير لأُمّة جدّه رسول اللهصلى الله عليه وآله من الكفرة[٣]، الظلمة[٤]، الفسقة[٥].

فما لكم كيف تحكمون؟!

---

١. سورة آل عمران، الآية: ١٨.

٢. سورة آل عمران، الآية: ١٩.

٣. لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. سورة المائدة، الآية: ٤٤.

٤. لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. سورة المائدة، الآية: ٤٥.

٥. لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. سورة المائدة، الآية: ٤٧.

فصل في

نشأة عصره عليه السلام

تميّزت تلك الفترة التي قضاها الإمام الصادقعليه السلام بظهور جملة من المتباينات الفكريّة، والعقيديّة التي ساهمت وبشكل متميّز على هدم ما تبقّى من جسد الأُمّة الإسلاميّة، مُخلّفة ورائها ركام هائل من التيه والضلال قد نال من البنية التحتيّة لنفسية الإنسان المسلم، حتّى أودت به إلى مهاوي الغي والإنحراف.

وكنتيجة حتميّة لما ساهمت به تلك المتباينات من إضلال وتضليل ـ ساعدها على ذلك ابتعاد المسلمين عن آل بيت النبيعليهم السلام أكثر فأكثر ـ شهدت تلك الفترة دورة إنقلاب في الحكم السياسي القائم آنذاك إستُبدل فيه الحكم العبّاسي بالحكم الأُموي، مؤسّساً بذلك صيغة جديدة في نظام الحكم فاقت سابقتها وحشيّة، ودمويّة، يسوسها حكّام طغاة، قد تفشّت فيهم الأهواء، والأحقاد، وتلاطمت في دهاليز طواميرهم أمواج الظلم، والإرهاب وفق ما تشتهيه أنفسهم، حتّى أمست الرعيّة أُلعوبة بأيديهم، يستعذبون ترويعهم، وإذلالهم، وقتلهم لأغراض نفسيّة مريضة.

نعم، عايش الإمام الصادقعليه السلام وسطاً إجتماعياً متكتّماً، حذراً يعجز حتّى عن الإتّصال بالعترة الطاهرةعليهم السلام؛ لما كان يعانيه من أعمال التجسّس والمراقبة التي كانت محيطة به من قبل مرتزقة سلاطين أعتى عهدين مجحفين في تاريخ المسلمين متمثّلاً بالأُمويين، والعبّاسيين.

حتّى كان الإمامعليه السلام يستشعر خشية، ووجل أولئك الذين كانوا يتّصلون

بمدرسة جدّه وأبيه ـ مدرسة الكتاب والعترة المُعبّر عنهما بـ«الثقلين»[1] ـ من طلاّب العلم، خصوصاً بعد علمه بما كان من الظلمة وأجهزتهم القمعيّة في محاسبة كلّ من كان يروم التظاهر بحبّه لآل محمد صلى الله عليه وآله أوإتّباعه لهم، فضلاً عنه كان عليه السلام قريب ممّا كان يلاقونه من تلك المشاق، والصعاب، ومقدّراً لكيفية تصدّيهم لها بقلوب مطمئنّة، بما استحقّوا لأن يُبارك لهم صبرهم على ذلك.

ولكن مع كلّ تلك الضغوط والتضييق إقتضت الحاجة بأن يزداد شعور الناس رغبة في الإلتفاف حول مناهل العلم والمعرفة التي كان يُشكّل نبراسها آل محمد صلى الله عليه وآله، متمثّلاً في ذلك الوقت بالإمام الصادق عليه السلام الذي كان لا يألو جهداً في إظهار الحقّ، والجهر به، لإرشاد الناس، وتحذيرهم من مخالطة أولئك الطغاة الظلمة، حتّى أنه عليه السلام كان ينهي عن المرافعة إليهم، أوالإختلاط بهم، أوإعانتهم في شيء، أوالتوالي لهم، أوقبول أيّ عمل منهم على الرغم ممّا كان يُحيط به عليه السلام، وينكّد عليه عيشه.

وفي أوج تلك الفترة المحصورة بين شيخوخة الدولة الأمويّة، وإيناع عود الدولةالعباسيّة؛ اغتنم الإمام الصادق عليه السلام الفرصة، فانبرى لفتح باب مدرسته العلمية المباركة ـ مدرسة الكتاب والعترة. وبعبارة أُخرى: مدرسة الثقلين ـ على مصراعيه؛ ليقوم بما يجب عليه، ويعوّض ما فات الأُمّة الإسلامية من علوم الفقه والتشريع، روماً منه عليه السلام في الوصول بالناس نحو روح الإسلام المحمّدي الأصيل، وبثّ شرائع الأحكام، والتعاليم الدينيّة، والمعارف الإلهية، حتّى عُدّ تلامذته عليه السلام بأكثر من أربعة آلاف متعلّم، وعالم، وفقيه. وقيل: عشرون ألفاً.

وإن يُريد الظلمة إطفاء نور الله بأفواههم؛ فالله قد أتمّ نوره، ولو كره

---

١. راجع الجزء الأول والثاني من الكتاب.

الظالمون، الكافرون.[١]

في العهد العباسي

بعد أن استقرت دعوة بني العباس في الإطاحة بالأُمويين، وتعزّز انتقال الحكم إليهم، قلبوا ظهر المجن للرضا من آل محمدعليهم السلام ـ الشعار الذي رفعه العباسيون في بداية دعوتهم، مموهين بذلك على الناس مدى الشرعيّة التي يعملون من أجلها لعودة الخلافة إلى أربابها الشرعيين من آل بيت النبيعليهم السلام ـ وألبسوا الحقّ بالباطل، فلم يتّبع فعلهم قولهم، واستبدّوا بالأمر متجاهلين آل بيت رسول اللهصلى الله عليه وآله ـ متمثّلاً بالإمام الصادقعليه السلام آنذاك ـ وحقّهم بالخلافة، بل ولم يكتفوا؛ فقد عرّضوا آل البيتعليهم السلام لأبشع إرهاب طاغوتي؛ فكانوا بذلك أشدّ، وأسوء من بني أُميّة ظلماً وجوراً. حتّى لقد أوجز الشاعر سيرتهم مع آل بيت رسول اللهصلى الله عليه وآله بقوله:

تالله مافعلت أُميّة فيهم معشار ما فعلت بنو العباس

وعليه؛ فقد عانى الإمامعليه السلام تحت وطأة أساليب جملة ممّن عاصروه من مماليك بني العبّاس؛ فكان منهم:

السفّاح

هو: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، المعروف: بالسّفاح. أوّل من ملك من بني العبّاس بعد الإطاحة بآخر ملوك بني أُميّة في سنة١٣٢ هجريّة. اشتغل بمطاردة الأمويّين، وتتبّع البقيّة منهم وأبادهم، واستطاع بمهارته

---

١. إقتباس من قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾. سورة الصف، الآية: ٨.

أن يظهر للناس عطفاً على العلويين بإكرامهم، وعدم التعرّض لهم، وكان بذلك يحاول إستعطاف قلوبهم، وإقناع الأمّة التي ترى أنّ الحقّ لهم.

فاقتضت سياسته في باكورة الملك العبّاسي أن يُسيّرها على خطّة المداراة للعلويين، والتظاهر بالثبات لما نهضوا من أجله في أخذ الثأر من قتلة الحسين عليه السلام؛ غير أنّ الناس بعد ذلك أدركوا بأنّ العبّاسيين إنّما كانوا وبإسم آل محمد صلى الله عليه وآله يسعون في الحصول على الخلافة لأنفسهم، وما كانوا يقصدون بآل محمد صلى الله عليه وآله سوى شعاراً برّاقاً يُموهون به على الرأي العام.

ولم تطل أيّام السفّاح حتّى مضى لسبيله بعدما عهد لأخيه المنصور[1]، المعروف: بـ«الدوانيقي».

المنصور الدوانيقي

قام المنصور الدوانيقي بالحكم والدولة العبّاسية لم ترتكز دعائمها بعد على أُسس قويّة؛ فكان أشدّ ما يحذره أمر العلويّن، وفي طليعتهم الإمام الصادق عليه السلام، حيث كان يعلم أنّ الخلافة إنّما هي حقّ له عليه السلام دون غيره؛ فكان في حذر من أدنى ما يُخيّل له في أمر زوال سلطانه.

فتضاعفت المشكلات في عهد الدوانيقي على وجه الخصوص، لما كان من ظلمه، واستبداده، فتحصّن بالسّيف، وجعل بينه وبين من يعتقد أنّهم أعداءه سوراً من أشلاء الأبرياء، وبحراً من الدماء، وتفاقمت الأزمات أشدّ ممّا كانت عليه أيام الدولة الأُمويّة.

ثمّ إنّ الدوانيقي كان يعرف تمام المعرفة بأحقّية الإمام عليه السلام للقيام بأمر الخلافة

---

١. هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وكان أكبر من السفّاح، وبويع له سنة ١٣٦هـ.

منه ومن غيره، فضلاً عن امتلاكه عليه السلام لقلوب الناس، وتوجّه الأنظار إليه، لذلك كان الدوانيقي حذراً أشدّ الحذر من الإمام عليه السلام، مُحاولاً الإمساك به، والقضاء عليه؛ الأمر الذي ساعد على ازدياد نسبة عدد الوشاة على الإمام الصادق عليه السلام من قبل ضعاف النفوس، ممّا أثار لدى الدوانيقي كوامن الضغينة، وتحرّكت فيه عوامل الغيظ، حتّى كان منه في سنة ١٤٧هـ بعد أن حجّ، ودخل المدينة أن أمر الربيع باحضار الإمام الصادق عليه السلام، متوعّداً، قائلاً: قتلني الله إن لم أقتله!!

فلمّا أُحضر عليه السلام ودخل عليه؛ قابله بوحشيّة المُتعسّف؛ قائلاً له: اتّخذك أهل العراق إماماً، يُجبون إليك زكاة أموالهم، وتلحد في سلطاني، وتبغي الغوائل!؟ قتلني الله إن لم أقتلك!!

فقال عليه السلام: يا أمير.. إنّ سليمان أُعطي؛ فشكر. وأيّوب ابتُلي؛ فصبر، ويوسف ظُلم؛ فغفر.

عند ذلك لم يستطع المنصور أن يخفي علمه ببراءة الإمام عليه السلام؛ فقال: إليّ، وأنت عندي يا أبا عبد الله البريء الساحة، السليم الناحية، القليل الغائلة... ثمّ تناول يده عليه السلام فأجلسه معه... فأتى بدهن فيه غالية، فخلقه بيده.[1]

نعم، قد تركّزت في ذهن الدوانيقي فكرة الفتك بالإمام الصادق عليه السلام لأنّه يعلم أنّ مئات الآلاف كانوا يقولون بإمامته، وتُجبى له الأموال، وينظر إليه الناس بعين الإعظام والإحترام، كما أنّ كثيراً من الملتفّين حول الدوانيقي نفسه، والموازرين له يذهبون إلى القول بإمامة الصادق عليه السلام، ويرون في غيره غاصباً للخلافة، وهاضماً لحقّ أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

كما أنّ الإمام الصادق عليه السلام هو الشخصيّة الفريدة التي كان الناس يتطلّعون

---

١. راجع شرح الأخبار للقاضي المغربي: ص٣٠٣ رقم١٢٠٨. وكشف الغُمّة للإربلي: ج٢ ص٣٧١.

إليها؛ لما تجسّد في كونه عليه السلام صاحب نهضة علميّة شاملة، متكاملة قد ازدحم طلاب العلوم من مختلف الآفاق على عتبة بابها. كما واشتهر ذكره عليه السلام كفيصل حقّ في المعركة بين أهل الرأي، وأهل الحديث؛ الأمر الذي كان الدوانيقي يخشى خطره، ويحذر من حدوثه لما يُمكن أن يؤدّي بانقلاب مُفاجئ على دولته يقوده العلويّون بظميمة العلماء المُتّصلين بالإمام الصادق عليه السلام من الذين عرفوا مقامه، وخطر منزلته عليه السلام، فضلاً عن معرفتهم لحقّه المغتصب من قبل.

ورغم ذلك فالباعث على الإستغراب إنّ الدوانيقي كان يعلم أنّ الإمام عليه السلام سبق وقد أبى قبول الخلافة حين عرضها عليه أبو سلمة الخلال ـ وزير آل محمد عليهم السلام ـ في بدء الدعوة، حتّى كتب إليه أبو سلمة حين أقبلت الرايات: إنّ سبعين ألف مقاتل وصل إلينا، فانظر أمرك. فأجابه عليه السلام بالردّ، وقال: إنّ الأمر للسفّاح، والمنصور من بعده.

وكذلك يعلم بأنّه عليه السلام لم يستجب لما دعاه إليه أبو مسلم الخراساني، قائد الثورة في بلاد الفرس؛ حين كتب له: إنّي قد أظهرت الكلمة، ودعوت الناس عن موالاة بني أُميّة إلى موالاة أهل البيت، فإن رغبت، فلا مزيد عليك. فأجابه عليه السلام: ما أنت من رجالي، ولا الزمان زماني.[1]

فالإمام عليه السلام بنظره الصائب، ومنهجه السديد، وعلمه بما وراء الأحداث، يرى الحكمة في عدم الإستجابة لدعوة لا ترتكز بأُسسها على ما فيه تحقيق أهداف شريعة رسول الله صلى الله عليه وآله من نشر كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة، وإصلاح الأوضاع الفاسدة من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فضلاً عن علمه عليه السلام بأنّ

---

١. راجع الملل والنحل للشهرستاني: ج١ ص٢٤١. وينابيع المودّة للقندوزي: ج٣ ص١٦١ ب٦٥. والإمام جعفر الصادق عليه السلام للجندي: ص٧٤.

أكثر الذين أظهروا الولاء له عليه السلام ليسوا بمخلصين في ذلك.

فكان عليه السلام ينظر إلى حقائق الأمور، ويسير على خطط حكيمة، وآراء سديدة في تقدير الظروف ومناسباتها.

فكلّ ذلك كان الدوانيقي يعلمه، وكان يعرف بأنّ الإمام عليه السلام لا يطمع بملك الدنيا، ولا يستهويه ذلك، ولكن حسد المنصور لم يكن ليدعه يترك الإمام، بل كان يُهدده بالقتل تارة، وأُخرى كان يؤذيه بمختلف الأساليب، والإمام عليه السلام كان يقابله بالتي هي أحسن، ويدافع عن نفسه الزكيّة دفاعاً حسناً؛ فيُلقمه حجراً.

ولذلك صعب على المنصور الدوانيقي ما كان الإمام الصادق عليه السلام يتّخذه في حذره واحتياطه عن أيّ مؤاخذة تسجّل عليه عليه السلام يستحلّ بها دمه الزكي.

وعلى الرغم من أنّ المنصور لم يُبق طريقاً لتحقيق أهدافه مع الإمام عليه السلام إلا سلكه، إبتداءً بإرساله الكتب المزورة التي تدعوه للنهضة والقيام بالأمر، وانتهاءً بإرساله الأموال الوفيرة مع أُناس استخدمهم بغاية إغراء الشيعة بالإحساس بوفرة المال الذي يُعدّ عنصراً مهمّاً من عناصر الثورة والجهاد؛ عساه ينجح فيكون بيده اللئيمة مبرّراً قويّاً للقضاء علي الإمام عليه السلام، ولكن كلّ تلك المحاولات الملتوية ذهبت أدراج الرياح، وكان نصيبها الفشل.

وهكذا الأمر مختصراً؛ لاقتصار فترة الإمام الصادق عليه السلام مع ملكين من ملوك بني العبّاس حصراً.

الإمام الصادق عليه السلام والخراساني

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: قال ابن كادش العكبري في مقاتل العصابة العلويّة كتابة: لمّا بلغ أبا مسلم ـ الخراساني ـ موت إبراهيم الإمام، وجه بكتبه إلى الحجاز إلى جعفر بن محمد عليهما السلام وعبد الله بن الحسن، يدعو كل واحد

منهما إلى الخلافة، فبدأ بجعفر عليه السلام فلمّا قرأ الكتاب أحرقه، وقال عليه السلام: هذا الجواب.

وفيه أيضاً: وقرأت في بعض التواريخ: لمّا أتى كتاب أبي مسلم الخراساني إلى الصادق عليه السلام بالليل؛ قرأه، ثمّ وضعه على المصباح؛ فحرقه، فقال له الرسول ـ وظنّ أنّ حرقه له تغطية وستر، وصيانة للأمر ـ : هل من جواب!؟

قال عليه السلام: الجواب ما قد رأيت... وقال أبو هريرة الآبار؛ صاحب الصادق عليه السلام:

ولّما دعا الداعون مولاي لم يكن ... ليثني عليه عزمه بصواب
ولّما دعوه بالكتاب أجابهم ... بحرق الكتاب دون ردّ جواب
وما كان مولاي كمشري ضلالة ... ولا ملبسا منها الردى بثواب
ولكنّه لله في الأرض حجّة ... دليل إلى خير وحسن مآب

xxx

يا ضيعة الدين ما رأيت جنى ... من معدن الوحي والرسالات
كلاّ وربّ الحجيج إنّ لنا ... ظهراً ولكنّنا نأبى الضلالات
كيف نعق الورى وأنفسنا ... خلقن من أنفس نقيّات[1]

نحن أعلم بالوقت

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: حدّث إبراهيم، عن أبي حمزة، عن داود الرقّي، قال: كنت عند سيّدي الصادق عليه السلام إذ دخل سهل بن حسن الخراساني، فسلّم عليه، ثمّ جلس، فقال له: يا بن رسول الله، لكم الرأفة والرحمة، وأنتم أهل بيت الإمامة؛ ما الذي يمنعك أن يكون لك حقّ تقعد عنه وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف.

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٥٥ـ٣٥٦ .

فقال عليه السلام له: اجلس يا خراساني! رعى الله حقّك. ثمّ قال عليه السلام: يا حنفيّة، اسجري التنّور. فسجرته حتّى صار كالجمرة، وابيضّ علوّه، ثمّ قال عليه السلام: يا خراساني، قم فاجلس في التنّور!

فقال الخراساني: يا سيّدي يا بن رسول الله، لا تُعذّبني بالنار، أقلني، أقالك الله.

قال عليه السلام: قد أقلتك.

فبينا نحن كذلك إذ أقبل هارون المكّي، ونعله في سبّابته، فقال: السلام عليك يا بن رسول الله.

فقال له الصادق عليه السلام: ألق النعل من يدك، واجلس في التنّور.

قال: فألقى النعل من سبّابته، ثمّ جلس في التنّور، وأقبل الإمام عليه السلام يحدّث الخراساني حديث خراسان حتّى كأنّه شاهد لها، ثمّ قال: يا خراساني، قم وانظر ما في التنّور.

قال ـ الخراساني ـ: فقمت إليه؛ فرأيته متربّعاً، فخرج إلينا، وسلّم علينا.

فقال لي الإمام عليه السلام: كم تجد بخراسان مثل هذا؟

فقلت: والله، ولا واحداً.

فقال عليه السلام: لا والله، ولا واحداً. إنّا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا. نحن أعلم بالوقت.[1]

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٦٢.

فصل في

وفاته و مايتّصل به صلى الله عليه وسلم

تاريخ وفاة الإمام الصادق عليه السلام

استشهد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في ٢٥ من شوّال عام ١٤٨هـ مسموماً بالعنب الذي أطعمه إياه المنصور الدوانيقي، ودُفن عليه السلام في بقيع الغرقد مع أبيه وجدّه عليهما السلام، عند قُبّة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام. وكان يزورهم المؤمنون حتّى هُدّمت على أيدي أعداء الله، وأعداء رسوله وأهل بيته عليهم السلام في ٨ شوّال سنة ١٣٤٤هـ . تنتظر دعوةً محفوفةً بمصلحة يعلمها الله تعالى ليُقيّض في تشييدها رجالاً مؤمنين.

وكان عمر الإمام الصادق عليه السلام حين استشهاده خمساً وستّين سنة. وقيل: إنّ وفاته كانت في النصف من رجب، يوم الإثنين من عام ١٤٨هـ .

قال الكليني في أُصول الكافي: عن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، قال: أنا كفّنت أبي في ثوبين شطويين[1] كان يحرم فيهما، وفي قميص من قُمُصه، وفي عمامة كانت لعلي بن الحسين عليهما السلام، وفي بُرد اشتراه بأربعين ديناراً.[2]

والأربلّي في كشف الغمّة: قال وروى الخشّاب بإسناده عن محمّد بن سنان، قال: مضى أبو عبد الله عليه السلام وهو ابن خمس وستّين سنة، ويُقال: ثمان وستّين سنة، في سنة مائة وثمان وأربعين.[3]

وقال ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة: توفّي سنة أربع وثمانين ومائة مسموماً أيضاً على ما حُكي، وعمره ثمان وستّون سنة، ودُفن بالقبة السابقة ـ

---

١. شطا: قرية بناحية مصر تُنسب إليها الثياب.

٢. الكافي: ج١ ص٤٧٥، باب مولد أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام، ح٨.

٣. كشف الغمّة: ج٢ ص٤١٥.

أي، في البقيع ـ .[١]

وقال المسعودي: وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع رخامة مكتوب عليها:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله مبيد الأُمم، ومحيي الرِمم، هذا قبر فاطمة بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله، سيّدة نساء العالمين، وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمدعليهم السلام.[٢]

نعم، هكذا استشهد الإمام جعفر بن محمد الصادقعليه السلام مسموماً شهيداً، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وقد أوصىعليه السلام بإمامة ولده من بعده، موسى بن جعفر الكاظمعليه السلام الذي سنذكر شيئاً عن أحواله في الجزء الآتي بإذن الله تعالى.

ذكر أولادهعليه السلام

قال الشيخ المفيد في الإرشاد: كان لأبي عبد اللهعليه السلام عشرة أولاد:

اسماعيل، وعبد الله، وموسى، واسحاق، ومحمد، والعباس، وعلي، وأُمّ فروة، وأسماء، وفاطمة.[٣]

وقال ابن حجر في الصواعق المحرقة: توفّي الإمام الصادقعليه السلام عن ستّة ذكور، وبنت. منهم:

موسى الكاظمعليه السلام وهو وارثه علماً، ومعرفة، وكمالاً، وفضلاً. سُمّي الكاظم؛

١. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٩٠.
٢. مروج الذهب: ج٢ ص٢٨٨.
٣. الإرشاد: ص٢٨٤.

لكثرة تجاوزه، وحلمه. وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه، وأعلمهم، وأسخاهم.[١]

دفع شبهة الإمامة

كان إسماعيل أكبر أولادهعليه السلام، وكان الإمام الصادقعليه السلام يُحبّه كثيراً، ويُشفق عليه حتّى أنّ بعض الشيعة كان يظنّ أنّه الإمام من بعد أبيه، ولكنّه مات في حياة أبيه بالعريض[٢]، وحُمل على رقاب الرجال إلى أبيه في المدينة المنوّرة، ودُفن في بقيع الغرقد.

وروي: إنّ الإمام الصادقعليه السلام جزع على موت ابنه اسماعيل جزعاً شديداً، وحزن عليه حزناً عظيماً، وتقدّم سريره بغير حذاء، ولا رداء، وأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مراراً كثيرة، وكان يكشف عن وجهه، وينظر إليه، ويقول للناس أن ينظروا إليه، حتّى يُعلِم الجميع بأمر وفاة إسماعيل، حتّى لا يظنّ أحد بخلافته للإمام الصادقعليه السلام؛ فيزيل الشبهة عنهم.[٣]

وروى الشيخ الصدوق في كمال الدين: عن سعيد بن عبيد الله بن الأعرج، إنّه قال: قال أبو عبد اللهعليه السلام: لمّا مات إسماعيل أمرت به وهو مُسجّى بأن يُكشف عن وجهه؛ فقبّلت جبهته، وذقنه، ونحره.

ثمّ أمرت به، فغُطّي، ثمّ قلت: اكشفوا عنه، فقبّلت أيضاً جبهته، وذقنه، ونحره.

ثمّ أمرتهم، فغطّوه، ثمّ أمرت به، فغُسّل، ثمّ دخلت عليه وقد كُفّن، فقلت:

---

١. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٩٠.

٢. العريض: هو وادٍ بالمدينة. معجم البلدان للحموي: ج٤ ص١١٤ «مادّة عريض».

٣. راجع الإرشاد للمفيد: ج٢ ص٢٠٩.

اكشفوا عن وجهه، فقبّلت جبهته، وذقنه، ونحره، وعوذّته، ثمّ قلت: أدرجوه.[1]

وقال الشيخ المفيد في الإرشاد: ولمّا مات إسماعيل عليه السلام؛ انصرف عن القول بإمامته بعد أبيه من كان يظنّ ذلك، فيعتقده من أصحاب أبيه، وأقام على حياته شرذمة لم تكن من خاصّة أبيه، ولا من الرواة عنه، وكانوا من الأباعد والأطراف.

فلمّا مات الصادق عليه السلام، انتقل فريق منهم إلى القول بإمامة موسى بن جعفر عليهما السلام، وافترق الباقون فريقين: فريق منهم رجعوا عن القول بحياة اسماعيل، وقالوا بإمامة ابنه محمد بن إسماعيل؛ لظنّهم أنّ الإمامة كانت في أبيه، وإنّ الإبن أحقّ بمقام الإمامة من الأخ. وفريق ثبتوا على حياة اسماعيل، وهم اليوم شذاذ لا يعرف منهم الآن من يزعم أنّ الإمامة بعد إسماعيل في ولده، وولد ولده إلى آخر الزمان.[2]

---

١. كمال الدين: ص ٧١.

٢. الإرشاد: ص ٢٨٥.

فصل في

أبيات في حقّه عليه السلام

يا حجّة الله الجليل

قال السيّد الحميري:

امــدح أبــا عبــد الإلــه فتــى البريّــة في احتمالــه
ســبط الــنبيّ محمــد ﷺ حبــل تفــرّع مــن حبالــه
تغـشي العيــون النــاظرات إذا سمــــون إلى جلالــــه
عـــذب المــوارد بحــــره يـروي الخلائـق مـن سجاله
بحــر أطــل علــى البحــور يمـــدّهنّ نـــدى بلالــــه
ســقت العبـــاد يمينـــه وسقى الـبلاد نـدى شمالـه
يحكـــى الـــسحاب يمينـــه والـودق يخـرج مـن خلالـه
الأرض مـــــيراث لـــــه والنـــاس طــرّاً في عيالــه
يـــا حجّـــة الله الجليـــل وعينـــه وزعـــيم آلـــه
وابـــن الوصـــيّ المــصطفى وشـــبيه أحمـــد في كمالـــه
أنـــت ابـــن بنـــت محمّـــد حـذواً خلقـت علـى مثالـه
فـــضياء نـــورك نـــوره وظـلال روحـك مـن ظلالـه
فيـك الخـلاص عـن الـردى وبـك الهدايـة مـن ضـلاله
أثنـــى ولـــست ببـــالغ عـشر الفريـدة مـن خـصاله[1]

أيا راكباً نحو المدينة

وقال السيّد الحميري أيضاً:

أيـا راكبـاً نحـو المدينـة جـسرة عذافرة يطوى بها كل سبسب[2]
إذا ما هداك الله عاينت جعفراً فقلـت ولـي الله وابـن المهـذّب
ألا يـا أمـين الله وابـن وليّــه أتـوب إلى الـرحمن ثـمّ تـأوّبي

---

١. مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٣ ص٣٧١ .

٢. العذافر: العظيم الشديد من الإبل. والسبسب: الأرض المستوية البعيدة.

إليك من الذنب الذي كنت ... أجاهد فيه دائباً كل مغرب
وأشهد ربّي أنّ قولك حجّة ... على الناس طراً من مطيع
بذلك أدين الله سرّاً وجهرة ... ولست وإن عوتبت فيه بمعتب[1]

تجعفرت باسم الله

وقال السيّد الحميري أيضاً:

تجعفرت باسم الله والله أكبر ... وأيقنت أنّ الله يعفو ويغفر
ودنت بدين غير ما كنت دائناً ... به ونهاني سيّد الناس جعفر
فقلت هب إنّي قد تهوّدت برهة ... وإلاّ فديني دين من يتنصّر
فإنّي إلى الرحمن من ذاك تائب ... وإنّي وقد أسلمت والله أكبر
ولست بغال ما حييت وراجع ... إلى ما عليه كنت أخفى وأظهر[2]

يا سيّداً أروي أحاديثه

وقال ابن الحجّاج:

يا سيّداً أروي أحاديثه ... رواية المستبصر الحاذق
كأنني أروي حديث النبيّ ... محمّد عن جعفر الصادق

سليل أئمّة

وقال البشنوي:

سليل أئمّة سلكوا كراماً ... على منهاج جدّهم الرسول
إذا ما مشكل أعي علينا ... أتونا بالبيان وبالدليل

---

١. أنظر كمال الدين للصدوق: ص٣٤.

٢. أنظر الفصول المختارة للمفيد: ص٢٩٩.

ملكوا الجنان بفضلهم

وقال الزاهي:

قوم سماؤهم السيوف وأرضهم — أعداؤهم ودم السيوف نحورها
يستمطرون من العجاج سحائبا — صوب الحتوف على الرجوف
وحنادس الفتن التي إن أظلمت — فشموسها آراؤهم وبدورها
ملكوا الجنان بفضلهم فرياضها — طرّاً لهم وخيامها وقصورها
وإذا الذنوب تضاعفت فبحبّهم — يعطى الأمان أخا الذنوب غفورها
تلك النجوم الزهر في أبراجها — ومن السنين بهم تتمّ شهورها[1]

نجوم العلى

وأبو إسماعيل الطغراني، قال:

نجوم العلى فيكم تطلع — وغايتها نحوكم ترجع
فلا يستقل ولا يستقر — به لهما دونكم مضجع[2]

مع الأشجع السلمي

قال ابن شهر آشوب: دخل الأشجع السلمي على الصادق عليه السلام فوجده عليلاً، فجلس وسأل عن علّة مزاجه.

قال له الصادق عليه السلام: تعدّ عن العلّة، واذكر ما جئت له.

فقال:

ألبسك الله منه عافية — في نومك المعترى وفي أرقك
تخرج من جسمك السقام كما — أخرج ذلّ الفعال من عنقك

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٩٣.

٢. مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٧٢.

فقال عليه السلام: يا غلام، ايش معك؟

قال: أربعمائة.

قال عليه السلام: أعطها للأشجع.

وحسبك من سيدٍ

وقال ابن شهر آشوب: قال الحسن بن محمّد المتجعفر:

فأنت السلاة من هاشم ... وأنت المهذّب والأطهر
ومن جدّه في العلى شامخ ... ومن فخره الأعظم الأفخر
ومن أهله خير هذا الورى ... ومن لهم البيت والمنبر
ومن لهم الزمزم والصفا ... ومن لهم الركن والمشعر
ومن شرعوا الدين في العالمين ... فأنوارهم أبداً تزهر
ومن هلم الحوض يوم المقام ... ومن لهم النشر والمحشر
وأنتم كنوز لأشياعكم ... وأنكم الصفو والجوهر
وأنكم الغرر الطاهرون ... وأنّكم الذهب الأحمر
وسيّد أيّامنا جعفر ... وحسبك من سيّد جعفر[1]

أتدرون ماذا تحملون

روى القاضي النعمان المغربي في شرح الأخبار، قال:

وقال أبو هريرة الآبار:

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٦٠.

أقـول وقـد راحـوا بـه يحملونـه | علـى كاهـل مـن حامليـه وعـاتق
أتـدرون مـاذا تحملـون إلى الثـرى | ثبيراً ثوى من رأس علياء شاهق
غداة حثا الحاثون فوق ضريحه | ترابـاً وأولى كـان فـوق المفـارق[1]

١. شرح الأخبار: ج٣ ص٣٠٨.

الخاتمة

تقدّم عنّا شيئا يسيراً من فضائل الخليفة السادس لرسول الله ﷺ؛ الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وقد ذكرنا بعض أحواله، ومعاجزه، وعلومه ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾[1].

نسأل الله سبحانه أن يُعرّفنا أئمّتنا، ويوفقنا للإقتداء بهم، إنّه سميع مُجيب. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

أحمد بن عبد العزيز الموسوي الفالي
قمّ المقدّسة

---

١. سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

الفهرس